المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

تفسير سوره يونس

التعريف بالسورة

السوره تصنف أنها من السبع الطول واياتها (١٠٩) ايه وهى العاشره من حيث ترتيبها فى المصحف الشريف وهى السورة (٥١)من حيث ترتيب النزول فقد نزلت بعد الاسراء وقبل سورة هود وايات هذه السوره مكيه وفد ذهب البعض للقول إن بعض اياتها مدنيه وخصوصا قوله تعالى (فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقررون الكتاب) الايه ٩٤ أنها مدنيه وأنها نزلت فى اليهود وهذا القول غير سديد من عده وجوه لان نزولها فى اليهود لايقتضى أنها مدنيه لان المراد بالشرط هنا هو الفرض لا لوقوع الشك دل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا أشك ولا اسال)

اضافه الى أن هذا المعنى ورد ذكره فى ايات مكيه أخرى مثل قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وغيرها من الآيات المكيه التى تحدثت عن أهل الكتاب والأهم من هذا كله هو أن هذا القول يتعارض مع ما تدور حوله الآيات من التوحيد وعرض اداله الألوهية والربوبيه وإثبات الرساله وصدق الرسول فالجو العام للسوره يدل أنها تواجه مواقف المشركين المتصلبه من دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم للإيمان بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب والقضاء والقدر وعباده الله وتوحيده والاستعانه به والتوكل عليه والايمان بالرسول والقرآن ولهذا نجد السوره تأتى بالاداله والبراهين الواضحه التى تهدف إلى .هدم الشرك وإثبات بطلانه وتزيل الشبهات والشكوك حول عقيده الاسلام وبيان حقيقه الوحى وأنه من عند الله والدعوه للإيمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب مبينه لهم أن النجاه هى بالإسلام وتضرب الامثله لإثبات ذلك بالقصص التاريخيه الداله على نهايه المكذبين فهذا الدليل التاريخى المبين لنهايه المكذبين الذى تدعوا كفار قريش إلى امعان النظر فيه معلوم لهم من خلال اطلاعهم على اثار تلك الأمم لمواجهه طلبهم الخوارق واستعجالهم العذاب لبيان أن رحمه الله بهذه الامه أنه لم ينزل الخوراق لأنها توجب هلاك الامه المكذبه بالرسول والرساله اضافه الى مخاطبه الفطره وتذكيرها ومحاوله ايقاظها واستعراض الادله الكونيه الداله على عظمه الخالق فهى ايات مرئيه شاهده على عظمه الخالق وتدبيره للكون فلا ينكر ذلك إلا فاقد لعقله أو جاحد

(مناسبه السوره لما قبلها)

بعد أن اختتمت سوره التوبه بذكر منزله الرسول صلى الله عليه وسلم وان من نعم الله على الناس هو بعثه رسول منهم يبلغهم ايات الله ويبشر المؤمنين وينذر الكافرين

لترغيب المنافقين المتخلفين عن تلبيه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فى تبوك

فذكر أن بشريه الرسول من نعم الله على الانسانيه كلها فالقدوه الصالحه التى يحتاجها الناس للخروج من واقعهم الفاسد والمتخلف ليست خياليه بل هى واقعيه لان نجاح اى رساله مرهون بواقعيتها فذكر أن بشريه الرسول صلى الله عليه وسلم من نعم الله عليهم وذكر أن اتباعه فيه الفوز والنجاح ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يعتمد على. الله ويتوكل عليه إذا اعرض هؤلاء عن اتباعه فالله كافيه وهو حسبه فهو رب العرش العظيم

تأتى هذه السوره باثبات صدق الرسول والرساله ...إثبات الواهيه الله وربوبيته وانفراده بالالواهيه والربوبيه

والعبوديه وحده لا شريك ..وإثبات البعث والنشور والجنه والنار والحساب والعقاب فهذه هى المواضيع الرئيسيه التى تتحدث عنها النصوص والقضايا التى تطرحها للنقاش فى إطار بيان صدق الرسول والرساله وحاجه الناس إلى بعثه الرسل وانزال الكتب ولهذا نجد أن السورة تتناول هذا الموضوع والمقصد حيث نجد أن المواضيع حسب التسلسل فى النصوص تدور حول هذا الموضوع من خلال الاتى

القسم الاول

هى مقدمه تبين أن القرآن حق منزل من عند الله وتبين مضامين الدعوه الى الايمان بالله وافراده بالعباده وحده لا شريك له والدعوه الى التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران والدعوه للإيمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب والقضاء والقدر تبدأ من الآيات (١- ١٣) فى إطار بيان حاجه الناس لبعثه الرسل وانزال الرسالات الكتب السماويه لانه لاسبيل لهدايه الناس الا بالوحى

القسم الثانى

بيان تأكيد صدق الوحى والرسول صلى الله عليه وسلم وحاجه الناس إلى معرفه الوحى

فهو بالاضافه الى. أنه السبيل الوحيد الى الهدايه فهو دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم ولهذا نجد أن ايات هذا القسم عباره عن ثمان مجموعات تتحدث عن السنن التى تحكم الإنسان وحياته من الآيات(١٤- ٧٠)فابتدات بالاشارة إلى سنه الاستخلاف فى الارض وبقاؤها بالقران ثم سنن الله فى الابتلاء والجزاء والأعمال وفى الرزق والهدايه إلى الحق وفى ارسال الرسل وانقسام الناس إلى مؤمن وكافر والإشارة إلى عدل الله فى العقاب والجزاء ولهذا يعظهم وينذرهم ويبين لهم هذه التحولات ليكون العبد على بينه من أمره وفعله فى الشده والرخاء والعسر واليسر كما جعله مسؤلا عما يفعل بعد أن منحه حريه الاختيار

القسم الثالث

تبدأ من الايه(٧١- ١٠٩)

تبين أن التعامل مع سنن الله واقداره فى الحياه والاحياء فى كل الأحوال منوط بفهم هذه السنن واستعيابها وامتلاك القدرة على التعامل معها ومواجهه القدر بالفرار إلى قدر الله فلا يمكن تفسير الأحداث فى مجال الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها واستدراكها والقدرة على تجاوزها الا من خلال سنن الله فى الآفاق والتنفس واكتشاف مواطن الخلل للأزمات وامتلاك القدرة على تحليله وتحديد أسبابه وسبل علاجه والفرار من قدر الله إلى قدر أو مغالبه قدر بقدر ولهذا فإن معرفه الوحى واستصحابها كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع سنن الحياه هو مفتاح المعرفه لقصه الإنسان على الأرض منذو بدايه الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولهذا تتناول النصوص تأكيد قصص ثلاثه أنبياء وثلاث امم تذكر أحوال المكذبين والاسباب التى كانت وراء هلاكهم وأحوال المؤمنين والأسباب التى كانت وراء نجاتهم لتتجنب ما كان موصلا إلى الهلاك ولتاخذ بما كان سببا للنجاه وتقدم لنا الآيات القدوة والنموذج العملى والتربوى فى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جسد معرفه الوحى واعتمادها السنن فى واقع الناس بتسخيره السنن وحسن التعامل معها فكان محل الاقتداء والتاسى لمسيرة الحياه بكل تفاصيلها ومتعرجاتها وما يمكن أن يكون فى العسر واليسر والضعف والقوه ولهذا تختم السوره

بقوله تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دليلا هادئا للناس للتعامل مع سنن الله واقداره فى جميع الأحوال حيث تحقق هذه السنن الجاريه التى لاتحابى أحد من خلال عزمات البشر بعيدا عن الاوهام والخرافات والأساطير والخوراق ذلك أن حسن تسخير هذه السنن ومغالبه قدر بقدر هى قضيه الإنسان فى الارض فهى تمثل ابعاد مهمه الاستخلاف فى الارض والاضطلاع بحمل الامانه ومفتاح المعرفه ولهذا فإن الإخفاق فى تسخيرها أو الغفله عنها مؤذن بالوقوع فى الشدة والأزمة نتيجة الارتطام بها المودى لضياع الاجر والعمر

القسم الاول

(الر تلك ايات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينآ إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين أن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون

اولا

تتناول الآيات بهذه المقدمه التى انطلقت بها السورة مضامين المواضيع التى يدعوا الناس للإيمان بها بأسلوب الحوار حيث نجد أن الآيات تتوجه إلى طلب حضور العقول والمدراك تناقشهم بالاداله والبراهين والمنطق فكانت هذه الآيات توطئه ومقدمه لإقناعهم بشخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم وبالوحى أنه منزل من عند الله وأنه تعالى خلق الناس لغايه وهى عبادته تعالى وأنه سوف يبعثهم بعد موتهم ليحاسبهم على أعمالهم وسوف ينقسم الناس بحسب أعمالهم إلى قسمين سعداء سعاده ابدايه فى الجنه واشقياء شقاوه ابدايه فى النار فقد تضمنت المقدمه مضامين المواضيع التى حاور الرسول صلى الله عليه وسلم بها اهل مكه فى دعوته إياهم فقد تضمنت الاتى

١/ الدعوه الى معرفه الله ومحبته وطاعته وعبادته وافراده بالعباده والالوهيه والربوبيه وحده لا شريك له

/٢

الدعوه الى الايمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب والقضاء والقدر والجنه والنار

٣/الدعوه الى الايمان بالرسول والتصديق بالرساله

فهذه هى القضايا الكليه التى تعبر عنها النصوص فكانت هذه المقدمه بمثابه المدخل لهذه المواضيع الذى تحاور فيها الناس فهى تجيب على اسئله القوم وردود فعل المخاطبين المعبره عن عدم قبول هذه الدعوه وقد كانت هذه المقدمه مهمه نظرا لشده عدواه المشركين فى هذه المرحله للإسلام حيث يفهم من الجمل الوراده فى السورة وجود معارضه شديده لما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم مما يدل أن السوره نزلت فى اخر فتره الدعوه الجهريه لانه بعد واقعه الاسراء احتدام الصراع مع المشركين فلم يكونوا يطيقون سماع ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتضح من قوله تعالى (الر تلك ايات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينآ

إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين)

فالبدايه تناولت إثبات صدق الرساله وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم كمدخل لإثبات محور الايمان بالله وعبادته وحده لا شريك له وإثبات البعث والنشور والحساب والعقاب والقضاء والقدر لماذا

لان المعلوم أن الأنبياء وصاحب كل دعوه لابد أن يخضع ودعوته للجدال والحوار حيث ينقسم الناس الى فريقين مؤمن ومكذب بل إن الفئه المكذبه لاتكتفى بعدم الايمان والتكذيب فحسب بل تسب النبى وتشتمه وتصد عن دعوته ولهذا فإن هذه المرحله تعد من أصعب المراحل فى حياه الانبياء واشقها حيث انهم يحاولون بث أفكارهم ومعتقداتهم بين الناس ساعيا بذلك الى اقناع الناس بشخصيه النبى وبما يحمله من فكر ودعوه يسعى الى كسب ثقتهم وهذه المرحله من أصعب المراحل واشقها فى حياه الداعيه تتطلب من الداعيه الصبر والثبات والعزيمه القويه ولهذا سميت السوره باسم نبى الله يونس هذا النبى الصالح الذى غضب من عناد قومه وإصرارهم على الكفر وعدم استجابتهم لمايدعوهم

إليه فخرج حتى وصل إلى البحر وركب السفينه ووقعت القرعه على يونس فكان قذفه فى البحر لقد كان ذلك عقابا من الله لنبيه يونس لانه لم يصبر على عناد قومه وإصرارهم على الكفر ولهذا فإن تسميه السوره بهذا الاسم تهدف إلى أن يشعر كل داعيه بالواجب الذى عليه فى الثبات والصبر وان يبذل جهده فى الدعوه الى الله تعالى ولهذا تختم الايه بقوله تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

ولهذا كان تسميه السورة باسم نبى الله يونس ذو دلاله خاصه وان سبب التسميه يعود إلى الايه (٩٨)والتى تحدثت عن إيمان قوم يونس كلهم اجمعين لما شاهدوا ايات الله فدل هذا على اهميه الصبر والعزيمه فى حياه الداعيه ولهذا فإن

الأمر الاول

اللازم ان يكون اسلوب الداعيه هو المنهج الذى فرضه الله الدعوه بالحكمه والموعظه الحسنه والجدل بالتى هى احسن ولهذا ابتدأت الآيات بعرض حقيقه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته وبيان صدقه والتأكيد على بشريته فقال تعالى (الر تلك ايات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينآ إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)

وهذا فيه

/١

إثبات صدق رساله الرسول صلى الله عليه وسلم فدعوته لهم مفرومه بما يدل أنه مرسل من عند الله ولهذا يخبرهم الله أن المعجزه هى عين المنهج أنه القران الكريم فقال تعالى

(الر تلك ايات الكتاب الحكيم)

ابتدأت بالتحدى أن ياتوا بمثل هذا القرآن فابتدات بقوله تعالى (الر) الف لام راء وهذا الأسلوب لم يكن معروفا لديهم من قبل فابتدا السوره بالحروف المقطعه التى لايعلم معناها الا الله يفهم منها التحدى لهم أن ياتوا بمثل

القران فهو بلغتهم التى يعرفونها ففى هذا الافتتاح ما يلفت الإنتباه لانه أسلوب جديد لايعرفه العرب من قبل يعرض لهم حقيقه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته ويبين صدقه فهو معروف لديهم أنه امى لايعرف القراءه والكتابه فكانت نظم القران الكريم معجزه تشهد للنبى أنه مرسل من عند الله

/٢

تحداهم بما فى متناول يديهم فهذا الافتتاح يبين أن معجزه الرسول صلى الله عليه وسلم هى عين المنهج ولهذا يقول تعالى (تلك ايات الكتاب الحكيم) فهذه المقدمه توصف القران بأنه حكيم وهذا الوصف مزيد اختصاص بمقام اظهار الاعجاز من جهه المعنى مضافا لاظهار الاعجاز من جهه اللفظ لان السورة تتحدث عن على عظيم حكمته تعالى وإتقانه لوضع الاشياء كل شى فى محله ولهذا اختصت هذه السوره مع سوره لقمان بقوله (تلك ايات الكتاب الحكيم) بعكس سورة يوسف فقال تعالى (تلك ايات الكتاب المبين) لبيان أن العلم الذى ينشروه الرسول بين الناس والعقيدة التى يدعوا الناس للإيمان بها والدعوه التى يقوم بها لاتنبع من ذكاءه أو من حمايته أو تالمه بالوضع المزرى الذي يعيش فيه ولا من شعوره الدقيق الحساس ولا من التجارب الواسعه الحكيمه التى عاشها إنما مصدره الوحى والرساله التى اصطفاءه الله وكرمه باختياره فهو مرسل من عند الله

الأمر الثانى

تبين الآيات أن أهم ما يجب على أهل الدين كشفه واول ما يلزم بحثه هو ماكان اصل لدينهم وقوام لقاعده نظام حياتهم وهو الدفاع عن النبى والقرآن ففى ذلك هدايه الإنسان الى سبيل النجاه خاصه عندما يسود الجهل وتجحب الرؤيه نتيجه الضباب الكثيف حيث يختلط الأمر على الكثيرون ويصعب التميز بين الأضداد خاصه فى وقت ضعف أهل الحق وتكاتف أنصار الباطل حيث يكون واجب أهل العلم ازاله هذا الضباب حتى تصبح الرؤيه واضحه ولهذا نجد أن الآيات جاءت بأسلوب بلاغى فى غايه الروعه لازاله الشبهات التى يثيرها المكذبن فى كل زمان للتشكيك فى صحه دعوى الانبياء والتى منها الزعم بأن الرسول لايكون بشرا ولهذا يرد الله على هذه الشبهه فيقول تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينآ إلى رجل منهم)

حيث جاء بالهمزه اداه الاستفهام المستعمل للانكار فادخلها على (كان) لإنكار تعجب المشركين من ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم بشرا والتعجب من ذلك فلم يقل اعجب الناس للدلاله على التعجب من تعجبهم ردا على ما اثاروا من شبهه بشرية الرسول فدل هذا على حماقه هؤلاء بأن جعلوا ذلك اعجوبه يتعجبون منها لبيان أن هذه الحماقه تعود الى شده الجهل ورواجه فهو مستول على الآفاق فشكلت عائقا أمام العلم الذى كرم الله به الإنسان وفضله على من سواه فدل هذا على خفاء معرفه هؤلاء بمنزله الإنسان وكرامته ومنزلته فالله قد خلق الانسان بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه الجنه واسجد له الملائكه سجود تكريم فكرمه وفضله كما قال تعالى (ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)

فكيف يجهل هؤلاء أن الإنسان افضل واكرم من الملائكه أن التزم منهج الله أن هؤلاء لايدركون قيمه أنفسهم فغياب المنهج الربانى عن الناس لأجيال متعاقبه جعل الحقائق تغيب عنهم ويخفى الحق ولهذا يجد الباطل رواج بينما يجد أهل الحق جفوه من المجتمع وعدم قبول ويعانى أهل الحق المشقه والعناء فى حين ينتشر الباطل بين الناس ويتمكن منهم ولهذا قال (للناس) ولم يقل كان عجب الناس لبيان أن افتراءات القوم قد ألقت فى النفوس الضعيفه الريبه وحملتها على عدم التصديق والاضطراب بشكل عجيب جدا فقد تمكن العجب من نفوسهم ولهذا

استخدم اللام (للناس) التى تفيد التمليك والتمكن منهم فاتخذوا اختيار الله الرسول بشرى اعجوبه يتفكهون باستغرابها وكان مشاركه الرسول لهم فى صفات البشريه يمنع اختصاص الله باختيار من يشاء فهذا ليس محل عجب وانما يدل على الجهل بانعام الله وإحسانه على الإنسان بأن أرسل إليهم رسولا منهم يعرفونه يتحدث إليهم بلغتهم لاقامه الحجه عليهم وبشيرا للمؤمنين بما اعد لهم الله فوظيفه الرسول هو انذار الناس بالعذاب لان الانذار عام متعلق بالناس أما البشاره فمتعلقها خاص وهم الذين آمنوا ولهذا قال تعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) فالرسل بشر مثل بقيه الناس لكن الله يختار من يشاء والرسل مع البشر كلهم عباد الله لكن هكذا هو حال الناس عندما يعم الجهل وعندما يكون الحق والعلم النافع محارب وأهله مطاردون فإن أهل الباطل يخافون من ظهور الحق لانه يقضعلى امتيازاتهم وظلمهم وهم يحاولون اثاره الشبهات لمنع رؤيه الناس للحق ولهذا تبين لنا الآية رد الملاحده بعد ذلك لقد قالوا (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) فقد عرفوا أنه الحق وعجزوا عن مناهضته وهم يعرفون لغته ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله فدلت الايه أنهم كانوا فى حيره من أمرهم وقد عجزوا ولهذا لجأوا إلى تشويه سمعه النبى من خلال اتهامه بالسحر هكذا هم الملاحده فى كل زمان ومكان بل إن جاهليه هذا الزمن اشد واعتى والملاحده فى هذا العصر أقبح لان اهل العلم مطارودن فهم بين سجين أو مطارد والناس بين ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد مصدود عن نصره دينه ممدود فى صنعته اضافه الى التفرعات والجزئيات التى انحدرت إليها الأقلام وغرابه التحليل وكثرة التعليل قد خلط الأمور خلطا يصعب معه التميز الواعى وضياع الحق البلج بما اكتنفه عبر الزمن من ضبابيات الباطل وأهله وحذف واضافات حمله الأقلام وفق انتمائهم وتوجيهاتهم الفكريه فإن هذا كله أدى إلى خوض الملاحده فى اصوال الدين مستغلين انشغال أهله عنه فصار عرضه لمن شاء أن يتعرض فيه حتى عاد إلى مثل الأمر الأول فإذا كان مشركى مكه قد زعموا أنه سحر واضح فإن ملاحده جهله هذا العصر يتطاولون على نصوصه زاعمين أنه شعر وأنه كلام اخترعه الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه لايصلح لهذا العصر وأنه تخلف فملاحده هذا العصر أقبح من ملاحده قريش لان كفار قريش كان منهم من استبان له الأمر عاد إليه رشده وابصر قصده فتاب واناب وعرف من نفسه الحق تقريره طبعه وقوه إتقانه لا لتصرف لسانه أما الجهل فى هذا الزمن فهو اغلب والملحدون فيه عن الرشد ابعد وعن الواجب اذهب ولهذا فإن مهمه الدعاه اليوم يجب أن تركز على. ازاله الشبهات التى يستخدمها الملاحده كسلاح نفسى كى يشكل حاجزا يمنع الناس من مجرد الاستماع لاهل العلم بتصويرهم بصوره بشعه حتى يصرفوا العوام عن أهل العلم مثلما كان يفعل ملاحده قريش لمنع اهتمام الناس بدعوه الرسول ولمنع اقتدى الناس به والاستماع لخطابه فنحن نرى وسائل الإعلام اليوم تشيطن العلماء لاجل أن تهز ثقه الناس بهم فلا يرونهم اهلا لان يسمعوا منهم ويقتدى بهم ولأجل اثاره الريبه منهم حتى لايستجاب لدعوتهم أن الملاحده فى كل زمان يلجأون إلى تسخير جميع إمكانياتهم للحط من قيمه الدعاه إلى الله وتحطيم مكانتهم ومهابتهم عند العامه فينصرف عنهم الناس فلا يقتدى بهم ولايسمع لهم فالدعايه الاعلاميه حرب يتعرض لها الدعاه فى كل زمان الغرض منها الصد عن دين الله

ولهذا نجد أن الآيات وردت تتناول إثبات حقيقه الوحى بأنه من عند الله واثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه السوره تتناول إثبات هذا الموضوع عن طريق التذكير بالايات والتأكيد أن ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله فهو منسجم مع سنن الكون وان مافيه مصلحه للناس ولاتستقيم حياتهم الابه فكانت هذه المقدمه ذات دلاله تنسجم مع حال المشركين فى هذه المرحله التى بلغت عدواتهم للإسلام ذروتها فلم يعودوا يطيقون ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى نهايه فتره الدعوه الجهريه وقبل الهجره فكان هذا النداء الاخير لهم فهم كما يفهم من الآيات كانوا قد عجزوا عن مناهضه الدعوه والمعجزه التى تحداهم به رغم انهم يعرفون الفصاحه والبلاغة فهم من ذوى الصنعه وبرغم شده عدواتهم وانهم ناصبوه الحرب الاانهم عجزوا عن

الإتيان بمثله فلم يتوصلوا إلى مناهضته فالعدو يقصد لدفع عدوه بكل ماقدر عليه من المكايد فكان عجزهم عن مناهضه القران دليل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته وصدق ما جاء به أنه من عند الله فدلت هذه المقدمه على أن ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم رحمه من الله وأنه قد جاء معه المعجزه الموكده صدقه ثم انتقلت بعد ذلك الآيات إلى محاوره المشركين فى هذه المقدمه إلى دعوتهم للإيمان بالله فى الوهيته باسماءه وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه وكلماته وزواجره والايمان بربوبيته والتوكل عليه والاستعانة به تعالى فى كل أمر اي الدعوه الى عباده الله وحده لا شريك له فأخبرهم ان الذى خلق الكون هو المستحق للعبادة وان الذى بدأ الخلق قادر على إعادته فالاعاده اسهل من البدء فكانت هذه المقدمه فى إثبات الايمان بالله وأفراده بالعبوديه والربوبيه والالوهيه وإثبات البعث والنشور والحساب والعقاب مناسبه لإقناع المخاطبين فلابد أن يكون مخاطبه الناس بما يعقلوه حيث وان المشركين لم يكونوا ينكرون أن الله هو خالق السماوات والأرض والكون كله فهم يقرون بذلك لكنهم ينكرون ربوبيته تعالى ولايرغبون على ذلك الاعتراف نتائج منطقيه وكذلك يقرون أن الله بدأ الخلق ولكنهم يستبعدون اعاده الإنسان إلى الحياه بعد الموت ولهذا كانت هذه المقدمه لاجل أن يستفيق هؤلاء من غفلتهم بهذه الاداله المنطقيه بأن من خلق الكون والإنسان وكل شىء له الأمر والحكم فإذا كان الله هو المدبر لحركه هذا الكون فإن الإنسان من مخلوقات الله ولهذا فإن الخالق هو الذى يحدد ما يصلح للإنسان وما لايصلح فعله هو الذى له الحق أن يحدد للإنسان ما يفعل وما لايفعل ولهذا فإن الإنسان لاوسيله له لمعرفه مراد الله الا بالوحى فالقران فيه سعاده الإنسان لان مافيه من أحكام من عند الله الخالق لكل شىء ثم اذا كنتم تقرون أن الله بدأ الخلق فلماذا تستبعدون قدرته على الاعاده أليست الاعاده اسهل من الخلق

الأمر الثالث

تهدف الآيات الى اقناع المخاطبين بشخصيه الرسول والرساله لاستجلاب استجابه الناس ولهذا تركز ايات هذه السوره على أمرين الأول إثبات وتأكيد الوحى والرساله فى (٥٥)ايه تتحدث عن هذه الحقيقه مبينه أن أبواه المنهج هى التى ينتسب إليها المؤمنون ولهذا تركز السوره فى الشق الثاني منها على بيان أن أعمال الناس والتزامهم بهذا المنهج تقسمهم إلى فريقين مؤمن وفريق كافر فى (٥٤)

ولهذا فإن الالتزام بمنهج الله فيه السلامه والسعاده فى الدنيا والاخره فالمنهج فيه استعاده كرامه الانسان ومكانته في الكون فالخروج عن منهج فيه خروج الإنسان عن شرف الخلافه ويفقد مكانته فالعبوديه لله فيها السلامه والنجاه ولهذا نجد السوره سميت باسم يونس والملاحظ أن السوره تناولت ثلاث قصص قصه نوح الذى غرق قومه بالطوفان وقصه فرعون الذى غرق بالبحر وقصه قوم يونس الذى سميت السوره باسمه لقوله تعالى (الا قوم يونس) الايه (٩٨)

حيث اغرق الله قوم نوح واغرق فرعون بالماء وكان نجاه يونس من بطن الحوت بعد أن قذف فى البحر اى فى الماء فأراد بهذه التسمية بيان ماهو طريق النجاه بالإيمان واتباع منهج الله وكذلك تبين الايه أن اللازم على صاحب الدعوه الصبر والتحمل لانه فى بداية الأمر يسعى لبث أفكاره ومعتقداته من خلال السعى لإقناع الناس بشخصيته وكسب ثقتهم وهى من أصعب المراحل فى حياه الداعيه وتتطلب الصبر والثبات والعزيمه القويه ولهذا نجد تسميه السوره باسم نبى الله يونس هذا النبى الصالح الذى ترك قومه غاضبا لما كان منهم من العناد والإصرار على الكفر وعند خروجه وذهابه عنهم ركب السفينه وتعرضت لخطر الغرق فكان اجراء القرعه بينهم لاجل إلقاء أحدهم كطعام للحوت المفترس لمنع غرق الجميع فوقعت القرعه على سيدنا يونس فالتقمه الحوت

فأراد بهذا بيان أن اللازم على الداعيه الصبر فى سبيل الله فلا تترك ميادين الدعوه لان القوم لم يستجيبوا لما تدعوهم إليه ولهذا سميت السوره باسم يونس عليه السلام واختتمت بقوله تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

وفيها أن اللازم على المسلم أن يقيم حياته على محبه الله وان ندوام على ذكر الله تعالى فذلك هو سبيل النجاه والسلامه عليك أن تستعين بالله وقت الكروبات والظلمات فهذا هو سبيل النجاه فنجاه يونس كانت بقوله (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين)

كيف نادى يونس أنه مهموم ومكظوم لكنه التجاء بالدعاء إلى الله لم يستعين باحد غير الله تعالى. أنها كلمه التوحيد والإخلاص والعبودية والربوبيه نادى بها اعتقادا وقولت وعملا وأظهر الخضوع والاذعان والانقياد الكامل لله والأمر الله اظهر اعترافه بالتقصير وبخطئه (انى كنت من الظالمين)

فكانت هذه الكلمات أسباب اجابه الله لدعوه يونس فانجاه الله فهذا هو طريق النجاه والسلامه قال تعالى (وكذلك ننجى المؤمنين)

وقد قيل إن هذه الايه تتضمن اسم الله الاعظم من دعا بها أجاب وهنا قد يقول قائل

لماذا ندعو الله بهذه الايه ولايستجاب لنا ؟

أن جواب هذا هو من أحد العارفين لتلميذه الذى سأله ما اسم الله الاعظم قال ان تقول الله وانت تهابه فقال التلميذ انى كثيرا ما اقوله ولاتد خلنى هيبه قال الشيخ انك تقوله من حيث انت لامن حيث هو

فالهيبه شعور نفسى تعنى أن تستحضر عظمه الله وجلاله فى قلبك تعنى أن تنظر إلى أنك تسال ذو الجلال والاكرام

فاسم الله الاعظم يتوقف على حال العبد على إحساسه القلبى وحقيقه مشاعره أن الوصول إلى. اسم الله الاعظم يتوقف على حب العبد لله عز وجل فكلما أخذ العبد حظه من حب الله دنا من حقيقه اسم الله الاعظم

يعنى أن ذلك متوقف على حب العبد لله فما علامه حب العبد لله انها اتباع منهج الله فقد ادعى أناس حب الله فأنزل الله ايه المحبه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فصارت طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم علامه حب الله تعالى ولهذا يقول محى الدين ابن عربى أن الله خلق العالم ليقدم العالم حبه إلى الله ويري. ابن القيم أن الله خلق العالم ليعبده العالم والعباده هى قمه المحبه وكمالها ولهذا يقول يجيب الحق عن اسئله الناس من هو الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى يدعوهم الرسول للإيمان به فقال تعالى

(أن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى سته ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون)

اى أن الذى خلق الكون ويدبره بهذا الاتقان والنظام الدقيق هو المستحق للعباده التى هى قمه المحبه وكمالها فشهاده لا اله الا الله تعنى خروج الإنسان من غربته ووحدته باتصاله بالله فالله يريد طاقه الناس ومواهبه من

السكون فإذا شهد الإنسان بأن له ربا يبسط عليه خيام المن الالهى والرحمه وايقن أنه ليس وحده فى الكون فإنه يتحرر من الخوف والغرابه وتتحرر طاقاته ومواهبه من السكون

فالحب العظيم لايليق الا بالعظيم وهو حب الله تعالى فنحن نحب الله نكمل ذواتنا الناقصه ولهذا يريد منا أن نعرف أنه تعالى له دعوه الحق فلا نتعلق بما سواه لان جميع من فى السماوات والأرض هم مخلوقات الله وهم عبيده ونحن جزء من هذه المخلوقات اوجدنا الله من العدم ونحن فى قبضته ولهذا فنحن بحاجه الى المنهج الذى تنسجم حركتنا فيه مع حركه الكون وهذا ما يتطلب أن نلتزم منهج الله فهذا من رحمه الله وانعامه علينا فلا نحتاج إلى وساطه بيننا وبين الله

ولما كانت الايه تدعونا الى عباده الله وحده لا شريك له فى جميع أمور حياتنا والعبادة هى قمه المحبه وكمالها وفق تعريف ابن القيم فإن علينا أن ندرك أنه تعالى عندما يريدنا أن نحبه قد سبقنا بالحب لان الناس اعتادوا أنه لايطلب أحد من اخر أن يحبه الا اذا سبقه بفضل الحب ولهذا نجد الآيات تتحدث عن فضل الله علينا وإحسانه ابتدأ والايجاد من العدم والبعث انتهاء ثم إن ابتدأ السوره بالحروف المقطعه تعطينا إحساسا بنعم الله علينا فحرف واحد يمكن أن يقود الإنسان إلى الله لو فكر الإنسان بقدره الله المتمثلة فى خلق الحروف وخلق الكلمات التى جعلها رموزا وإشارات وجعلها خطوطا تحتوى داخلها على الكون الأكبر تمتلك انت ايه الإنسان التعبير عن الاكتشافات والأفكار والأحلام أن هذا كله من رحمه الله وعطاءه وانعامه عليك فهذا هو الذى يميزك عن الحيوان وسائر المخلوقات الحروف وكتابتها فعندما تكتب اللغه وعندما تولد الحروف تومض الحضارات وتنشا العلوم والفنون ويولد الحب

ولهذا يفهم سبب تسميه هذه السوره باسم نبى الله يونس وهى اول سوره سميت باسم الانبياء واول سوره وردت بحروف (الر) يليها سوره هود ثم الرعد ثم ابراهيم ثم يوسف ثم الحجر فابتدات بنبى الله يونس ذا النون اى ذو الحروف وكتابتها لاهميه ذلك بالشعور بمعيه الله فالاتصال بالله اول شى يجب أن يتعلمه المسلم كمعرفه نظريه

فأراد الحق بهذا منك أن تتذكر قصه يونس الذى انجاه الله تعالى تذكر أن لك ربا يسمع النداء ويزيل الكرب يسمع الكلمات فكان هذا مناسبا لافتتاح سور الانبياء بسوره يونس نظرا لأن السوره تتحدث عن كرامه الانسان بأنه يكون بمعرفه الله ومحبته وطاعته وعبادته وحده لا شريك له وهذا يكون بالعلم باسماءه وصفاته وأفعاله وأمره ونواهيه عن طريق الوحى ولهذا فإن البشريه بحاجه الى بعثه الرسل وانزل الرسالات حيث أنها فيها كمال الإنسان وحمايته من الانحطاط فقيمه الإنسان بالإيمان وبدون الايمان والعلم ينحط الإنسان ولايدريك قيمه نفسه للرد على تعجب اولئك الذين استغربوا من ارسال الرسول بشرى فلم يدركوا قيمه أنفسهم لان الانسان بدون المنهج الذى يحرره من القيود التي تعطل العقل والتفكير ومن الاغلال التى تقيد حريه الإنسان تفقده إدراك قيمه نفسه ولهذا فإن نجاه الإنسان من الظلم والجهل يكون بالعلم بالماده وخالق الماده يكون بالسير وفق منهج الله

والملاحظ أيضا أن عدد الآيات التى انتهت بحرف النون (٩٨) وهذا موافق مع رقم الايه الكريمه التى كان تسميه السوره بها فالسوره لم تتحدث عن يونس وقصته وانما تحدثت عن قوم يونس للاشاره أن التوبه والايمان قبل فوات الأوان فيه النجاه والسلامه للامه فالسوره تدعوا الناس إلى استغلال الفرصه قبل فوات الاوان فالتوبه مفتوحه تبين فضل التوبه والرجوع إلى الله فإنها تدفع العقوبه وترفعها فهؤلاء قوم يونس لما آمنوا رفع الله عنهم العذاب فالغرض من هذه التسميه دعوه الناس إلى التوبه قبل أن يبغتهم العذاب

يريد منهم أن يدركوا أن التسبيح وذكر الله وشكره فيه النجاه فالله قد قال عن يونس (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) تبين أن الأعمال الصالحه فى أيام الرخاء ترافق العبد وقت الشده كما قال الرسول تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشده) ولهذا عندما وجد يونس فى بطن الحوت ذكر ربه فدعاه فاستجاب له ربه وأما فرعون فقد عرف ربه وقت الغرق فدعا ربه فوضع جبريل فى فم فرعون ترابا قبل أن تدراكه رحمه الله فهو ارحم الراحمين

ثانيا

بعد بيان صدق الرسول والرساله تنتقل الآيات إلى دعوه الناس إلى الايمان بالله ومعرفته ومحبته وافراده بالربوبيه والالوهيه وعبادته وحده لا شريك له ويدعوهم إلى الايمان باليوم الاخر والحساب والعقاب فقال تعالى (أن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى سته ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)

المبحث الأول

انه بالوقوف على الايات نجد أن الحق يتوجه بالخطاب إلى العقل الإنسانى يحاوره فيها ويطلب حضوره لانه تعالى قد كرم الإنسان بهذا العقل الذى ميزه عن غيره من المخلوقات

ولما كان الإنسان كائن موصوف بأنه (أكثر شى جدلا) فهو لايكف عن طرح الأسئلة عن نفسه قبل مجئيه ووجوده وبعد وجوده وعن الكون وعن كل شى يسأل من خلقنا ومن خلق هذا الكون وما الغايه من الخلق وماهو مصيرنا بعد الموت وكيف يبعثنا الله

فالإنسان إذا بحث فى كيانه سيجد الف لماذا وآلاف كيف من الاستفسارات ؟

فهذه هى طبيعه الانسان من الطبيعى أن يطرح على من يدعوه للإيمان بالله واليوم الآخر مثل هذه الاستفسارات فالسؤال عن معرفه من هو الله وماهى صفاته وماهى أفعاله وماهى. الجنه والنار وماهو الجزاء على طاعتنا ولهذا تأتى الآيات بالإجابة عن هذه الأسئلة فكانت البدايه التى يجب أن تنطلق منها فى معرفه الله (أن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى سته ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون)

الأمر الأول

ابتدأت الايه بدعوه المشركين إلى الإقرار بالواهيه الله وربوبيته وحده لا شريك له وافراده بالعبوديه لان المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى هو الخالق للسماوات والأرض

لكنهم يشركون فى عبادته كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)

ولكنهم لايرتبون على هذا الإقرار نتيجه منطقيه بأن يفردوا الله بالعبادة ولهذا قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) لان الاعتراف بأن الله تعالى وحده الخالق للكون وخالق كل شى يوجب الإقرار بما يستحقه

تعالى من العباده وحده لا شريك

له فلا يكفى الاعتقاد بأن الله خالق العالم فإن هذا لا يجعل العبد موحد حتى لو أقر لله بما يستحقه من الصفات ونزه عن مايجب تنزه منه واقر له بأنه خالق الكون فإنه لايكون موحدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعباده الله وحده لا شريك له فالاله هو المالوه المعبود الذى يستحق العباده وحده لا شريك له وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شى وخالقه يكون عابدا له دون ماسواه داعيا له دون ماسواه راجيا له دون ما سواه يوالى فيه ويعادى فيه ويطيع رسله وبأمر بما أمر به وينهى ما نهى عنه فعامه المشركين اقروا بأن الله خالق كل شى واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له اندادا كما قال تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) فمنهم من كان يعبد الشمس ومنهم من يعبد الملائكه ومنهم من يعبد النجوم والقمر والاصنام زاعمين أنهم يتقربون بذلك إلى الله زلفى ...ولهذا نجد أن الايه ابتدأت بتحديد

البدايه التى تنطلق منها عقيده التوحيد هو الإقرار بأن الله اكبر من الخلق والأمر فهذه الحقيقه يجب أن تملأ عقول الموحدين فهو تعالى اكبر من الكون الظاهر والكون الخفى الله اكبر من معجزات الانبياء وإشارات الملائكه ومعانى الكتب فالملائكه والرسل والأنبياء والكواكب والنجوم وكل ما فى السموات والأرض عباد من عباد الله ومخلوفات من مخلوقات الله

الله اكبر من كل شى وهو فوق كل شى ومع كل شى وخالق كل شى ووارث كل شى ولايشبه شى فهو ليس كمثله شى فهذه هى اساس المعرفه بالله تعالى

فيجب أن تحرر من كل عبوديه لغير الله فكل المخلوقات أشباه وامثال وكلهم عبيد لله

من هذه النقطه ينطلق العبد فى رحاب الكون خاضعا ومستسلما لله تعالى وحده لا شريك له ولهذا يخاطب الله المشركين ويدعوهم إلى الإقرار بالواهيه الله وربوبيته وحده لا شريك له وافراده بالعباده والواحدنيه لأنهم كانوا يقرون بأن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض فقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لكنهم لايرتبون على تلك الاجابه نتيجه منطقيه فهم يشركون فى عباده الله فقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

فليس المراد بالتوحيد اعتقاد أن الله خالق العالم حتى لو أقر العبدبما يستحقه الرب من الصفات و نزه الله عن كل ماينزه عنه لم يكن موحدا حتى يشهد أنه لا اله الا الله وحده فتقر بأن الله وحده المستحق للعبادة وحده لا شريك له فالاله هو المالوه المعبود الذى يستحق العباده ويلتزم بعبادته وحده لا شريك له وليس التوحيد مقصور باعتقادي أنه هو الإله القادر على الاختراع فليس كل من أقر بأن الله رب كل شى وخالقه يكون عابدا له دون ماسواه فالمشركون اقروا بأن الله خالق كل شى واثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له اندادا فقل تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله)

الأمر الثانى

تبين الايه أنه تعالى فى البدء كان الله ولاشى مع الله ولاشى غير الله قائم بنوره وكبرياءه وحده فخلق الله السموات والأرض والإنسان وكل من فيهما فهو تعالى استغنى بذاته وافتقر إليه من عداه ولا كان هناك ماعداه ولأنه تعالى هو الله وهو الخالق ولأنه سبحانه وتعالى يعلم افتقار من لم يخلق بعد من خلقه إليه ولأن مشيئته تنفذ بمجرد توجهها إلى الشى تشاء أردته الخلق فيأمر الكون بالمثول بين يديه حضورا من العدم طائعا أو كارها فيمثل الكون ساجدا بين يديه ثم تشاء أردته أن يخلق الخلق فيخلق ادم ويستمر فيض الرحمه الالهى والعطاء فيخلق حواء ثم ينزل الكتب السماويه التى تبين للإنسان ماهو مراد الله وكيف يحقق الإنسان الغايه التى خلق لأجلها فقال تعالى (أن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى سته ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه)

فهذا هو الله المستحق للعباده وحده لا شريك له فليس كمثله شى ولهذا أرسل الرسل لتعريف الناس بربهم وخالقهم ومالكهم لانه تعالى لاتدركه الأبصار فلا وسيله لمعرفته الا بالوحى فدعوه الرسل كلهم اعبدا الله مالكم من اله غيره لان البشريه تبدأ مهتديه موحده ثم تنحرف إلى جاهليه ضاله مشركه ولهذا فمن رحمه الله ارسال الرسل لإنقاذ البشريه من وحل الوثنيه ومستنقع الضلال إلى رحابه الايمان فهدف الرسل اخراج الناس من الظلمات وتحرير العقول من الوقوع تحت سيطرة الخرافه والوهم فالله قد كرم هذا الإنسان واختاره ليكون خليفه له فى الارض وميزه بالعقل والوعى الذى يجعله يدريك بوعيه أنه عبدا لله ويشعر بالافتقار إلى الله وعدم القدره على القيام بأمر نفسه بدون معونه الله ولهذا فهو يسعى إلى الاتصال بالله بالعباده فيستمد قوته من العبوديه لله فيتحرر من كل الطواغيت التى عطلت عقله وينزع كل مافى قلبه من اهواء وشهوات وشبهات تصده عن الانقياد لأمر الله فالعبوديه خالصه لله فتصير حياته كلها هى طاعه الله وامتثال أمر سيده فهذا ما كان يتبادر إلى ذهن العربى عندما يسمع كلمه العبوديه فاساس الخضوع لله هو الوعى بالله وعظمته وكماله وقدرته والشعور بالحاجه إلى رحمه الله ومعونته فاساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتى بالحاجه إلى من يملك النفع والضرر والحياه والموت ومن له الخلق والأمر ومن بيده ملكوت السموات والأرض وان يصدر الالتزام بالخضوع من قلب يحب الله وأساس محبه الله هو الشعور بفضله واحسانه ورحمته والإحساس بكماله وجماله

المبحث الثاني

تبين الايه أن الإنسان يعرف ربه بفطرته حيث خلق الانسان مفطور على توحيد الله ومعرفه معبوده ومحبوبه اى غرس فى الإنسان العلم الفطرى .. والتوحيد الفطرى ..والمحبه الفطريه ..فالانسان يعرف الحق ويحبه إذا سلمت الفطره من التلوث لان الانسان يحب الحق ويريده إذا عرفه لانه يري أنه فيه منفعته فلا يمكن لعاقل أن يترك ماينفعه إلى ما يضره ولهذا فإن مشاهده الإنسان لآيات الله فى هذا الكون لابد أن توقظ فطرته فيعرف ربه بزوال الاغطيه التى تمنع الفطره من معرفه الحق فإنها تذكر معبودها فهو معلوم لها فكلما قوى العلم حصل نفى الجهل فلا ينكر وجود الخالق إلا فاقد لعقله أو جاحد لاعبره فيه فاسلوب الدعوه يكون بالتذكير الذى فيه إيقاظ الفطره حيث أنه يغلب الهوى لكن احيانا يكون هنالك هوى يتطلب وجود خوف يحمل صاحبه على الخشبه ولهذا ياتى التهديد بعدها

فقال تعالى (إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا أنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)

فالرسل جميعا بعثوا مرغبين فى طلب الاخره والزهد عن الدنيا نتيجه ما عرفوا عن ربهم من اهوال يوم القيامه

وعذابه للكافرين وما عرفوا من نعيم الجنه ولهذا كانوا عندما يتحدثون مع قومهم يتذوق الناس كلامهم لأنهم كانوا ينظرون إلى النار والجنه كأنهما ماثلتان أمامهم فيرون الجنه ونعيمها ماثله أمام أعينهم فيدفعهم الشوق إلى الزهد عن الدنيا وينظرون إلى النار وجحيمها كأنها أمام أعينهم فيدفعهم الاشفاق إلى تجنب كل مايوصل إليها ولهذا نجد أن الانذار والتبشير لها أثر وصدى فى نفوس السامعين لأنهم كانوا ينذرونهم خوفا عليهم من العذاب العظيم الذى يعرفون شدته وعظيم هوله فهم مشفقون عليهم من هذا العذاب فى ذلك اليوم الذى سيبعثون فيه من جديد بعد موتهم بمقابله الله وليأخذ كل واحد جزاء ماقدم من عمل أن صالح لصالح وان شر فشر

ولهذا فإن الناس تتفاوت فى الخوف والخشيه تبعا للعلم الذى تعرف به هذه الحقائق فالانبياء علمهم اكبر واقوى ولهذا سمي خوفهم خوف الاعظام بينما العلماء خوف أقل من الأنبياء حتى نصل خوف الايمان فبقدر الخوف يكون دفع الهوى فإذا تغلب خوف الله على المانع والمعارض من طاعه الله واتباع الحق كان دفع هذا العارض اهون ويزول المانع وعندها يكون ترك الباطل ولهذا ناسب مجى الايه بعد التنبه على التذكير فقال تعالى (أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى

....الخ

فالإيمان باليوم الاخر ومافيها من سعاده دائمه أو شقاء دائم والايمان بما اعد الله للمؤمنين المطيعين من جزاء وما للكفار العصاه من عقاب يمثل حافزا مهم للتغلب على المانع والمعارض من الطاعه لانه يقلقهم سوء المصير. ويطير بالنوم من أعينهم فهو اقوى حافز وأعظم سلطان على نفوس المؤمن الموقن بوعد الله وتحقيقه فهو يري النار عن يساره والجنه عن يمينه ولهذا يسعى جاهدا لتزكيه نفسه والتنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر فالإيمان باليوم الاخر تجعل الإنسان يدفع شهواته ورغباته بعكس من لايؤمن باليوم الاخر فإنه يرى أن حياته سوف تنتهى بعد زمن وهو لايؤمن بالرجعه ويجد فى نفسه الكثير من الرغبات والأهواء والشهوات فيحرص على أن يشبع رغباته وأن ينال اكبر قدر ممكن منها قبل أن يموت فلا يرده عن ذلك شيئا فهو لايبالى بالآخرين وكل اهتمامه ذاته واهواءه وهذا يودى إلى نشر الشرور والجرائم

ولهذا ابتدأت الايه بقوله تعالى (إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين...الخ

أن خالق هذا الكون الذى أتقن صنع كل شى وأوجد الإنسان وميزه بالعقل وكرمه فى خلقه باحسن الهيئات وجعل الكون مسخرا لخدمه الإنسان وزدواه بالسمع والبصر والفؤاد التى يفقه بها وينتفع بها فإن الحياه القصيره ليست غايه هذا التميز للإنسان فهل يتساوى الإنسان مع الحيوان بالنظر إلى زوال هذه الدنيا فلابد من حياه أكبر وأعظم من الحياه الدنيا يتم بها المؤمن سعادته انها الحياه الاخره ولأن المشركين كانوا يستبعدون العوده للحياه بعد الموت وينظرون أنها مستحيله لهذا يخاطبهم الله بما يعقلونه (أنه يبدؤا الخلق ثم يعيده) فهم لاينكرون أنه يبدأ الخلق لهذا يقول لهم أن الاعاده اسهل من البدء فلماذا تستبعدون قدرته تعالى على اعاده الناس للحياه ولأن من شبهه المشركين أنهم كانوا يرون أنه لاحكمه من العوده بعد الموت لهذا يقول تعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)

ان عدل الله وحكمته تستبعد أن تكون الحياه الدنيا نهايه المطاف فالمؤمن قد يناله أذى فى الدنيا من الطغاه فيموت دون أن يجد العداله من الظالمين وبالتالى فإن الحياه الاخره تجعل العبد يطمئن أنه سيقف هو وخصمه بين يدى الله تعالى الذى سيحكم بين عباده وينصف المظلوم

فلا يمكن أن يتساوى المطيع مع المجرم فاختلاف أحوال الناس من حيث الصلاح والفساد وما يجرى بينهم من ظلم وعدوان وتسلط القوى على الضعيف والغنى على الفقير تعنى أن يتم الحساب والعقاب بأن ينال المحسن الثواب على إحسانه وينال المسئ العقاب على إساءته فمن أعظم مظاهر العدل والحكمه أن يبعث الناس لحياه أخرى يجمعهم الله فيها ويحاسبهم ويجازيهم الجزاء الاوفى ولهذا جاءت الآيات بلام التعليل (ليجزى) وقدم بالذكر ثواب المؤمنين تشريفا لهم ولأجل أن يطمئنوا بالثواب على أعمالهم وليكون ذلك دافعا لهم للقيام بأعمال الخير والبر ونشر الفضيله والراغبه فى الاحسان لما يجده من اليقين بأنه سوف يلاقى ثواب ماقدمه عند الله فيكون ذلك حاملا على الصبر واحتمال الأذى والشدائد فى سبيل الله كما أن التهديد للكفار بالعذاب وشراب الماء الحار شديد الحرارة والعذاب الأليم يحمل أصحاب العقول على كف اقتراف الشرور والاثام والكف عن البغى والظلم والفساد لما يعلمه أنه سوف يلقى ربه ويحاسبه على أعماله فكل ماعمل قد احصاه الله عليه صغيرا وكبير من أعمال ولن يفلت من قبضه الله

ثالثا

تستمر الآيات بإظهار الاداله والبراهين على وجود الله وانعامه وإحسانه ورحمته وتدبيره لشئؤن الخلائق وأنه المستحق للعباده وحده لا شريك له وبيان البعث والنشور والحساب والعقاب والقضاء والقدر واثبات صدق الرسول والرساله وهى نفس الاغراض السابقه ولكن الآيات السابقه كانت مجمله وهنا تأتى بتفاصيل ما أشارت إليه من قدره الله وعظمته وكماله وهمينته على الكون كله كما يتضح من الاتى

المبحث الأول

فقال تعالى(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنن والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون أن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون)

لما كان الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يتسال من خلقه ولماذا خلق وماهى صفات الخالق فطبيعه الإنسان أنه لايتوقف عن طرح الأسئلة نظرا لأن الإنسان ميزه الله بالعقل

فهو أكثر شى جدلا كما وصفه الله ولهذا تستمر الآيات بإظهار الاداله والبراهين على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته وتدبيره لشئؤن الخلائق وانعامه وإحسانه ورحمته بشكل أكثر تفصيل فالعقيده الاسلاميه تحترم العقل الإنسانى ولهذا نجد أنها تحاوره وتطرح الادله التى ترد على استفساراته فمن حقه أن يبحر بعقله فى بحار المعرفه لكن هنالك منطقه واحده محرمه فيها الاسئله أنها الاسئله المتعلقه بذات الله فلا يجوز للعقل الخوض فى ذات الله لأن ذات الله تتجاوز طاقه العقل البشرى تتجاوز قدره الفكر الانسانى فهو تعالى لاتدركه الأبصار فالعقل مخلوق لايدل الا على مخلوق مثله

والعقيدة الاسلاميه هى أكثر العقائد تحترم العقل ولهذا تبين له حدود العقل التى يتوقف عندها ففى دنيا الغيب لايلجا المسلم إلى العقل إنما يلجأ إلى الوحى يأخذ منه ويكتفى به ويصدق رسوله

فذات الله ليست مجال للخوض فهو تعالى الخالق وبالتالى لايمكن أن يكون الخالق مثل المخلوق فهو ليس كمثله شى ولايمكن أن تطبق قانون المخلوق على الخالق لان المخلوق لابد له من خالق وكل موجود لابد له من موجد

أما الخالق فيتعالى الإله أن تدركه الأبصار وجلال الالوهيه يتعالى على احتياج الإله موجد ولهذا عندما تخطر مثل هذه الأسئلة الى الذهن كان تقول من خالق الله ..أن تقول امنت به تعالى كما أخبر عن نفسه فى كتابه

عليك أن تستبعد مثل هذه الأسئلة فهى مرفوضه عليك أن تستبعد هذا السؤال وترد العقل إلى الصواب والايمان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من وجد شيئا من ذلك فليقل امنت بالله)

فالمعرفه أن تعرف الماده بالتجربه والمشاهد ه أما معرفه خالق الماده فإنما يكون بما وصف نفسه فى كتابه ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفكير فى ذات الله فقال تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى ذات الله فتهلكوا)

ولهذا نجد أن الايه تتحدث عن أفعال الله المشهوده فى الكون ونفس الإنسان لتبيان أفعاله النظرية التى تحدث عنها فى كتابه فقال تعالى (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنن والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)

فكأنه تعالى يقول لنا إن كنتم تشكون فيما أخبرتكم به فى كتابي فعليكم أن تتفكروا فى هذا الكون وتتدبروا مافيه فكل شى فى هذا الكون يتحرك وفق تدبر الله

فالانسان يجد نفسه يوما ما موجود فى أرض لم يختارها ولم يختار والديه ويعيش فى الارض فيشرب مياوها ويتنفس من هواء وياكل من انعام الله لايستطيع الادعاء أنه اوجد هذا غير الله يرى الشمس تشرق كل يوم وتغرب كل يوم ينير القمر الأرض لا الليل يسبق النهار ولا الشمس تسبق القمر فكل منها يتحرك فى مساره لايمكن لأحدهما أن يتجاوز حدوده المقدره فلو لم يكن هنالك مدبر ينظم سيرها من وراء الحجب لاختل نظام الكون كله فهذا دليل نافع المتفكرين فى هيئه الافلاك لان هذا النظام الفلكي يضم عددا لايحصى من الإجرام الضخام بحيث أنه لو وقع فيها خلل ولو كان بسيطا جدا النهار العالم كله فما أعظمها من قدرة تتحكم فى هذه الإجرام بحيث لاتتصادم ولاتغير من سرعتها قيد شعره ولا هى تاكلت ولا اندثرت ولا حدث نقص فى ادواتها واجزائها مع استمرار عمل الشمس لأكثر من خمسه الف سنه وسوف تستمر إلى إلى مايشاء الله فلولا لم يكن هنالك مدبر لما أمكن هذا النظام الضخم من تلقاء نفسه منذ سنين لاتحصى إن لم يكن هنالك فوقه مهيمن حفيظ عليك أن تسأل نفسك من المسئول عن اعجاز النظام الذى يسود الكون فلا يمكن أن يكون المسئول هى الصدفه لان القول بذلك يعنى الإقرار بعدم التدبير أو الفوضى يمكن أن يقود إلى احتمال يودى إلى النظام وذلك أمر لايقبله المنطق كما يقطع العلم باستحالته فهل يصح القول إن قصور تم تشيدها ثم جعلت الاراكه تستقر فيها وتهوى إلى القصر من كل مكان ثم تعلقت الكريستال فى سقفه بدون مساعده من أحد أو بحسب الصدفه

أن هذا التدبير يدل أن هنالك مدبر مهيمن على هذا الكون فالله تعالى هو المسئول عن حركه الكون بهذا النظام الدقيق ولهذا قال تعالى (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) لبيان أنه تعالى الذى يدبر الكون فقال تعالى (وهو الذى جعل)

فالجعل جاء بامرين جعل الشمس ضياء وجعل القمر نورا فالله خلق كل شى لحكمه ولغرض وغايه تسعى إليها كما قال تعالى (ربنا الذى اعطى كل شى خلقه ثم هدى)

ولهذا فإن كل بحث فى الكون يقود الى اعجاز الله وعنايته ويدل على عظمته وحسنه وإحسانه ولهذا يلفت الله

عباده إلى دليل العنايه فكل شى فى هذا الكون محكوم بالعنايه الالهيه فيقول لك الله أنه تعالى هو الذى سخر الشمس لتمد الإنسان بالضياء اى النور مع الحراره وسخر القمر ليمد الإنسان بالنور اى الضوء فالشمس تعطينا بالضوء والحراره ولهذا سمى نورها ضياء لانه تضمن الدف والحراره والنور أما القمر فإنه يمد الأرض بالنور ولهذا لايحتاج الإنسان إلى الظل من ضوء القمر لانه ليس فيه حراره وهذا لأن الإنسان فى النهار يحتاج إلى الضوء والحراره والدف أما فى الليل فهو يحتاج إلى الضوء الذى ينير ضوء بلا حراره لماذا لأن ضوء الشمس صادر من الشمس وهى مصدر الطاقه أما ضوء القمر فهو انعكاس لضوء الشمس حيث خلق الله تربه القمر تربه بلوريه مهمتها أنها تعكس اشعه الشمس لتنير الأرض فى الليل فاشعه الشمس حاده لتناسب النهار وحاجه الإنسان والمخلوقات كلها واشعه القمر لطيفه لانه يظهر فى الليل ويحتاج إلى جو لطيف فضوء الشمس ذاتيا بينما ضوء القمر غير ذاتى وانما يكتسب ضوءه من اشعه الشمس حين ينعكس عليه فهو مثل المرآه حين يسلط عليها بعض الضوء

أما مصدر الطاقه فى الشمس فقد ذهب علماء الفلك للقول إن مصدر ذلك غاز الهيدروجين الذى حصل تفاعلات نووته فحصل انفجار نووى الهيدروجين فتحولت نتيجه هذا التفجير إلى هيليوم تمد الأرض بهذه الطاقه منذو أكثر من خمسه الف مليون سنه وسوف تستمر خمسه الف مليون سنه أخرى وحراره سطح الشمس تبلغ ٦٠٠٠درجه و١٥مليون درجه فى عمقها ولو ألقيت الأرض فى الشمس لتبخرت فى ثانيه واحده ولو انطفت الشمس فإن الحياه سوف تتوقف على الأرض واشعه الشمس الفين مليون جزء لايصل منها إلى الأرض إلا جزء واحد ولهذا فإن ملائمه الأرض للحياه تتخذ ملايين الصور التى لايمكن تفسيرها على أساس المصادقه وانما يستقيم تفسيرها بدليل العنايه فلو ازيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالى عن الشمس لنقصت كميه الحرارة التى تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحاليه واذن لتجمدت المحيطات والبحار ويغلف الأرض كلها جليد تنتحر فيه الحياه ولو نقصت المسافه بين الأرض والشمس الى نصف ماهى عليه لبلغت الحراره التى تتلقاها الأرض اربعه امثال ولقلت مياه المحيطات وتبخرت وسط حراره تموت فيها الحياه ذلك أن الماده الحيه تحتاج إلى بئيه كبيئه الأرض لكى تعيش والكواكب الذى يحمل كائنات حيه لابد أن تتروح درجه حرارته بين الصفر و١٠٠درجه مئويه وهو المدى الذى يمكن للماء فيه أن يوجد كسائل أما فى الأجواء التى تزيد بردوتها عن ذلك فإن التفاعلات الكيميائية لاتتم الا ببط بالغ وفى درجه الحراره التى تزيد على ذلك فإن من شأن الحراره أن تحطم الصلات القائمه بين ذرات الهيدروجين والكربون وهى المقومات الأساسية للماده الحيه وهكذ فإن كل شى على الأرض محسوب بدقه ومقدر بعنايه وهذا مايطلق عليه علماء التوحيد بدليل العنايه فقال تعالى (وقدره منازل) فظاهر الأمر أن الضمير يعود على القمر لكن الواقع أنه يعود على الشمس والقمر معا لانه قد ذكر بأنه جعل فاسم الجعل هو أنه سبحانه وتعالى جعل الشمس ضياء وجعل القمر نورا أنه عنايه من الله بالإنسان فهو يحتاج إلى تحديد الأوقات وحساب الشهور والسنين تحتاج إلى أن تعرف اوقات الصلاه وشهور الحج والصيام يحتاج إلى أن تعتد المراه عدتها ولهذا تأتى الآيات بتعليل ذلك فقال تعالى (لتعلموا عدد السنن والحساب) فقد جعل من دوره الأرض حول نفسها وحول الشمس دليل توقيت للناس. فالشهور تعرف بالاشهر الهلاليه لقوله تعالى (أن عده الشهور عند الله اثنا عشر شهر فى كتاب الله ...الخ وقال تعالى(يسالونك عن الاهله قل هى مواقيت للناس والحج) فالقمر له منازل وكذلك فإن الشمس لها منازل يتحرك فيها ولهذا كان اختصاص الحكم بالقمر وان اعيد الى اول الكلام تعلق بهما لان تقدير القمر منازل يقتضى علم عدد السنن والحساب فالايه تتحدث عن عنايه الله كدليل من اداله التوحيد تهدف إلى. لفت الإنتباه إلى النظر الى ابداع الله فقد وهب لكل شىء خلقه بحسب حاله ثم هداه الى ما يستكمل به غايته التى خلق لأجلها ولهذا يقول تعالى بعدها (ماخلق الله ذلك إلا بالحق)

والحق هو الثابت الذى لايتغير يدعوك إلى تأمل دليل الحركه فكل شى فى الكون يتحرك وان بدا شكله الخارجي ثابتا انظر الى الافلاك وحركتها انظر الى الشمس ومسارها والقمر وحجمه فاللّه خلق الكون بالحق فهو محكم وفق نظام دقيق فمن المسئول عن حركه الكائنات من هو المسئول عن انضابط قوانين الحركه وانسجامها بحيث لاتصطدم الشمس بالقمر ولانقترب الشمس من الأرض فتبتعلها الشمس من هو المسئول عن هذا النظام الغريب البديع المحكم الذى يمسك السماوات والأرض أن تزولا فالنص يشير إلى أن الحق هو الذى قام عليه خلق الكون فقد خلق اللّه الكون والناس لعبادته ومعرفته ومحبته وطاعته فكل شى مخلوق لغايه وحكمه فلم يخلق اللّه شي عبثا فكل مافى الكون تدل على عظمه الخالق وتدبيره وقدرته تدل ان الانسان مخلوق لغايه فجميع الكائنات والمخلوقات تعرف أن لها خالقا هو اللّه تعالى وتدرك بطبيعتها أنه لاقيام لها بدونه وهى تسبحه ولما كان الإنسان مخلوق قد ميزه اللّه بالعقل وكرمه بأن سخر الكون لخدمته فإن اختلاف الإنسان عن سائر المخلوقات هو بالعقل يختلف عنهم بالوعى الانسانى لكنه يتساوى مع بقيه الخلائق من بنى جنسه فى الافتقار الى اللّه والحاجه إليه وعدم القيام بنفسه وعدم الاستغناء عن ربه ابدا بستوى فى فقره إلى اللّه من يعرفه ومن ينكره ويستوى فى الحاجه اليه من يعبده ومن يلحد فى أسماءهم فالكل محتاج إلى اللّه وان اختلف احتياج المؤمن عن الكافر بان المؤمن يدرك بوعيه أنه يحتاج الى رحمه اللّه وعونه ولايعى الكافر أنه يعيش عاله على نعم اللّه ويجحد المنعم ولهذا فإن اختلاف الإدراك هو الذى يميز بين المؤمن والجاحد وهو الذى يضع المؤمن فى اعلى المراتب ويضع الجاحد فى مستوى أدنى من البهائم

فوعى الكائن الحي بحقيقه وجوده واكتشاف أنه سيد من صنع اللّه وعبدا برحمته ورعايته هى التى تدفع العبد إلى ذكر اللّه تعالى وهو يشاهد ايات اللّه فيرى حسن اللّه وإحسانه يبعث فى قلبه حب ربه فذكر اللّه يدفعه إلى معرفه ربه ولهذا فإن المسلم الحقيقي إذا نظر الى الشمس رأى عظمه اللّه إذا نظر إلى القمر رأى جمال اللّه إذا نظر فى اى شىء على الأرض أو فى السماوات فإنه ينتفع بهذه الآيات فهو يشاهد جمال اللّه وجلاله وحسنه وإحسانه يري رحمه اللّه وعنايته فدليل الحدث تعنى ان يلتقط العبد المنفعه من كل ما يمر به فى حياته لان قلبه متعلق باللّه ينظر للاشياء بعين البصيره لا بعين البصر كما هو حال من ذمهم اللّه فى موضع آخر فقال (وكاين من ايه فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) فخلق الناس هو ليذكر الإنسان ربه المعروف له فى فطرته فهذه المعرفه هى التى فيها حياه قلب الإنسان الذى بدونه يكون موت الاحياء الذين لايدركون أنهم موتى فذكر اللّه مستلزم لمعرفته وشكره مستلزم لطاعته وهذان هما الغايه التى لأجلها خلق اللّه الانس والجن والسماوات والأرض ووضع لأجلها الثواب والعقاب وانزل الكتب وأرسل الرسل وهى الحق الذى به خلقت السماوات والأرض وما بينهما وضدها الباطل والعبث الذى يتعالى اللّه ويتقدس عنه ولهذا يقول تعالى بعدها (ويفصل الآيات لقوم يعلمون) فإن المتأمل لدليل الحركه ويشاهد تعاقب الليل والنهار يري انعام اللّه على الإنسان فقال تعالى (أن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق اللّه السماوات والارض لآيات لقوم يتقون)

خص بالذكر تعاقب الليل لأنها ظاهره متكرره يشاهدها الإنسان كل يوم فهى فى متناول نظر الإنسان وهى اداله شاهده على الحق والأصل أن الإنسان إذا سلمت فطرته من الفساد أنها إذا رأت الحق اتبعته واحبته فما الذى يمنع الإنسان عن العلم بالخير والعمل به مع وجود الآيات أن هذا يعود إلى الجهل المضاد للعلم أو اتباع الهوى ولهذا ذكر أن المنتفعين بالايات فى الاولى (لقوم يعلمون) وفى الثانيه (لقوم يتقون)

لماذا لأن اصل الخير هو العلم والعمل وجميع ما جاءت به الرسالات هى لاجل التذكير أو الخشيه فقد قال تعالى لموسى وهارون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وقال فى تلك السوره (كذلك نقص عليك من أنباء ماقد

سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا) إلى قوله (وكذلك انزلناه قرأ نا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) فقد جعل المطلوب أمرين التذكير أو الخشيه وهذا مطابق لقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

ولهذا يقول هنا أنه لاينتفع بالايات الا أهل العلم وأهل التقوى نظرا لأن كل واحد يشاهد الايات الكونيه من الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار فما الذى يجعله يغفل عن رؤيه مافيها من آيات أنها الغفله والجهل نتيجه تكرار العمليه فصار الأمر مألوفا للإنسان ولهذا لايتذكر الخالق وهو يشاهد هذه الآيات لكن أهل العلم بزوال عنهم الجهل لأنهم عندما يمرون بالايات سواء المرئيه أو المقرؤه ايات تدل على الحق سواء الموجود الذى يجب معرفته والصدق فى الاخبار به أو المقصود وهو النافع للإنسان الذى يجب أردته والعمل به فإن سليم الفطره عندما يشاهد أو يسمع ايات الله فإنه يتذكر الله فيستدل على وجوده من مخلوقاته يتذكر قدره الله وعظمته وكماله وهمينته فيزول عنهم الجهل المضاد للعلم يتذكرون أن الكون محكوم بسنن ونواميس ولهذا يستعيدون الوعى الذى يترتب على انخلاعها عن الإنسان انه يعيش بعقل لايعرف لان الانسان بدون معرفه الله وأمره ونهيه لايعى أنه يعيش عاله على نعم فهو يجحد المنعم بالانشغال بالنعمه فلا يودى حقها فيكون أقل مرتبه من الحيوانات بل إن انخلاع الوعى عن الإنسان بارداته تجعله ينزل فى مرتبه الخلائق عن التراب الذى جاء منه كما قال تعالى (ويقول الكافر يلتنى كنت ترابا) لماذا لأن الاول فقد منزلته نتيجه الجهل بربه وخالقه والطريق الموصل إليه فصار انقطاع الروح عن مصدره ولهذا عاد إلى التراب الذى جاء منه وهنا فالانسان أمام أمرين أنه إذا عرف الحق وتبين له اتبعه وعمل به فهذا هو الذى يحدث له العلم ذكرا لماذا لأن ظلمه الجهل تزول بالذكر فالمعرفه مستلزمه له ولهذا قال تعالى (ويفصل الآيات لقوم يعلمون)

لكن احيانا يكون سقوط الوعى عن الإنسان نتيجه تغلب الشهوه والغرائز على مركز قياده الإنسان القلب حيث يكون وجود الهوى المعارض من الكبر والاستغناء سببا لقساوه القلوب كما قال تعالى. عن بنى إسرائيل (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منها الماء وان منها لما يهبط من خشية الله)

ولهذا فإن وجود الهوى والمعارض عن التذكر يجعل صاحبه محتاج إلى الخوف الذى ينهى النفس عن الهوى ولهذا جمع بين العلم والخشيه هنا كما قال تعالى. (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

لان كل واحد من العلم بالحق الذى يتضمنه التذكر والذكر الذى تحدثه ايات الله والقرآن فى النفس ومن الخشيه المانعه من اتباع الهوى سبب لصلاح حال الإنسان وهو مستلزم للاخر فإذا قوى على ضده فإذا قوى العلم والتذكر اندفع الهوى فالذكر مستلزم للمعرفه

وإذا اندفع الهوى بالخشيه أبصر القلب وعلم لان الخشيه فيها إيقاظ النفس وازعاجها من اتباع الهوى ولهذا لاتغفل عن تذكر انعام الله فى كل موقف فتكون نظره المؤمن لتعاقب الشمس والقمر وماخلق الله فى الكون مستلزم لمعرفه جمال الله وجلاله وعظمته وكماله وهمينته وقدرته وحكمته وتدبيره وعلمه ما يوجب الشعور بالافتقار إلى الله تعالى الشعور بانعام المنعم الشعور بالحاجة إلى الله وأنه تعالى غنى عن العالمين ولهذا فإنه يقوم بواجب الشكر المنعم على انعامه يقوم بأداء حق الله بطاعته وعبادته وحده لا شريك له فالشكر مستلزم للطاعه فيحصل الخضوع والاذعان والانقياد الكامل لله تعالى.

فالكفر يعود إلى الجهل والغنى ولهذا فإن الخروج من هذا يعود إلى معرفه الله بعظمته وقدرته وجلاله وكماله وكبرياءه ومعرفه الإنسان لضعفه وافتقاره وأنه محتاج إلى الله فهذا يجعله يشعر ويدرك أنه يحتاج الى رحمه الله وعونه ويدرك أن عزته بعبوديته لله تعالى وإن شرفه بطاعه الله واتباع منهج الله فإذا خالف منهج الله وخرج عن الطاعه فإنه يفقده شرفه ولهذا فهو يستحضر وجود الله فى كل شى يمر عليه وهو يحاسب نفسه على الدوام

المبحث الثاني

تنتقل الآيات إلى طرح عاقبه كل فريق من الكفار والمؤمنين وأسباب الخذلان للكفار والتوفيق للمؤمنين وترسم الآيات شقاوة الكفار وسعاده المؤمنين وعلاقه ذلك بمواقفهم فى الدنيا من آيات الله المرئيه والمقروه فقال تعالى (أن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياه الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتها الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

الأمر الأول

تبين الايه أن الناس يختلفون فى نظرتهم للدنيا حيث ان البعض ينظر لها نظره ماديه بحته محصوره بالشهوات والملذات فهو لايتوقع أن يبعث بعد موته للحساب والعقاب على أعماله لايرى أنه مسئول عن كل ما يصدر عنه لأنه ينكر العوده بعد الموت ولهذا فإن

هذه النظره تنعكس على مشاهدته لآيات الله الكونيه فهو لايشاهد ما تنطق به من ايات تدل على عظمه الخالق تدل ان ابداع هذا الكون وفق هذا النظام المحكم الدقيق لم يخلق عبثا وانما لحكمه وغايه يدل أن مقتضى هذه الدقه فى نظام الكون مقدمه لحياه أخرى ابدايه فالدنيا ليست هى نهايه الوجود فهو لاينتفع من آيات الله لانه ينظر اليها نظره ماديه لايربط نظرته بتدبر ما تنطق بها عن عظمه خالق الماده ومن كان هذا حاله فإنه لا يقيم للاخره وزن ولا حساب لايراقب الله فى أفعاله لا يشعر بوجود الله ولهذا فإن هذا فاعليته سلبيه الحركه لانه يريد إشباع رغباته ولو كانت على حساب الآخرين فهو لايفكر بالموت ولايابه به يرجوا رحمه ربه فقلوبهم قاسيه كالحجاره لاتتاثر والاذن لاتسمغ والعين لاتبصر والعقل لايعرف فقال تعالى (أن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياه الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون)

فذكرت الايه اربع صفات من وجدت فيه أحدها كانت سبب شقائه وهلاكه

الدرس الاول

(خراب القلب الأمن والغفله وعمارتها الذكر والخشيه)

لما ذكرت الآيات السابقه أن عماره القلوب من الخشبه والذكر فقال تعالى. (ويفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال تعالى (لآيات لقوم يتقون)

تبين الآيات هنا أن خراب القلوب من (الأمن والغفله) فذكر الأمن فى ثلاثه صفات

(أن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياه الدنيا واطمأنوا بها) وذكر الغفله بالصفحه الرابعه ((والذين هم عن آياتنا

غافلون)

فليس المراد من العطف التغاير لان الايه جمعت بالوعيد من كان منكر البعث والنشور والحساب والعقاب مكذب بالمعاد وبين من لم ينكر ذلك ولكنه لم يستعد لذلك اليوم

كما قال (الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر ....) حيث أن عدم الاستعداد يدل أن هذه القلوب خاليه من الايمان باليقين باليوم الاخر وإلا كانت عملت لذلك اليوم فقال تعالى (أن الذين لايرجون لقاءنا)

حيث نجد أن الكثير من الناس من يقول أنا مؤمن بالله ومؤمن باليوم الاخر ومع ذلك يرتكب المعاصى والذنوب ؟

والسؤال كيف يامن عقاب الله من يؤمن بالله واليوم الآخر فدل هذا أن هذا الشخص لم يؤمن باليوم الاخر إيمانا باليقين بل هو يشك فى وقوعه لانه لو لم يكن يشك بالوقوف بين يدي الله لما تجرء على ارتكاب المعاصي لانه لو علمت أنك إذا سلكت طريقا ما بأنك سوف تصل الى منطقه فيها وحش مفترس لانجاه لك فهل تسلك هذا الطريق من الموكد انك لن تسلك هذا الطريق

وإذا علمت أن مافى الإناء سم قاتل فهل تشرب منه من الموكد أن العلم باليقين سوف يجعلك تمتنع عن شرب مافى الإناء ..وكذلك لايقبل المرء أن يقفز من جبل شاهق لانه يعلم أنه سوف يموت

ولهذا فإن العبد لو كان مؤمن بصدق باليوم الاخر والحساب والعقاب لو أيقن انه لو ارتكب الذنب سوف تحل عليه العقوبه فورا لما قام بارتكاب المعصيه فدل هذا أن العبد لم يؤمن حقيقه بالبعث والنشور والحساب والعقاب او أنه تساهل ظنا منه أن الانتساب إلى الإسلام وان قوله لا اله الا الله تكفى لمنع العذاب عنه فهذان صنف لايختلفان عن ذلك المكذب والمنكر وقوع البعث والنشور والحساب والعقاب من الأساس فكلاهما منكر للبعث والحساب والعقاب وكلاهما شعر بالأمان من عذاب الله ولهذا جاء بالباء فى قوله (اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون) فذكر أن النجاه من العذاب والأمان إنما يكون بالأعمال الصالحه فلا يستقيم طلب الاخره مع الرغبه فى الدنيا فلا يجتمع فى القلب محبه الدنيا ومحبه الله والدار الآخرة ولهذا تبين الايه أن الذى ينشغل قلبه بالدنيا وملذاتها وشهواتها عن الله والدار الآخرة فإن قلبه يبتعد عن الله لأن قلوبهم رضيت بموائد الدنيا فقوت عليهم قوه الاثام فاظلم قلبه فأصبح همه الدنيا وشهواتها ولهذا فإن قلوبهم لاتطمئن الا لزينه الدنيا وملذاتها لان قلوبهم خاليه من نور الايمان وزخرفها بعكس المؤمن فإن قلبه يطمئن بذكر الله الذى هو غذاء القلوب فقلوبهم أصبحت ميته قاسيه لاتنفعها المواعظ لان طول الامل ينسى عن الاخره ويصد عن الاستعداد لها ولهذا لم ينتفعوا بآيات الله فى الكون التى فى متناول أبصارهم لان اتباع الهوى يعمى الإنسان عن رؤيه الحق معرفه وقصدا فلا يعرفه ولايقصده وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الأول

أن على المسلم ان يزن أعماله قبل أن توزن عليه ..عليه أن يحاسب نفسه ينظر إلى أعماله هل هى موافقه لمراد الله عليه أن يصحح نواياه فى كل الأوقات عليه أن يشفق على نفسه من عذاب الله ليسرع إلى ترك المعاصى عليه أن يراقب الموت ليعجل بالتوبه قبل فوات الاوان فعليك أن تعرف نفسك وتفقد أحوالها فكون حاد النظر فى التفتيش عن افات أعمالها وفساد ضميرها فأخذ بعنان هواها فاكبحها بحكمه الخوف عليك أن تكون فى يقظه

دائمه وازاله للغفلات عن قلبك عند كل حركه وسكون فى جميع الأحوال

المفهوم الثانى

أن على المسلم أن يكون ذاكرا الله فى كل وقت إذا أصبح كان الله همه وإذا أمسى كان الله همه ينظر لحاله فى كل وقت فيستحضر وجود الله ولهذا يستحى أن يراه الله فى معصيه يسأل نفسه ماذا ساقول لربى غدا وانا واقف بين يدى الله كيف تنشغل عن محبوبك هل استعديت للقاء الحبيب ماذا اعددت ليوم اللقاء فكل همك فى كل الأوقات الاستعداد لهذا اللقاء فهل تريد لقاء الله هل اردتك صحيحه فإن علامه ذلك أن يكون هم المريد رضى ربه فى كل وقت واستعداده للقائه وحزنه على وقت مر فى غير مرضاته فتصبح وتمسى ليس لك هم غير الله فهذا جماع ماسبق

المفهوم الثالث

التحذير من الرضى بالدنيا لان تمكن الدنيا من القلب واستيلاءها عليه فإنها تستقر فيه وتصل إلى الاطمئنان اى تتعلق النفس بالدنيا فيكون الانشغال بالدنيا فتصبح همك الدنيا وتحصيل منافعها هنا تحدث الكارثه لانه إذا أصبح هم الإنسان الدنيا حمله الله همومها وغمومها وانكادها ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبه خالقه إلى الخلق ولسانه عن ذكر خالقه إلى ذكر المخلوقات وجوارحه من طاعه الله إلى طاعه البشر وخدمته ولايجد من كسبه الا التعب والنكد فى الدنيا والاخره فهذه هى نهايه من ركن إلى الدنيا فإن استقرار حب الدنيا فى القلب هو سبب الغفله فمن رضى بالدنيا ووقف عند حدها فإنه يصير عبدا لشهواته ورغباته ولهذا يقول تعالى (واطمأنوا بها) والاطمئنان يعنى السكون لان نفوسهم سكنت للدنيا وقد صرفوا همهم فى تحصيل منافعها ولم يسعوا لتحصيل ماينفعهم فى الاخره لان السكون عند الشى يقتضى عدم التحرك لغيره (نقلا عن ابن عاشور بتصريف)

المفهوم الرابع

على المسلم أن يسعى إلى رضا الله بالتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة فغايتك ألسعى فى ابتغاء مرضات الله تنظر إلى مستقبلك المرجو الذى تقوم ببناءه هو فى الدار الاخره وليس الدنيا إياك أن تنظر إلى الدنيا أنها غايه مستقبلك كما يفعل البعض ممن يقول أننى أومن مستقبل ابنائى من خلال شراء العقارات من خلال جمع المال فإن هذا ليس هو المستقبل أن هذا ليس هو الكمال الذى يتطلع إليه العاقل أن الكمال هو فى الاستعداد لليوم الآخر لأن الدنيا إلى زوائل واضمحلال ومافيها من ملذات عمرها قصير فهى لاتساوى شئيا امام سعاده الاخره وما فيها من نعيم دائم لاينقطع فهذه هى الحياه التى يتطلع لها العاقل فإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنى انت بالله وإذا فرحوا بالدنيا فعليك أن تفرح بالله وإذا انسوا باحبابهم فانس انت بالله لغايه منزلتك هى بطاعتك وعبوديتك لله فالقلب المغلق بالشهوات لايصح منه ورع ولازهد

الدرس الثانى

(اهميه تمكين العقيده من فاعليتها ودورها الايجابى وتحويله إلى واقع حياه)

تبين الايه أنه ليس المطلوب ان يصدق العبد بوجود الله فقط بل المطلوب ان يشعر العبد بوجود الله تعالى المطلوب أن تملأ نفس العبد بهذا الشعور لتكون مصدر الطاقه التى تغيير النفس فتكون للعقيده فاعليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها على المسلم فالفكره لاتنفصل عن العمل ولهذا فإن من يدعى الايمان بالله ولايستعد للقاء

الله ويرتكب المعاصى فإن هذا يدل انه لم يشعر بوجود الله لانه لو كان يشعر بوجود الله لما ارتكب المعصيه لان الشعور بوجود الله سوف يولد فيه احساس الخوف من سخط الله لو كان يشعر أنه سوف يعاقب على أفعاله لما ارتكب الذنب ولهذا فإنه لايكفى الاعتراف بوجود الله دون العمل لان الصدق فى الايمان يعنى أن تخافه خوف من قد عرف سطوته وشده نقمته واليم عذابه وانتقامه من الامم السابقه وآثاره ووقائعه بمن خالف أمره وعصاه فلا يغفل عن ايات الله ولا يخالف أمر الله من عرف الله بكمال علمه واحاطته بكل ما يعمله الإنسان فكيف يامن من أيقن بكمال قدره الله الداله على اعاده الناس إلى الحياه كيف يرتكب المعاصى من يشعر بوجود الله الا اذا لم يصل الى الايمان باليقين او كان مكذب ومنكر للمعاد ولهذا نجد الايه تعالج ذلك من جهتين الاولى دعوه لاولئك الذين يدعون الايمان وهم لايستعدون للقاء الله يتوجه اليك انت من تدعى الايمان بالله وترتكب الذنوب يقول لك عليك أن تتعاهد قلبك بأسباب الاخره وصنه من أسباب الدنيا ومن كل ذكر يجر إلى حرص على الدنيا وهيجان الرغبه فى الدنيا لان الإهمال يعسر طلبك وينطفى نور القلب فعليك استحضار العاقبه والتاليف بين قلبك وبين الأسباب التى توصل إلى العاقبه المحموديه من باب الحرص والخوف على نفسك من الهلاك فلا تنشغل بالدنيا واستعمل مافى النفس من الطمع الذى هو مخرج الحرص والرغبه فى الطمع بالاخره وطلب الزيادة فى أعمال الاخره بالحرص عليها والرغبه فيها فيكون هيجان الرغبه هو بزياده الأعمال الصالحه والجد فى طلب الاخره فتعاهد القلب بقطع كل ما يبعدك عن الله والزمه الفكر فى أمر المعاد فلا يفارق قلبك ذلك فنور القلب إنما هو مع تيقظه وحياته فإذا غفل مات وطفئ نوره وهذا هو الهلاك بعينه حيث تصبح فاعليه الإنسان سلبيه ولهذا تختم الايه بقوله (اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون)

اي بما وظبوا عليه من المعاصى وتمرنوا فالاعمال فى الحياه الدنيا هى المؤثره فى حصول العذاب فالله يقول فى موضع آخر (بأن الله ليس بظلام للعبيد)

وكذلك يبين أن النظره الماديه للحياه و هم الذين جعلوا كل همهم الدنيا وهم ينكرون البعث والنشور فهؤلاء لم ينظروا إلى ايات الله المبثوثه فى الكون التى تزيل مالديهم من شبهات كما أخبر الله عنها فى موضع آخر (أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمبعوثون) وقالوا (ذلك رجع بعيد) فقد أخبر الله فى هذه السوره بالايات السابقه كمال علمه تعالى وكمال قدرته وكمال حكمته بقوله (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)

ولهذا ختم الايه بقوله تعالى (اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون) أن هذا العذاب هو مواريث عدم الإيمان فلم تتحرك قلوبهم إلى النظر فى هذا الكون لرؤيه ابداع التصاميم فى الخلق لينتقلوا من جمال الصنعه إلى جمال الصانع لم تتحرك عقولهم للنظر فى ايات الله الداله على كمال علمه وكمال قدرته فلا يعجزه شى وكمال حكمته فهو تعالى لم يخلق شيئا عبثا

الأمر الثانى

تذكر الآيات الفريق المقابل الكفار فتذكر المؤمنين وصفاتهم وما ينعم الله عليهم من الجنه ونعيمها فقال تعالى (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتها الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

وبالوقوف على الايه نجد الاتى

المفهوم الأول

عليك أن تدرك أن الإيمان ليس مجرد كلمه تنقال باللسان فلا قيمه للإيمان إذا لم يمتزج فيه التصديق (اليقين الجازم) بالله واليوم الآخر بالعمل الصالح فالله تعالى يقول

(أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) فإن إيمانهم المقرون بالعمل الصالح هو علامه الصدق بانك تريد الله وحده بالقول والعمل لان قيمه العلم النافع بالعمل به فلا يطلق موقن الا على من استقر فى قلبه العلم والعمل ولهذا فأنت عندما تقول امنت عليك أن تدرك أن هذا القول يتطلب شده الإقبال على الله وفهم كتابه والعمل به واتباع سنه نبيه صلى الله عليه وسلم وان تحب جميع ما احب الله وتخاف ان يراك الله فى ما كره وان تكون مراقبا لله فى جميع امورك تشعر باطلاعه عليك وان تجتهد فى طاعته فالله يقول فى موضع آخر (احسب الناس أن يقولوا امنا وهم لايفتنون)

عليك أن تدرك أنه بعد ايمانك لابد أن تتعرض للامتحان لمعرفه صدق إرادتك الله وحده بالقول والعمل وبالتالى فإن اللازم عليك الشعور بهذا الامتحان والإحساس بخطوره الموقف لانه يتوقف على نتيجتة نظره الله لك هل انت صادق فى ايمانك أم أنه مجرد كلام أن هذا الامتحان يتطلب منك أن تنظر إلى الطريق الذى يوصلك الى الفلاح والنجاح الذى تبتغيه وهو إرضاء الله ولهذا فإن هذا يتوجب عليك اتباع النبى صلى الله عليه وسلم والمنهج الربانى الذى جاء به من ربه فهو المرشد وسبيل الهدايه ودليل النجاه والسلامه ..عليك أن تستغل الفرصه بأن تكون منشغلا بالله فى كل وقت تحاسب نفسك على أعمالها حتى لاتنحرف عن الهدف وتسقط فى الامتحان وهذا لايتحقق إلا بكمال قوه الإنسان العلميه وكمال قوته الارداية العمليه يقول ابن القيم وكمال القوه العلميه النظريه تكون بمعرفه الخالق سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وكماله والطريق الموصل إليه ومعرفه افات الطريق وقطاع الطريق ومعرفه النفس وعيوبها وكيف يكون علاجها

وكمال القوه الاراديه العمليه يكون بمراعاه حق الله والقيام بها اخلاصا وصدقا ونصحا واحسانا ومتابعه وشهود لمنته عليه وتقصيره فى اداء حقه فهو مستحى من مواجهته بتلك الخدمه لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه ودون ودون ذلك وأنه لاسبيل الى استكمال هاتين القوتين الابمعونته تعالى)

المفهوم الثانى

عليك أن تدرك أنك بحاجه الى. هدايه الله ومعونته لان الذنوب من لوازم النفس التى طبعها الحركه والإرادة والعمل والإنسان حارث همام ولهذا فالانسان محتاج فى كل لحظه الى الهدايه احواج من الاكل والشرب يحتاج إلى الثبات ومزيد الهدايه لان العبد اذا أمن بما أنزل الله فى كتابه واتبعه أمره ونهيه فإن هذا الإيمان والهدايه مجمله وقبل أمره وقام بفعله وترك ما نهى عنه يقول لك الله أن ذلك كان سببا لهدايه أخرى تحصل له على تفاصيل فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) فالهدايه لانهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ففوق هدايته هدايه أخرى وفوق تلك الهدايه هدايه أخرى فالعبد يحتاج أن يعلمه ربه مايفعله فى تفاصيل حياته وأحواله والى مايتولد من تفاصيل الأمور فى كل يوم يحتاج إلى الهام الله وتوفيقه الخاص فلا يكفى علمه إن لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه والاكان العلم حجه عليه فالعبد بحاجه الى أن يجعله الله قادرا على العمل بما علم والثبات على ذلك ولهذا يخبر الله عباده أن إيمان المؤمن والعمل بما علمه يقابله الله بفعل من عنده وهو هدايتهم بعد هدايه فكان من ثمار الايمان والهدايه الاولى هو التوفيق والهداية الى طريق السداد بسبب إيمانهم

إلى الاستقامه اى بأن يسلك سبيل يودى إلى الجنه او إلى إدراك الحقائق كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم)

المفهوم الثالث

تبين الايه لنا أن النجاح يتطلب أن تتجاوز الامتحان حيث تجد فى البدايه مشقه فى طاعه الله وعبادته ولهذا فأنت تحتاج إلى قوه الصبر لان النفس تحب الشهوات والملذات ولهذا لايصغب مع قوه الصبر شي من العباده تحتاج إلى الزهد عن الدنيا والشوق الى ماعند الله تحتاج إلى الخوف من عذاب الله ليكون الارتفاع من درجه الصبر الى درجه الخوف الذى يدفعك الى طاعه الله واجتناب معاصيه ثم إلى مرتبه الحب لتنعم بالخوف والمحبه فاذا صارت إلى ذلك سقطت عنك مؤنه الصبر

والسؤال هنا كيف نصل إلى أعلى درجات الروحانيه النفس المطمئنه أو كيف ننتقل من درجه الصبر الى درجه النعيم بالخوف والمحبه ؟

أن هذا يبدأ من حسن المعرفه وان تكون مريدا للوصول إلى هذه الدرجه

أن اللذه تابعه للمحبه تقوى بقوتها وتضعف بضعفها فكلما كانت الرغبه فى المحبوب والشوق إليه اقوى كانت اللذه بالوصول إليه أتم

والمحبه والشوق تابع لمعرفته والعلم به فكلما كان العلم به أتم كانت محبته اكمل

ولهذا فإن حسن المعرفه تكون بافتقار القلب الى الله واقترابه منه ومن دار الاخره حتى تصبح الجنه والنار امامك مشاهده راي العين تعرف الله بجماله وجلاله وعظمته وكماله بالنظر إلى انعامه وإحسانه ورعايته لك فتحب الله اجلال له وتعظيما وشعورا بقدرته وتصديقا بوعده و وعيده وأهوال يوم القيامه

تنظر إلى ما اعد الله لك فى الاخره من نعيم فيكون ذلك سببا لهيجان الرغبه فيها وشده الشوق إليها ولهذا جاءت الايه ولهذا جاءت الايه بصيغه ا لتشويق لما عند الله ليحصل الزهد عن الدنيا ولأجل أن يكون العبد مريدا للوصول إلى هذه الدرجه ولهذا تبين الايه اول مراتب السعاده فى هذه الرحله هو أن المؤمن الذى يعمل الأعمال الصالحه جزاءه أن هذه الأعمال تكون يوم القيامه فى صوره حسنه ترشد الإنسان إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الجنه فيسأل المؤمن هذا العمل من انت فيرد عمله أنا عملك الصالح فيأخذ بيده حتى يدخله الجنه وأما الكافر يكون عمله فى صوره سيئه قبيح فيقول له من انت فيقول له أنا عملك السئ فأراد بهذا أن تفهم أن الأشياء الرفيعه تكون هنالك صعوبه فى المسلك إليه فإذا صرت إليه صرت إلى سهوله ورخاء وانس وان النفس فى الدنيا تريد الشى السهل فإذا صار إلى الشده كاعوا وتحيروا وخسروا فهم يسارعون إلى الشى لما فيه من سهوله فهم يريدون من العمل ما خف محمله ولهذا فعلى المريد النعيم أن يتزود بالصبر ابتداء وان ينتقل بعد ذلك إلى محبه الله عن علم به وكماله وهمينته وكبرياءه ليكون الله هو مطلوبه ويخشى ربه ويحبس قلبه فى طلبه ومطلوبة ولايلتفت إلى غيره فإذا استقر ذلك فى قلبه وسكن القلب ذلك كذلك فانه ينير قلبه وعمرنها بعد الخراب والاضاءه بعد الظلمه فيحدث عندها انقلاب فى حياه القلب وينتج عنه لين المفاصل وحركه الجوارح إلى الطاعه فتجد عندها اللذه والسرور وعندئذ تجد الحلاوه واللذه والسرور عندها تكون النفس قد وصلت إلى المطمئنه وتخمد الشهوات تلقائيا ولهذا يجد العبد اللذه والسرور بالطاعه فلا يجد مشقه فى ذلك كما كان من قبل لانه ينظر إلى

السعاده والراحه التى تنتظره فى جنات النعيم من قصور وبساتين تجرى من تحتها الأنهار فى جنات النعيم الابدى بلا انقطاع فكيف يرضى بالدنيا وملذاتها الزائله من دخل الجنه وهو فى الدنيا

المفهوم الرابع

يدعوك الله ويناديك لتنظر إلى حياة المؤمنين فى الجنه فقال تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

فالايه تهدف من ذكر حالهم فى الجنه تهيج المؤمنين على طاعه الله وإخلاص العبادة لله تعالى للوصول الى درجه الاطمئنان إلى ربهم وان يجدوا اللذه والسرور بطاعه الله والثقه بوعده التى وعدهم حيث أنه تعالى أرسل الرسل لتبشير المؤمنين بالجنه ونعيمها جزاء من كان منه الايمان والاطمئنان والثقه بالله ووعده لهم ليجدوا اللذه والسرور بطاعه الله فيظفروا بجنه الدنيا جزاء على كامل صدقهم ووصفاءهم ووفاءهم فى حين يكون الآخرون لايزالون يتطلعون إلى الجنه الموعود بها فى المستقبل فيدخل فى جنه حاضره نتيجه الثقه بوعد الله تعالى وما بشرهم به رسوله لقد كان إيمانهم بالغيب ايمان كمن شاهد الجنه وعاينها ايمان عين اليقين بل كمن داخلها اي ايمان حق اليقين ولهذا

لما يدخل الجنه ويجد ون ذلك النعيم الابدى الذى وعدهم الله به يقولون (دعواهم فيها سبحانك اللهم)

اى نسبحك وننزهك عن الخلف فى الوعد والكذب بالقول كما قال تعالى (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن أن ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)

فهذه أول مراتب السعاده عند دخولهم الجنه حيث يجد المؤمنين ماوعدهم الله حقا ولهذا كان منهم التعبير عن تمجيد الله وتقديسه بطريقتهم وشأنهم وسنتهم فى ذلك فقد كانوا فى الدنيا يذكرون الله على الدوام لأنهم يجدون فى طاعه الله الغذاء الروحانى الذى هو عماد حياتهم فالعباده هى غذاءهم ولهذا جاء بعد كلمه (دعواهم سبحانك اللهم) فهذا يدل أن اللفظ ليس بدعوى ولادعاء لان اهل الجنه ليس عليهم عباده الا أن مواظبتهم على عباده الله وتقديسه وهم فى الدنيا لأنهم يجدون فى ذلك اللذه والسرور

لهذا جعل لفظ الدعوى كنايه عن تلك الملازمه والمواظبه واهل الجنه لما كانوا مواظبين على هذا الذكر لاجرم أطلق لفظ الدعوى عليها فالعباده مجد لاينال الا أصحاب المواهب الرفيعه أنه مجد فيه السلامه والنجاه والسعاده والأمان ولهذا يذكر الله حالهم عند دخولهم الجنه فقال تعالى (تحيتهم فيها سلام) التحيه ماخوذه من تمنى الحياه والدعاء بها لمن تلقاه يقال للوجه محيا لوقوع التحيه عند رؤيته فيقال رأى ما يحى به بعضهم بعضا ولما كان استجابه الإنسان لما يدعوهم الله ورسوله فيه الحياه فالله يقول فى موضع آخر استجابوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحيكم) وقد وعد الله من أخذ بهدليه منهج الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولهذا يقول تعالى (تحيتهم فيها سلام) ولفظ السلام يدل على الامان والاطمئنان والسلام تحيه الله لهم كما قال تعالي (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وهو تحيه الملائكه لهم عند دخولهم الجنه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ...الخ

واهل الجنه يعيشون فى سلام وأمن بعيدون عن اللغو فالله يقول فى موضع آخر (لايسمعون فيها لغوا ولاتاثيما الا قيلا سلاما سلاما)

والايه فيه توجيه لك أن يكون تعاملك مع اخوانك من أهل الإيمان بافشاء السلام بينكم انتبهوا من كل مايودى إلى

التفرقه والانقسام لابد أن تنظف قلبك من الحقد والتعصب فعليك أن تتخلق بأخلاق اهل الجنه فاعالى مراتب الروحانيه هى أن تظفر بالجنه وانت فى الدنيا قبل أن تنتقل الى جنه الخلد ثم تبين الايه ما يجب أن يختم العبد كل موقف واجتماع فقال تعالى (واخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فالعبد الصالح هو الذى يمسى ويصبح وهمه الله تعالى يحمد الله ويثنى عليه فى كل الأوقات ولهذا تذكر الايه لنا حال المؤمنين لما عاينوا عظم الله وكبرياءه فحمدوا الله ونعوته بنعوت الجلال والاكرام فكانت بدايتهم بتنزيه الله وتعظيمه وخاتمه دعائهم فى كل مواقف وموطن حمده وشكره على ما أنعم عليهم فمن عرف الجنه لابد أن يقاطع الدنيا وينقطع الاخره لان حياه الاخره هى التى يجب الانشغال بها فيجب أن تخرج من هموم الدنيا وشهواتها وشواغلها وترتفع عن ملذاتها عليك أن ترفرف فى آفاق الرضى والتسليح والحمد والسلام لتظفر بالجنه وانت فى الدنيا فتلك الآفاق هى التى فيها كمال نفس الإنسان

رابعا

تتناول ايات هذه المجموعه ثلاثه مباحث

المبحث الاول

متعلق بمساله التحدى والاستهزاء من المشركين بما أنذر هم به الرسول من العذاب على كفرهم وجحودهم حيث طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم تعجيل العذاب الذى يتوعدهم به فقال تعالى (لو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون)

وهذا فيه

الأمر الاول

تبين الايه أن الطلب من المشركين بتعجيل العذاب كان على سبيل الاستهزاء والتحدى كما قال فى سوره الانفال (وإذ قالوا اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم)

وقال ايضا (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)وقال تعالى (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات)

الأمر الثانى

تبين الايه الحكمه من عدم استجابه الله لطلب هؤلاء تعجيل العذاب بأن ذلك من رحمه الله بهم فلم يعجل بالعذاب الذى يكون استئصالهم كما اهلك الامم السابقه لانه تعالى علم أن سوف يؤمن منهم أناس كثيرون كما حصل بعد فتح مكه فقد اسلم الكثيرون

الأمر الثالث

أن الامهال وعدم استئصال المكذبين لحكمه فهو يمنح الإنسان فرصه للتوبه والعوده وبنفس استدراج للمعاند المكذب بالحساب والعقاب المتجاوز الحد فى الظلم والكفر والفسوق والعصيان فيتركه يتخبط فى أعماله حتى يؤخذه الله أخذ عزيز مقتدر

"""""*

مفاهيم هذا المبحث

المفهوم الاول

توجية للمسلم بالابتعاد عن العجله فى الأمور قبل أوانها بشكل عام فعليك الارتقاء عن الطبيعه التى خلق بها الإنسان من عجل او التهاون بها عند امكانها

عليك الإنتباه من الطبيعه التى اتصف بها الإنسان فهو خلق عجولا بطبيعته يطلب الشى قبل وقته المحدد فاحذر من الدعاء على نفسك بالشر أو على اولادك أو مالك حتى فى لحظه الغضب كان تقول لابنك الله ينقص عمرك فلو استجاب الله فهذه من الأمور التى يجب الإنتباه لها فهى كثيرا من تحصل من الإنسان كما قال تعالى (ويدعوا الإنسان بالشر دعاءه بالخير)

فالمسلم لايطلب الا خيرا

المفهوم الثانى

توجيه للمسلم بالابتعاد عن العجله فى الأمور قبل أوانها وان لاتسعى للانتقام فعليك أن تتخلق بأخلاق الرب عليك الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يجازى العصاه على أعمالهم بنفس العجله التى يحب بها العصاه تحصيل النعم والخير لكن الله رغم ذلك يحلم عنهم لانه لو جازاهم بتلك الطريقه لادى ذلك إلى القضاء على. الجميع ولاميتوا جميعا وما امهلوا لحظه فلو يؤخذهم بما كسبوا بتعجيل العقوبه فى الدنيا ولم يمنحهم فرصه للتوبه لحصل لهم الهلاك كما قال تعالى (ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابه)

ولكنه تعالى يمهل ويعطيهم فرصه للتوبه فمن تاب قبل توبته وعفا عنه فعلى المسلم أن يتخلق بالحلم فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع من الطائف وقد لقى من سفهاء الطائف مالقى من الأذى فأرسل الله إليه الملك فقال هل أطبق عليهم الجبلين فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا لعل الله يخرج من اصلابهم من يقول لا إله إلا الله)

فالمؤمن عليه أن يترفع عن الانتقام عليه أن يحذر أسلوب العجله فى الأمور قبل أوانها

فقد اسلم خالد بن الوليد وأسلم عكرمه وأسلم صفوان وغيرهم من المؤمنين الذين صنعوا التاريخ فلو عجل الله لهم العذاب عندما طلبوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتحدى لما منح امثال هولاء فرصه المساهمه فى نشر الإسلام

المفهوم الثالث

أن اللازم على المسلم أن يحذر الاصرار على المنازعه فى الأمور التى يجهل حقيقتها فاهل مكه كانوا يطلبون العذاب نتيجه العناد والجهل فقد كانوا يجهلون أن تأخير العذاب فيه خيرا لهم وكذلك فإن العناد والنزاع بالباطل واللجاج فى الخصومه يورث صاحبه العمه الشديد فى الحيره فهو يدخل نفق مظلم لان من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ودخل نفق مظلم لايجد لنفسه مخرج من ذلك فقال تعالى (فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم

يعمهون)

فمن غفل عن لقاء الله يظل عماه وحيرته يتردد فقال تعالى (فى طغيانهم يعمهون) اى أنه يتخبط فى ظلمات الشك فلا يرى النهار ولهذا جاء الالتفات من الغيبه إلى المتكلم فقال تعالى (فنذر) اشاره الى توسط الأسباب فى ذلك فإن المذكور فى أفعاله سبحانه وتعالى يعود إلى أفعال الناس فالذين يكون منهم الاصرار على الكفر والتجاوز الحد فى الظلم وانكارهم البعث وتكذيب الرسل وارتكاب ما يترتب على عاقبهم فإنه تعالى يتركهم وماهم فيه من التخبط فى الظلمات

المبحث الثاني

تنقل الآيات صوره الإنسان فى حاله الشده والضراء تكشف فيها عن التناقض فى طبيعه هذا الإنسان الذى يستجعل الشر ومع ذلك اذا مسه شى من الأذى فإنه ينهار ويجتهد بالدعاء والاستعانة بالله ليكشف عنه الضر فهذا هو حال من كان يستجعل العذاب ويطلبه فهو كاذب فى طلبه انزال العذاب فقال تعالى (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما)

فذكر هذه الأحوال لبيان شده اجتهاده فى الدعاء فى جميع الأحوال الاضطجاع و القعود والقيام بالدعاء فى جميع أحواله وهذا فيه

أن المضرور لايزال داعيا لايفتر عن الدعاء فى جميع حالاته فمن يستدعي عندما يشعر بالخطر هل يستدعى الجاه والمال والسلطان أم أنه يلجأ إلى الله ؟

الجواب أنه لايذكر الا الله لان يعرف فى فطرته أنه لايقدر على إنقاذه الا الله ولهذا مثلا عندما تركب سياره وفجاءه ترى سيار ه متجاوزه تتجه نحوك فإنك فى هذه اللحظه التى تشعر بالخطر تتجه بالاستغاثه قائلا يارب تراه يبالغ بمنجاه ربه لا ينهاك عن التضرع حيث أن الشده تظهر عجز الإنسان وضعفه واحتياجه لله لهذا يكثر الدعاء فهذه الصوره ترسم حاله النفس وقت الابتلاء فلما استجاب الله لدعاءه وانحسرت الشده من الله وانتهت المشكله التى كانت تواجه الإنسان بازاحه البلاء عنه من الله فما هو موقف الإنسان ترسم لنا الايه صوره الإنسان اللئيم فى هذا الموقف فقال تعالى (فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا إلى ضر مسه)

اى استمر فى طريقه السابق قبل أن يصيبه الضر والبلاء فكلمه (مر) تبين أن الشده كانت بمنزله حاجز منعت مروره وانطلاقه فهو مثل تيار سيل عارم وجد حاجز منعه من المرور فبمجرد ازاحه الحاجز اندفع فى انطلاقه فلم يتوقف ليشكر المنعم على ما أنعم عليه بازاله الضر عنه لم يتوقف ليتامل أو يتدبر انعام الله لقد اندفع مع تيار الحياه بدون مكابح ودون مبالاه ينسى ان الله انقذه ويعود إلى الكفر والجحود

فالايه تبين الاتى

الأمر الأول

على العبد أن يعلم أن الدنيا كلها حلوها ومرها قليلها وكثيرا اولها وآخرها وكل شىء فيها من الله تعالى ابتلاء واختبار فهى كلها بين خلتين الشكر والصبر فإما أن تصبر على مصيبه أو تشكر الله على نعمه فالله يقول (خلق السموات والأرض فى سنة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم احسن عملا) وقال تعالى (انا جعلنا ماعلى

الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا)

وقال تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون) وقال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم)

فالانسان كثير البلاء فى الدنيا من حولك فتنة كثيرا ما تبتلى بهم ويبتلون بك كثيرا من الأحوال تواجه فيها مصائب فالاصل ان كل ذلك فتنة يجب عليك أن ترجع لمواجهه ذلك إلى صبرك فى الله استعن بالله اهرب من الفتنة إلى الله عليك أن تعتبر من كل موضع تمر به فى حياتك فأنت بحاجة إلى الصبر على الطاعه والصبر على المصيبة والصبر على كتمان الطاعه فالصبر حبس النفس عن ذلك كله

فالمسلم يسعى إلى رضا الله كما قال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فعلامه الرضا عن الله الرضا بقضاء الله وهو سكون القلب إلى أحكام الله والتفويض إلى الله قبل الرضا والرضا بعد التفويض

فالصبر أمر يحتاجه المسلم ويحتاج إلى اراده قويه وعزيمه وهمه عاليه يحتاج إلى أن يروض.المسلم نفسه ويعودها على الصبر والتحمل لبلوغ مرتبه الكمال الإنساني فاالانسان قليل الصبر عند نزول البلاء فإذا مسه الضر أقبل على التضرع والدعاء مضطجعا اوقاعدا أو قائما يطلب كشف الضر عنه فإذا كشف الله عنه الضر اعرض عن الشكر ولم يذكر ذلك الضر ولم يعرف قدر المنعم

الأمر الثانى

تبين الايه اهميه الشكر فالإيمان شطران نصفه الصبر والنصف الثانى الشكر ولهذا فالواجب على العبد المسلم أن يكون صابرا عند نزول المصائب شاكرا عند الفوز بالنعم

فاللازم على المسلم أن يتضرع إلى الله فى الرخاء حتى يكون مجاب الدعوه وقت الشده كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من سره أن يستجاب له عند الكروب والشدائد فليكثر الدعاء عند الرخاء)

فعلى المسلم أن يعرف أن كل نعمه هى من الله لاغيره وانما هى بلوى يختبر الله بها عبده ايشكر ام يكفر فمعرفه أن النعم من الله علم اليقين لايخالطه الشكوك هو من أهم ما يجب ترويض النفس عليه ثم يكون ذكر ذلك باللسان ثم عليه إلا يستعين بشى من نعم المنعم على شى مما يكره المنعم واعلى مراتب الشكر أن تعد كل بلاء نزل بك نعمه لان من البلاء ماقد انزله الله بغيرك اشد وأعظم من هذا الذى نزل بك والناس يحتاجون عند ذلك إلى الصبر وهو قائم على الشكر

الأمر الثالث

اللازم على العبد المسلم الصبر عند نزول المصائب الصبر وترك القلق والتوتر والاضطراب والشكوى لغير الله

وعند النعم على العبد القيام بواجب النعمه بشكر المنعم لان ذلك قيد النعمه من الزوال فعليك الانشغال بالمنعم عن النعمه

الأمر الرابع

تبين الايه أن الانسان بدون الايمان والاتصال بالله لاقيمه له فهو يعيش مضطرب لايتحمل أدنى مصيبه ولهذا يلجأ وقت الشده بالدعاء والاستعانة بالله عند الأزمات ولايصمد فى وجه الأزمات حتى لو كانت ساره فكم من الناس من أصيب بالانهيار لانه لم يربح مالا أو ورث مالا وإذا إصابته فاجعه فى نفس أو مال او ولد تجده ذليلا خاضعا تذله الأحداث فإذا تغير حاله إلى الغنى بعد الفقر والقوه بعد الضعف والأمان بعد الخوف فإنه يبطر ويبغى ويفسد فى الارض يتجاوز الحد فى الظلم والكفر والطغيان فقال تعالى (كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون)

الذى لايطالع ضميره ولايراقب ذاته الذى لايفتش همته ولايبحث عن عيوب نفسه الذى لايراجع أحواله ويتهاون فى إصلاح ما فسد من حاله فقلوب هؤلاء تغلى بأعمال الفجور كما قال مالك بن دينار قلوب الابرار تغلى بأعمال البر وقلوب الفجار تغلى بأعمال الفجور)

فعليك اخى المسلم أن تتعاهد امرك بالمراجعه فإذا رأيت مكروها اصلحته وتحولت عنه وإن رأيت غير ذلك حمدت الله فمن احسن ظنه بنفسه وأعجب بنفسه فإنه تعظم رغبته فى الدنيا والشهوات فيحول ذلك بينه وبين حلاوه سلوك طريق الاخره فقلبه يأنس بالذنوب ويحبها ويرى أنها حسنه فحسن الظن بالنفس تجعل العبد يقع فى الخديعه فلا يحس ولايشعر بما هو فيه من خديعه يتم استدراجه من حيث لايعلم فيكون ميراث علمه الخبث والخيانه والخداع والمكروه وترك النصيحه فيري الباطل حقا ويرى الحق باطلا فيظل فى سكراته لايخرج منها

القسم الثانى

ايات هذا القسم تتناول إثبات صدق الرساله والرسول صلى الله عليه وسلم و أن القرآن هو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده حيث كانت الآيات السابقه مقدمه لذلك وهنا جاء تفصيل هذه الأغراض

من خلال ثمان مجموعات

المجموعه الاولى

تتناول سنه الاستخلاف فى الارض وشرط بقاءها وأسباب هلاك الامم واستبدالها بأمم أخرى والتى كان آخرها امه الاسلام مبينا أن بقاءها بالقران فإن هى خالفته كان سلبها شرف الخلافه والعز والتمكين فقال تعالى (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون

المبحث الأول

ماذا يعنى الاستخلاف فى الارض ؟

عليك أن تدرك أن لفظ الخلافه منها

خلافه الفرد أن يكون خليفه الله فى أرضه ومنها خلافه الدول والجماعات والاقوام

لان الفرد هو اللبنه الاولى فى دوله الخلافه لهذا غالبا ما يطلق لفظ خليفه على الفرد

وهذا اللفظ يحمل معنى الشرف فالخلافه شرف لان الله فضل به ادم عليه السلام بهذا المنصب الخلافه على الأرض فقد اصطفى الله آدم واختاره لهذه المهمه دون الملائكه وسائر المخلوقات حيث أن الملائكه تحيروا لإسناد الخلافه لادم فقالوا نحن نسبح الله ونقدسه فما هو السر الذى امتاز به ادم عنا فأخبرهم الله أنه امتاز بالعلم الذى علمه الله امتاز بالوعى والارداه الحره وقد جعل شرف الإنسان مرهون بحمل الإنسان امانه العلم وأمانه الخلافه ولهذا أرسل الله الرسل وانزل الكتب لاجل أن يتمكن الإنسان من القيام بهذه المهمه التى كرم الله بها الإنسان على سائر المخلوقات فقد اصطفاء الإنسان ليكون خليفه لله تعالى فى أرضه بعد أن علمه الاسماء ليكون قادرا على القيام بالعمران والتحسين فى الارض وفقا لمراد فالحضاره التى تحقق مراد الله وتحظى برعايه الله هى التى تقوم على أساس معرفه الماده وخالق الماده ولهذا لابد أن يتخلص الإنسان من الجهل والظلم الذى يتصف به كما قال تعالى (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

ولهذا فإن قيام المسلم بحمل امانه الخلافه يتطلب التخلص من الجهل والظلم وهذا يكون بالعلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله وكماله وأمره ونواهيه وزواجره والطريق الموصل إليه وإن يطبق منهج الله الذى فيه الاهتداء إلى حق الله على الإنسان وحق الإنسان على الإنسان وحتى تنسجم حركته مع حركه الكون فقد جعل الله شرط الخلافه ومفتاح القيام بها هو الالتزام بمنهج الله فقال تعالى لادم حينما سلمه مفاتيح الأرض

(فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون...الخ

فلم يشاء الله أن يجعل ادم ينقل لابناءه مراد الله وأبناءه ينقلونها لابناءهم بل جعل لذلك وسيله ارسال الرسل ولهذا جعل أبواه المنهج الذى ياتى به الرسل والأنبياء هى التى يكون بها تسلسل الاتصال التاريخى من ادم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فالذى يخرج عن طاعه الله فإنه يكون تابعا لمدرسه الكفر والفسوق والعصيان ولهذا

فما هو الفرق بين العبوديه والخلافه

الناس كلهم المؤمنين والكفار والملحدين كلهم عبيد لله مهما كان منهم إنكار وجود الله فهم عبيد لله لايخرجون عن هذه الصفه فهم عبيد لله رغم ارادتهم

فالعبوديه قهر والخلافه اختيار فلا يوصف بها الا من اختار أن يكون خليفه بأن يكون موحدا مستسلما لله اختيارا بأن أخضع أرادته طوعيه لأمر الله ولهذا لايوصف بأنه خليفه الا على المسلمين فقال تعالى(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

فالانسان مولود على الفطره ثم إن أبويه يفرضان عليه ديانته حتى إذا كبر فيرى حوله الديانات فإذا اختار الاسلام صار خليفه لله فى أرضه

فإذا لم يختار الاسلام فإنه لايكون خليفه لله فى أرضه وانما تابعا لمدرسه الشر لانه تنازل عن كرامته وانسانيته وحريته بقبوله العيش خلافا لما أراد الله منه فالله قد اختار الإنسان ليكون حارس امين سيدا للكون كله فهذا هو

مركز الخليفه فى الارض ومكانه المسلم فى الوجود أنه شرف عظيم أن تكون اداه فى يد القدره الالهيه فتخضع اردتك لاراده الله طواعيه

والسؤال هنا ماهو الاستخلاف

ولهذا قسم العلماء الاستخلاف فى الارض من حيث اللفظ

١/ استخلاف عام ويقصد به استخلاف البشر فى الارض باعتبارهم مستعمرين لها ومسلطين عليها كما قال تعالى (وهو الذى انشاكم من الأرض واستعمركم فيها)

/٢

استخلاف خاص وهو الاستخلاف فى الحكم سواء كان دول أو أفراد فيكون استخلاف الدول بالاخذ بأسباب التقدم والسياده واستخلاف الأفراد تمكينهم من الحكم والسلطان كما قال تعالى يادواد انا جعلناك خليفه فى الارض فاحكم بين الناس بالحق)

ولهذا بعد ذكر هلاك الامم السابقه فقال تعالى (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

وهذا فيه

الأمر الأول

أنه تعالى يبين لعباده سنته فى استخلاف الدول والافراد والناس فى الارض فإذا أقاموا على أمر الله فهم عند وعد الله لهم بالعز والتمكين والعزه حتى إذا كفروا بانعم الله وكذبوا باياته وخرجوا على حدود رسله أخذهم الله بغته أو تدريجيا وهم لا يشعرون

ولهذا تتحدث النصوص عن اهلاك الله المسرفين الذين تجاوز الحد فى الكفر تجاوز الحد فى العصيان والاعراض عن طاعه الله يعنى الخروج عن شرف الخلافه يريد الله أن يعلم العرب أن اختيارهم لحمل رساله الاسلام هو شرف عظيم يريد أن يدركوا أن الخلافه هى شرف الإنسان الحقيقي فمن فقد صفه الخلافه فإنه يكون بلا شرف وان لم يفقد صفه القوه والسلطان أو الباس لان هذه القوه التى تبقى له تكون قوه بلا شرف ولهذا يقول لهم (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يلفت انتباه المخاطبين إلى سنته الماضية فى الاستخلاف فيحدث عباده انه تعالى يهلك الامم بالذنوب رغم ما تمتلك من قوه ولهذا يقول لهم أن سبب زوال الامم السابقه التى تعرفون اخبارها من قوم نوح وعاد. وثمود والفراعنه الشداد وقوم تبع كانوا يمتلكون القوه والسلطان فما الذى أهلكهم بالغرق والطوفان أنها الذنوب حيث أن الظلم بأنواعه الشرك والاستبداد والخروج عن منهج الله تودى الى هلاك الامم وزوالها أو تسليط من يستولى على أرضها وثرواتها

الأمر الثانى

تبين الآيات انه انزال الهلاك بالامم السابقه بسبب الظلم والشرك وأنه تعالى قد أرسل إليهم الرسل ومعهم الآيات الواضحه والبراهين فماذا كان ردهم لقد أعرضوا عن الاستجابه والطاعه لأمر الله فكان العصيان سبب هلاكهم

فهذا هو قانون وسنه الاستخلاف المطبق فى الارض هو قانون لاينجو منه أحد ينطبق القانون إذا انطبقت شروطه لقد كذب فرعون موسى فاغرقه الله وكذلك كذب قوم نوح فاغرقوا بالطوفان وقد كذب قوم هود نبيهم فحدثهم عن استخلافهم بعد قوم نوح فقال تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح)

وهكذا جاء صالح وذكر قومه بما حل بقوم عاد فهذه هى سنه الله بسبب العناد والإصرار على الكفر كلها أسباب تجعلهم ليسوا أهلا للاستخلاف فهذه هى سنه الله أن يبتليهم ولهذا قال تعالى (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

فارادهم أن يشعروا بالشرف العظيم الذى اختصهم به بأن نقل إليهم أمر قياده العالم فالخلافه شرف لايناله الا من اختار أن يكون خليفه لله فى أرضه والتزم منهجه بينما العبوديه قهر يتساوى فيه المؤمنين والملحدين والكفار فلايمكن لأحد أن يخرج عن قدره الله مهما تكبر ولهذا فإنه لايطلق على الإنسان خليفه الا من اختار الاسلام قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

ولهذا يقول تعالى أن السبب فى هلاك تلك الأمم هو الظلم ظلموا أنفسهم بالكفر لقد تنازلوا عن مكانتهم التى خصهم الله بها فهم يجهلون قيمه أنفسهم وكرامتهم يجهلون قوه الايمان وتنازلوا عن مركزهم فى الارض بأنه سيد الكون وحارس امين ليكن اداه فى يد القدره الالهيه ولهذا فإن خروجهم عن الطاعه واختيارهم طريق غير طريق الله المستقيم يجعلهم عرضه للهلاك فقال تعالى (وماكانوا ليؤمنوا) اى عدم الاستعداد للإيمان اشاره الى تجبرهم فى الارض واستكبارهم على الأنبياء كان وراء رفضهم الاستسلام والخضوع لأمر الله فالإيمان يعنى أن تخضع ارادتك لاراده الله طوعيه ولهذا جاء نفى عدم امكانية ايمانهم وليس نفى الايمان اى لم يكن هنالك امل فى إيمانهم لان الغرور أصابهم فهم ليسوا أهلا للاستخلاف فهذه سنه الله فى الخلافه على الأرض أن يهلك كل من انسحب من قانون الاستخلاف فقد لبيد وطويت صفحته فلم ينجو من ذلك إلا المؤمنين فإذا رأيت اى امه أصابها عذاب الاستئصال فاعلم انها خرجت عن قانون الاستخلاف فالله لايظلم أحد وانما يهلك المكذبين ولهذا ختم تعالى بقوله (كذلك نجزى القوم المجرمين)

جاء فيه التفات من الغبيه إلى الخطاب التشديد والانذار لان الانذار والتخويف بالمشافهه أوقع واقوى لما ذكر بعدها (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

يريد أن يشعروا بهذا الشرف فيحذروا ما وقع فيه الأولين يقول لهم احترسوا من مخالفه قانون الخلافه المطبق على الأرض فكل من تجبر فى الارض واستكبر على الأنبياء وايات الله ونسى نعمه الله عليه وجحد كما جحدت الامم السابقه فإنه يهدر قانون الخلافه فى الارض وبالتالى يعرض نفسه للهلاك فالله لايستخلف امه الا اذا كانوا أهلا لذلك ولهذا يبتليهم ويختبرهم فى هذا الملك ولهذا قال تعالى (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

فأراد أن يشعروا بالرقابه وأنهم فى امتحان واختبار فعليهم أن يكونوا فى يقظه دائمه والحذر من انتهاك قانون الخلافه المطبق فى الارض حتى لايتعرضوا للهلاك فهذه اللمسات القويه التى تتعرض لها قلوب المؤمنين تدفعهم إلى الإحساس بخطوره الموقف والمسئوليه الملقاه على عاتقهم يدفعهم إلى البذل والتضحية والعطاء لاجل الرغبه فى الامتحان وحتى لايفشلوا فى المهمه

ثانيا

يقول تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا اوبدله قل مايكون لي أن أبدله من تلقآء نفسى إن اتبع إلا مايوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لوشاء الله ما تلؤتة عليكم ولآ أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افتربعلى الله كذبا أو كذب باياته إنه لايفلح المجرمون)

المبحث الأول

بعد أن بينت الايه السابقة أنه سنه الله فى الاستخلاف أن يمكن الأمم من أسباب التمكين والعز امتحان لهم لينظر كيف يعملون وان بقاء الأمم مرهون بالتزامها بكتاب الله فأخبرهم أنه جعل ظهور النور الاخير فى امه العرب لتأخذ دورها فى النبوه والاستخلاف بعد الجميع وجعل نبوتها وقيادتها واستخلافها عامه لتشمل العالمين قاطبه وهذا شرف عظيم لامه العرب التى لم تحظى بأى تعاليم دينيه وكانت أكثر البلدان تخلفا فاختصهم الله بهذا الشرف العظيم حيث اختار مكه المكرمه لتكون مهبط الرساله الاخيره واختار الرسول الخاتم منهم ونزل القرآن بلغتهم وهذا شرف ومجد عظيم كان ينبغى عليهم المسارعه إلى قبول مافى القران كان ينبغى عليهم المبادره الى فهم مافى القران فهى امه لم تحظى بأى تعاليم دينيه وكانت أكثر البلدان تخلفا من جهه اخرى فان اختيار هذه الامه لقياده العالمين قاطبه واستخلافهم على العالمين مرهون بالتزام هذه الامه بالقران الذى يخاطب العالمين كلهم بلغه العرب فهى مكلفه بقياده العالمين قاطبه لتزيل عنهم ما وقعوا فيه من أخطاء وهذا شرف عظيم لهم بهذا الاختيار والاصطفاء لامه العرب لقياده العالم فاختار الرسول منهم وأنزل القران الكريم بلغتهم فهذا مجد وشرف لامه العرب فما هو سلوك هؤلاء بعد أن علموا أن ارسال الرسول وانزل القرآن بلغتهم هو لان دورهم فى الاستخلاف والنبوه عامه لتشمل العالمين قاطبه وأنها مكلفه بازاله متوقع فيه العالم من أخطاء فما هو سلوكهم يقول تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا اوبدله)

انهم يطلبون تغير القرآن أو تبديله ؟

الأمر الأول

هذا القول لايصدر عن جد إنما يصدر عن هازل مستهزئ فاى كتاب يريد هؤلاء بعد هذا الكتاب الكامل الذى تكفل بإصلاح البشريه جمعاء فلم يخص بقوم كما هو حال الصحف الاولى بل توخى اصلاح الامم كلها فالقران دستور ومنهج تربوى ونظام حياه يلبى مطالب الفرد والدول والمجتمعات ويهديها إلى طريق منتهى الكمال الذى فيه السلامه والنجاه لكن هؤلاء لم يفهموا حقيقه القرآن والا ما صدر عنهم مثل هذا القول الا ممن لم يفهم مكانته فى الوجود ومركزه فى هذا الكون أو من جهل طبيعه القران وجديه التنزيل

لايصدر الا عن من لم يوقن بالحساب والعقاب ومن لم يدريك حقيقه القرآن فلو أدرك حقيقه القرآن لم خطر على باله مثل هذا السؤال

الأمر الثانى

أن السؤال يدل على أنهم لم يستوعبوا الشرف العظيم الذى اختصهم الله به في قياده العالم ولهذا نجد فى الايه الكريمه التفات من الخطاب إلى الغيبه حيث أن الايه قبلها كانت فيها الخطاب (لننظر كيف تعملون) وهنا جاء بأسلوب الغيبه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا اوبدله) وهذا الالتفات

لاجل اظهار الاعراض عنهم فكانهم غير حاضرين لبيان أنهم غير اهل لتوجيه الخطاب إليهم لان السؤال منهم كما يبدوا كان على سبيل التعنت والاستهزاء والعناد والحسد فهذه الاقتراحات منهم تدل أنهم كانوا يجدون فى الاسلام خطر عليهم مما يدعوهم إليه القران من التوحيد وتحرير الإنسان ومايدعوهم إليه من قيم الحريه والعدل والمساواة والغاء الطبقات وتحريم الظلم والاستبداد والنهى عن الربا والبغى والافساد دعوه الانضباط فقد جاء الإسلام بآداب تهدف إلى تربيه العرب ليكونوا اهلا لقياده العالم أنها تخرجهم من التوحش حتى يكونوا أناس ثم ترشدهم للأخلاق الفاضله ليكونوا اهلا لقياده العالم فتلاوه الرسول صلى الله عليه وسلم للايات عليهم هو لتعليمهم الاداب وتربيتهم وإعدادهم للمهمه العظيمه فامه العرب لم تكن تعرف الانظمه ولا تعرف التعاليم الدينية فقد كانت قبائل متناثره لاتخضع الا لشيخ القبيله امه لم تكن تعرف القوانين فقد كانت تتحكم للقوه امه تقوم على التفريق بين الفخذ والآخر فكان لابد من تأهيلهم للمهمه العظيمه التى اختارهم الله لها وهى قياده العالم ولهذا يذم الله المشركين لأنهم لم يستجيبوا لما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ويخبرنا أنهم لم يكتفوا بالاعراض بل لجأوا إلى السخرية فطلبوا تغير القران بالجمله فى شرائعه ليكون وفق اهوائهم او تبديل بعض منه لأنهم يرون أن ماجاء به القرآن يهدد مصالحهم فاردوا حذف بعض الآيات كما هو حال الكثيرون فى الوقت المعاصر حيث نجد الكثيرون يجتهدون لتبرير أفعالهم القبيحه وللحفاظ على مصالحهم من خلال التأويل الفاسد للنصوص فنجد من يفسر القرآن لتكريس الاستبداد السياسي والهيمنه ومصادره اراده الإنسان باسم الدين يكرس السلاله ويجعل لها سلطه الهيه باسم الدين والقرآن فعندما يسمع التأويل الصحيح للنصوص يتضايق ولايقبل به لانه يرى أنه يهدد امتيازاته فهذا لايختلف عن كفار قريش الذين كانوا يستغلون موقع الكعبه المشرفه لكسب المصالح والامتيازات بدعوى الانتساب لابراهيم فلما جاء الإسلام لم يقبلوا بما يدعوهم إليه القران من التوحيد والعدل والمساواة والحرية برغم أن الله وعدهم أن هم استجابوا لما يدعوهم إليه القران أنه سوف يمكنهم فى الارض لكنهم فضلوا استمرار الامتيازات التى كانوا يحظون بها فى الجزيرة العربية على قياده العالم ولهذا كان منهم هذا التعنت والاستهزاء والعناد فهذا هو حال من يريد اتخاذ الدين وسيله لكسب المصالح

وكذلك فإن البعض الآخر من كفار قريش قالوا سوف نقبل بالصلاه والصيام والحج والزكاة ولكن عليك أن تمدح الهتنا فى القرآن فعليك تبديل النصوص التى تتعرض لاصنامنا وكل الآيات التى تثير حفيظه القبائل المجاوره أو تلك التى تسب الروم والفرس

عليك أن تكون اكثر مرونه وانفتاح حتى تظل لمكه مكانتها ومنزلتها

وهذه النماذج موجوده فى الوقت المعاصر حيث اننا نجد الكثيرون ممن يطلق عليهم مثقفين للاسف الشديد من يطالب بتفسير القرآن والنصوص بما يطلق عليه المرونه والانفتاح على. الثقافات الأخرى تحت مسمى مكافحه الإرهاب يريدون حذف ايات الجهاد من ذاكره الامه يريدون تبرير الربا من خلال التأويل الفاسد لإضفاء المشروعيه على أعمالهم الفاسده لقد شاهدنا كيف أن بعض البلدان الإسلامية التى كانت تزعم أنها ترعى الدين الاسلامى وتزعم أنها تقوم بتطبيقه صارت تروج للرذيله والرقص والدنس وتجلب الساقطات من أنحاء العالم رغم أنها فى الحقيقه لم تكن تطبق الاسلام اصلا بل كانت تزعم ذلك زعما من خلال التركيز على القشور بينما جوهر الإسلام والقيم التى جاء بها من سياده الامه والشرعية الدستورية والشورى والعدل والمساواة والحرية قد غابت عن حياه الامه منذو صفين المهم هنا أن تفهم خطورة الاستجابه لدعوات أعداء الإسلام لحذف بعضا من احكام القرآن أو تعديلها بأنها دعوه تهدف إلى اذابه ثقافه الاسلام واستبدالها بثقافه الكفر والإلحاد!

المبحث الثانى

عليك أن تفهم أن الإسلام يقبل الانفتاح لكن بشرط أن لايودى ذلك إلى مخالفه قواعد الإسلام فالإسلام يرفض الذوبان فما وافق قواعد الإسلام فهى مقبوله وماخالفها رفض فكل أمر يجب عرضه على المبادى والقواعد الاسلاميه لمعرفه موقف القران الكريم والسنه النبويه من ذلك ولهذا يامر المسلمين بتقبل ثقافات الأمم وتراثها تقبل الفاحص وليس المنبهر فالانبهار بحضارات الامم وثقافتها حين الاتصال بها مرفوض فى الاسلام ونحن اليوم نعانى من حاله الانبهار بالثقافة الغربيه حيث اصبحنا نسمع البعض يقول إن الإسلام دين عباده فى المسجد ولايصلح لحكم الإنسان نجد البعض يقول نقبل أن يحكم القران الكريم الأحوال الشخصية الإرث والطلاق لكن بعض الأحكام مثل قطع يد السارق تتعارض مع حقوق الانسان وفيها تشويه للإنسان وبعضهم يقول إن احكام القران مضى عليها ألف وأربعمائة وخمسين سنه فهى لاتلائم القرن الواحد والعشرين يقولون عليكم أن تكونوا أكثر مرونة لاجل أن نتطور عليكم الانفتاح على العالم وثقافتهم وهذا لايصدر الا ممن لم يفهم حقيقه الاسلام ولهذا نجد أن المولى سبحانه وتعالى يقول لنبيه (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا مايوحى إلى إنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وهذا لايصدر الا ممن لم يفهم حقيقه الاسلام لان الإسلام له مصادر نصيه ومصادر غير نصيه فالمصادر النصيه وهى المستمده من نصوص واضحه لاغموض ولالبس فيها اى النصوص المحكمه وهى المحدده فهذه لامجال فيها للزياده ولا النقص ولهذا قال تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) فكلمه آياتنا بينات تدل أنها واضحه فيها نص واضح وصريح والمصادر النصيه فى الاسلام هو القران الكريم والسنه النبويه الشريفه فهذه المصادر ثابته لايمكن لأحد أن يضيف إليها حرفا واحد ولاينقص منها حرف لان القرآن وحى من الله كما يلقن الله نبيه فلا يحق للرسول تعديله أو تبديله وقد ذكرت كلمه الحق فى هذه السوره (٢٣)مره للاشاره الى ان القرآن حق لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك فإن الأحاديث الصحيحة ثابته فهذان المصدر أن يمثلان الثبات بالنسبه لمصادر الاسلام وعليها تبنى ثقافه المجتمع المسلم فلا يقبل التهاون فيهما ولايمكن أن نبدل اى نص منهما بنص اخر أو أن يوصف اى نص بأنه يمثل ثقافه الاسلام يخالف مافي الكتاب والسنة فلا يصح ذلك لأن ثبات المصدران يعود الى أنهما وحى من الله تعالى أما المصادر الغير نصيه فهى متعدده وأقواها عند علماء الامه هى الإجماع والقياس وهما مصدران يعتمدان على النصوص من القران والسنه كإطار عام ويترك المجتهد الأمور الفرعيه وهناك مصدر غير نصيه مثل الاستحسان والمصالح المرسله والعرف فهذه قابله للانفتاح والمرونه بضوابط متربطه بالمقاصد الخمسه ومراعاه مصالح الناس فى ضوء ظروفهم الاجتماعيه والاقتصاديه وما يستجد فيها من مشكلات

وعلى العموم فإن الضابط هو المقاصد الخمسه فكل ماهو متعلق بالعبادات والأمور الاعتقاديه فهى فى الاسلام ثابته وهى واضحه ومحدده وتتصل بكليات الاعتقاد اى الايمان بالله وتوحيده وسائر اركان الايمان وكذلك فى مجال العبادات ولهذا ذهب البعض أن المراد بالايات واما فى المعاملات فهنالك قسمين من التعاملات سواء فيما هو متعلق بتعامل العبد مع أسرته أو جيرانه أو ذوى الحرفه أو مع الدولة أو تعامل الدول مع الدول أو ماهو متعلق بانظمه الحكم والمال وغيرها من أشكال التعامل فهى تقوم على رعايه المقاصد الخمسه حمايه النفس والعرض والدين والمال العقل والنسل فقد وضعت احكام ثابته للحفاظ عليها لاتقبل التهاون فكل ما يؤثر على مقصد منها غير مسموح أما إذا لم يؤثر عليها ولم يخالف نص فى القرآن أو السنه فقد ترك الاسلام فيه قدرا من المكرونه على قاعده أن الأصل فى التعاملات الاباحه وكذلك هو حال الثبات والانفتاح بالنسبه للقيم فالقيم التى تحمى المقاصد الخمسه أو ضمان تحقيقها قيم ثابته لاتتبدل ولاتتغير فكل قول أو فعل يعرضها للخطر ممنوع

المبحث الثالث

وهنا قد يقول قائل كيف تكون السنه مصدر نصى والله يقول لنبيه (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى) فكيف ذلك ونحن نعلم أن هنالك ايات تم نسخها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم

الجواب من قوله تعالى (ما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحيا يوحى)

ولهذا فالسنه مصدر ثابت أما ماورد فى هذه الايه فذلك يعود إلى أن النقاش كان فى العهد المكى وهو يدور حول إثبات وحدانيه الله واثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وان ماجاء به هو من عند الله فهو يبلغهم ايات الله ولهذا أضاف الآيات إليه تعالى على سبيل التشريف والتعظيم وأسند التلاوه للايات بصيغه المبنى للمفعول للاشاره. أن الآيات معروفه لهم المعرفه التامه فصارت بغير حاجه إلى تعين تاليها فالنصوص تناقش

صدق الرسول وماجاء به من القران أنه من عند الله ..وصدق ما يدعوهم إليه من الايمان بالله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له..وما يدعوهم إليه من الايمان باليوم الاخر والحساب والعقاب والقضاء والقدر والجنه والنار فى إطار الحديث عن شرط الاستخلاف اتباع منهج الله والتصديق بالرسول والرساله والتوحيد

ولهذا نجد الايات تتناول الاتى

الأمر الأول

يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد على مقترحات المكذبين بأن ياتى بقرآن غير هذا اويبدله (قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسى)

استخدم كلمه قل لاجل أن تدق هذه الكلمه اجراس الاذان أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يبلغهم ما يأمره به الله فهو لاياتى بما يبلغهم به من عنده يقول لهم لى حدود معينه لا اتجاوزها فليس من حقى أن أغير أو ابدل احكام الله فما أمر الله يجب الخضوع له والاذعان والانقياد الكامل واول من ينقاد لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثانى

يخبرهم أن المساله ليست لعبه ولامهاره ولا منبع ما أخبركم به ذكاء الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجاربه ولاخبرته الواسعه وانما يعود ذلك إلى وحى الله الذى اصطفاه لحمله للناس وهذا ردا على مقترحات المشركين الذين كانوا قد طلبوا من الرسول تغير القرآن أو تبديله كى يقبلوا اتباعه ولهذا يخبرهم أن المساله ليست خاضعه لمزاج السامعين كما يفعل الشعراء الذين يقومون بتعديل أشعارهم إذا لاحظوا أن السامعين لم يكن منهم التصفيق له عند الإلقاء فيضطر إلى تغيره أو تبديله

ولهذا جاء الرد حاسما من خلال اضافه الآيات إلى الله تعظيما وتشريفا لها ثم بتلقين الرسول الحجه للرد عليهم لأنهم انزلوا القران منزله أدنى مراتب الكلام وهو لهو الحديث الذى يلقى لتلهو به نفس السامع فإذا لم يستطيب السامع كان تغيره أو تبديله

ولهذا يخبرهم أن ماجاء به هو من عند الله لايقوم بتبديله أو تغيره من تلقاء نفسه فليس له من الأمر شى فهو

يتبع مايوحى إليه فهو لايقدر على ذلك فرضا وأنه فقال تعالى. (إن اتبع إلا مايوحى إلى)

فما يدعوهم إليه ليس من عنده ولا من خبرته وتجاربه الواسعه إنما مصدره الوحى والرساله التى اصطفاءه الله لحملها

فالقران منزل من عند الله خالق الإنسان والكون ويعلم مايصلح للإنسان فما يكون للرسول صلى الله عليه وسلم أن يبدله فهو مبلغ للوحى

الأمر الثالث

اذا كان النبى قد أخبر القوم أنه لايقدر على تبديل ايات الله أو تغيرها فرضا فلماذا عقب بذكر أنه يخاف معصيه الله عذاب يوم عظيم وهو المعصوم فلن يفعل ذلك اصلا ؟

الايه تهدف إلى غزو المناطق الداخليه للنفس ليشعر كل مسلم فى كل زمان ومكان بما فيهم انت ايه القارئ بضخامه جريمه التغيير والتبديل فإذا كان المعصوم يخاف من شده العذاب فقال تعالى (انى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)

فكيف بك انت ايه المسلم فاحذر من ذلك

ثم إن الايه فيها تحذير من عذاب يوم القيامه التى ينكرها المكذبون فالرسول ينصح كل مسلم من اهوال هذا اليوم والايه ترسم لنا أنه قد تملك النبى صلى الله عليه وسلم مشاعر الخوف من هذا اليوم فهو ناصح ومشفق على أمته لما عرف من اهوال هذا اليوم وهم لايعرفونه ولايدركون اهواله ولاعظيم شدته ولهذا فإن هذا الخوف منه أمر طبيعى

المبحث الرابع

يدعوا النبى صلى الله عليه وسلم المخاطبين إلى التفكير العميق فى مساله مايثيرونه من شبهات حول صدقه وصدق رسالته ومعجزه القرآن فقال تعالى (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولآ أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب باياته إنه لايفلح المجرمون)

المساله الاولى

يخبرهم أن مشئيه الله كانت وراء اختياره واصطفاه لحمل الرساله فهذا الأمر يخضع لمشيئه الله واختياره كما قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا والناس)

وهو تعالى يعلم حيث يجعل رسالته وهذا فيه رد على الحاسدين فقال تعالى (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولآ أدراكم به)

بأن الأمر يعود إلى مشيئته تعالى فليس للرسول من الأمر شى

االمساله الثانيه

القرآن كتاب الله ومعجزه نبيه صلى الله عليه وسلم وقد جعله علامه على صدق نبوته النبى صلى الله عليه وسلم فالمعجزه هى ذات المنهج بعكس الكتب السماويه السابقه نظمها معجزه أما القران الكريم فإن نظمه معجز لايقدر عليه العباد ولايصح دخوله تحت قدره العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدره عليه فلو كان الناس قادرون على معارضته والاتيان بمثله لفعلوا رغم كثره التقريع والتحدى لماذا عجزوا لانه خارج عن عاداتهم وأنهم لايقدرون عليه والعرب كانت تعرف البلاغه والفصاحه فنظم القران تدل أنه معجزه

فقال تعالى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب باياته إنه لايفلح المجرمون)

وهذا ما يستدعى الوقوف على ما تضمنته الايه من مدلولات متعلقه بدعوه الرسول لهم أن يتاملوا ماضيه الذى عاشه معهم ودلالتها على صدق نبوته ؟ وهذا فيه

الأمر الأول

لتعلق ذلك بشرط المعجزه أن يعلم أنه أتى بها النبى وأنها ظهرت من جهته :

حيث أن هذا الشرط قد تحقق باستدلال النبى صلى الله عليه وسلم بأن القرآن معجزه ظهرت من جهته وهو علما على صدقه وصدق نبوته فالنبى معروف لديهم أنه امى لايعرف القراءه والكتابه ولم يجلس لمعلم قط

الأمر الثانى

يورد القرآن اعتراضات المعترضين ليرد ويفند بالدليل المنطقى فهو يحاور العقل الذى إذا استيقظ من غفلته تتحرك تيار الأفكار فيه فالصله بين اليقظه والعقل اساس الحركه

لان البعض كان يحاول تصوير مصدر . معجزه القرآن الكريم أنها من المهارات والمواهب التى يتمتع بها النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا طلبوا التبديل والتغيير ظنا منهم أنه بمقدروه ذلك وهذا المقترح الفاسد يهدف إلى اثاره الشبهات حول الرسول صلى الله عليه وسلم بالزعم أنه صاحب مواهبه تفوق مواهبتهم فى الفصاحه والبلاغة ولهذا يدعوهم للقيام بالتفكير العميق والبحث الدقيق فى شخصيته فهو لم يجلس إلى معلم أنه امى لايعرف القراءه والكتابه وقد عاش فيهم أربعين سنة من عمره ولم يقل شى من ذلك على الاطلاق فالمسألة ليست مهاراه فهو لم يتحدث عن ذلك عمره الماضى كله فلو كان باستطاعته قول ذلك فلماذا سكت طيله تلك السنوات كلها فهذه الحقائق توكد لكل عاقل أن الله أرسله رحمه للعالمين وزاوده بهذه المعجزه الداله على صدقه فما عليهم إلا أن ينفتحوا بعقولهم وأفكارهم فهو لايطلب منهم اجرا ولهذا ختم الايه(أفلا تعقلون)

فأنت عندما تسمع الايه عليك أن تدرك أنك معنى بهذا الخطاب فالحق يدعوك الى الافاده من عقلك عليك أن تفكر عليك أن تتعلم كيف ترقى بجهاز تفكيرك

الأمر الثالث

كما أن من ضمن الشبهات التى حاول البعض إثارتها لمنع الناس من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هو زعمهم

أن القرآن افتراه النبى صلى الله عليه وسلم وان نظم القرآن وفصاحته مصدرها النبى عليه افضل الصلاة والسلام وهذه الشبهه قد حاول أعداء الإسلام فى الوقت المعاصر استغلالها لاجل تعطيل فاعليه الاسلام فى الحياه وهو من الخداع التى انطوت على الجهلاء فى المجتمعات الإسلامية حيث نجد اعداء الاسلام قد ذهبوا للقول بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر الرسول فى حديث مشهور أنه أفصح العرب وبالتالى فلماذا لايكون القران من نظمه لقدرته على الفصاحه على مقدار لايبلغه غيره وقد استغلوا ما ذهب إليه البعض من علماء المسلمين من القول بأن خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه تصل لحد الاعجاز فى الفصاحه وان كانت دون القران مستدلين بما وجد فى مصحف بن مسعود من ادعيه القنوات فقالوا لقد اشتبه على ابن مسعود احاديث الرسول وخطبه مع القرآن وهذا القول غير صحيح للاتى

لانه إذا تم الوزن بين خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وكلامه المنثور ورسائله وبين نظم القران فإنه يتبين من البون بينهما مثل مابين كلام الله عز وجل وكلام الناس فلا معنى لمن ادعى أن كلام النبى معجز وان كان دون اعجاز القران

فهذا القول غير سديد فكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لايصل إلى مرتبه حد الاعجاز فلو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبين مثل مابين خطبه وخطبه ينشئهما رحل واحد وكانوا يعارضونه فقد علمنا أن القدر الذى كان بين كلامهم وكلام النبى صلى الله عليه وسلم لايخرج إلى حد الاعجاز ولايتفاوت التفاوت الكثير ولايخفى كلامه من جنس اوزان كلامهم وليس كذلك نظم القران لانه خارج عن جميع ذلك ولامعنى لما ذهب البعض من التعلل به بشأن ماوجد فى مصحف ابن مسعود فلايدل كتابه ابن مسعود ادعاء القنوات أنه اشتبهه عليه الدعاء مع القران ؟

فليس الأمر كذلك فإنه يجوز أنه كتبه على مصحفه لئلا ينساه كما يكتب منا بعض الادعيه على ظهر مصحفه

وبالتالى فإن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لايصل إلى حد الاعجاز القراني لان القرآن كلام الله ولايصح دخوله تحت قدره العباد

/٢

كما أن القرآن يرد على. هؤلاء الذين افتروا على الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه اصطنع القران من عنده فيدعوهم الى مراجعه ماضيه فقد عاش فيهم أربعين سنة موصوف بأنه الصادق الامين فلم يكذب قط عليهم ولم يخن فمن لم يكذب على البشر كيف له أن يكذب على الله ولهذا يذكرهم بهذه الحقيقة المعروفة لديهم فقال تعالى

(فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب باياته إنه لايفلح المجرمون)

فالاستفهام للانكار والنفى لبيان شناعه الجريمه

ثالثا

تدعوا الايه المخاطبين إلى الاستفاده من عقولهم وان يحرصوا على الافاده من عقولهم

يدعوا الله العباد إلى ترقيه مدراكهم يقول لهم عليكم أن تفكروا (أفلا تعقلون)

وهى دعوه لكل مسلم هى دعوه لى ولك أن نتعلم لنرقى بجهاز تفكيرنا علينا أن نعمل بما يستقر عليه فكرنا لتنمو قدرتنا على التفكير وترشد مسالكنا فالإسلام جاء لتصحيح تصور الإنسان عن الله عزو جل الذى ميز الإنسان به ورفع قدر العقل بأن جعله اداه الخلافه وتفهم حقائق الدين فالعقل الانسانى اساس التكريم الايجابى فى تكوين الشخصية الإسلامية ولهذا يقول تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب باياته إنه لايفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لايعلم فى السماوات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمه سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم من المنتظرين)

المبحث الأول

ابتدأت بالاستفهام (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب باياته إنه لايفلح المجرمون)

للانكار والنفى بأنه لا اشد ولا أقبح ظلما عند الله وأجدر بعقابه ممن افترى الكذب ونسبه إلى الله أو من كذب بآيات الله شمل من ادعى كذبا بأنه مرسل من الله أو أن الله أمر بأمر دون أن يأمر به مثلما فعل مسليمه فهذا يكون مفترى على الله الكذب وكذلك من رأى الحق وعرفه وكذب به فهذا اشد وأقبح انواع الظلم فخص فى هذا الداعى بالباطل والمعرض عن الحق بأنهم فى حاله اختلاق الكذب ونسبه الى الله وشريعته ومن يرفض القبول بالحق فإن هولاء لايجدون طريق النجاح والفلاح لماذا

الأمر الأول

لان طريق الفلاح والنجاح والنجاه والسعاده هو الصدق والإخلاص أما الكذب والفجور فهو طريق الضياع والضلال والشقاء الذى يسلكه المجرمون

الامر الثاني

لان طريق معرفه مراد الله لايمكن إدراكه بالعقل فالعقل محدود الإدراك فالناس بحاجه الى معرفه كيفيه تحقيق الغايه التى خلقوا لأجلها اى عباده الله ومعرفه الخالق وصفاته وأفعاله وإثبات البعث والنشور والمعاد والجنه والنار وطرق العباده ولهذا فإن الطريق الوحيد للحديث عن الله إنما يكون عن طريق الرسل الذين يتصلون بالله بالوحى فالرسل يكملون النقص فى العقل الإنساني الذى علم الله مافيه من قصور عن هدايه الإنسان الى مايسعده ومايشقيه ولهذا أرسل الرسل ليعرفونه ذلك ولهذا لايمكن لأى رسول أن يكذب على. الله فالرسل معصومون من الكذب فجميع الرسل اشتهروا من قبل بعثتهم بأنهم أهل صدق ولايمكن أن يكذبوا فلا يجتمع ايمان بالله وافتراء الكذب كما أخبر الله فى سوره النحل فقال تعالى (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون)

فالرسل أرسلوا رحمه للعالمين وهم يسعون إلى نشر الخير ومحاصرة الشر وازالته ولهذا يستحيل عليهم أن يكذبوا على الله تعالى

الأمر الثالث

لان كل من يريد الحق لايمكن أن يكذب و كل من يريد الفلاح لايمكن أن يكذب فلا يكذب الا المجرم الذى لايبالى بما يقول ولهذا ينبه الله الناس الى شر الكذب فيجعل الكاذب أظلم الناس المفترى على الله الذى لاتناله الهدايه كما أخبرنا فى سوره الصف (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لايهدى القوم الظالمين) وهنا فى هذه الايه يقبح الله عاقبه الاتصاف بالكذب فيقول تعالى. (أنه لايفلح المجرمون) ويبرى القران مجتمع المؤمنين فى موضع اخر من الكاذبين فيقول تعالى (الم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولامنهم ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون)

فالقران يطارد الكاذبين وأهل الكذب يصفهم بارذل الصفات ليكونوا منبوذين ولينظر إليهم باحتقار وهو ينفى عنهم الفلاح بعد أن جعلهم مفترين ليغرس فى النفس النفور من هذا الخلق فقال تعالى فى موضع آخر (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب أن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون)

المبحث الثانى

بعد تجريد النصوص الكاذبين من كل حسنى وبعد الحكم عليهم انهم لامكان لهم بين أهل الخير والصلاح ولامقام لهم فى جنات الله وانما مكانهم نار جهنم لان ألسنتهم لاتصف الا الكذب فيخبرنا الله أن الكذب ساقهم الى أن يعبدوا اصناما لاتضر ولاتنفع احجار صماء وأنهم قالوا إنها تقربهم إلى الله زلفى وأنها تشفع عنهم العذاب فقال تعالى(ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

الأمر الأول

(أن الذى لايحترم عقله لن يحترم نفسه)

يقول الحق انظروا الى شناعه الجريمه التى يرتكبها الإنسان أنه يريد أن يفرض على الناس قولا بغير حجه ورايا بغير دليل بمثل هذه الأقاويل السخيفه التى لاتحترم العقل الإنسانى الذى كرم الله به الإنسان فإذا كان الله قد خاطب عقولنا فعرض عليهم الاداله والبراهين العقليه فى اقامه الحجه فكيف لهذا الانسان أن يعطل عقله بهذه التصرفات السخيفه كيف له أن يعبد هذه الأصنام العاجزه ويقول انها تشفع لهم عند الله من اين جاوا بهذه السخافات أن من لم يتحرم عقله لن يحترم نفسه لان الله كرم الإنسان بهذا العقل وجعله سيدا على هذا الكون واخضع له مافى الكون فمن أين جاء هؤلاء بهذه المزاعم إذا كان الله يخبرهم فى كتابه أن لاشفعاء عنده إلا بإذنه واخبرهم أن عباده غير الله شرك واخبرهم أن الاستعانه لاتكون الا بالله تعالى

الأمر الثانى

(تستنكر الايه أن يقدم الإنسان افكار أسلافه ويؤخر عقله وما أنزل الله فى كتابه من أمور الغيب)

يقول الحق اذا علم أن الرب هو الذى يملك النفع والضرر هو المعطى والمانع فكيف يعبد هؤلاء أصنام عاجزه عن النفع أو الضرر كيف لعاقل أن يتمسك افكار أسلافه ويؤخر عقله الذى كرمه الله به ثم من اين جاوا بفكره أن هذه الأحجار لها حق الوساطه عند الله أو غيرها من المخلوقات اذا كان الله قد أرسل الرسل جميعا يدعون الناس الى عباده الله وحده لا شريك له فمن أين جاؤا بهذا العلم ولهذا يقول تعالى ساخرا منهم (قل اتنبئون الله بما لايعلم فى السماوات ولا فى الارض). فإذا كان الله لايعلم أن هناك من يشفع عنده مما تزعمون فهل تعلمون انتم مالايعلمه الله وتنبئونه بما لايعلم له وجود لا فى السماوات ولا فى الارض فعليكم ترك التقليد فالعقيده لاتبنى الا

على العلم كما قال تعالى فى موضع آخر (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

وأمور الغيب المتعلقه بصفات الله وأفعاله واسماءه وطريقه عبادته لايمكن استكشافها الا عن طريق الوحى فالرسل وحدهم الذين يحق لهم التكلم عن الله وأمور الغيب لأن مصدر علمهم الوحى بينما الناس مصدر علمهم مكتسب بالتجربه ولهذا فلا سبيل لمعرفه أمور الغيب الا عن طريق الوحى ولهذا يختم ذلك بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون)

ينزه الله عما لايليق بجلاله مما يدعون فطريق الفلاح تبدأ من معرفه أن الله اكبر من كل مافى الكون تعنى أفراد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التى لاتنبغى لأحد غيره فهو وحده ليس كمثله شى ولم يكن له كفوا احد والناس والمخلوقات بعد ذلك كلهم أشباه وانداد كلهم مخلوقون وكلهم عباد وكلهم فى ذلك سواء فهو وحده الضار والنافع وحده المعطى والمانع وحده هو الرزق فمعنى الشهاده (لا اله الا الله) رؤيه واطلاع واعتراف الصدق فى الشهود ومرتبه اليقين فى الاقتناع تعنى أن يعلم الإنسان ما يعمل ويعمل بما يعلم ليس مجرد تلفظ باللسان كما هو حال الكثيرون من ابناء الاسلام اليوم لقد نزل الاسلام يصحح تصور الإنسان عن الله عز وجل جاء ليقضى على الشوائب التى طرأت على الفطره والبشريه الذى غطى على جوهر التوحيد ركام من الخرافات صارت جزءا من سلوك الناس وللاسف الشديد أن توحيد المسلمين اليوم قد خالطه شوائب الشرك حيث غطى على. جوهر التوحيد الاسلامى ركام من الخرافات صارت جزءا من السلوك الاسلامى بينما الأصل أن الاسلام نزل لمحاربه هذا السلوك

الأمر الثالث

عليك أن تدرك أن دعوه الرسل كلهم من ادم إلى النبى صلى الله عليه وسلم كانت (أن اعبدوا الله) على امتداد عصورهم فهذه القضيه كما يقول لنا الله عامه تشمل جميع الأقوام على امتداد عصورهم فقال تعالى (وماكان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمه سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون)

تبين الايه أن البشريه تبدأ طريقها مهتديه مؤمنة موحده ثم يحدث الانحراف عن طريق التوحيد ويطرا على الفطره غيار الشرك نتيجه الجهل والغفله والضلال ولهذا كان الله يرسل رسولا يدعوهم إلى. التوحيد والى عباده الله تعالى وحده لا شريك له أى بذات الحقيقه التى جاء بها الرسول السابق هى حقيقه واحده حملها جميع الرسل فكلما نسى الناس الفطره ارسل الله رسول لهداية الناس فمن الناس من يؤمن ومنهم من يكذب الرسل وعندها يهلك الله المكذبين وينصر المؤمنين ويستخلفهم فى الارض ثم بعد ذلك يحصل الانحراف تدريجيا من اتباع المؤمنين وهكذا يرسل الله رسولا يحمل ذات الحقيقه وينتشل البشريه من الشرك ومستنقع الضلال فهدف الدعوه هى تصحيح العقيده وتقويه صله العبد بربه والدعوه الى اخلاص الدين وأفراد العباده لله وحده وأنه النافع الضار المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك وحده فحمله الانبياء تنصب ضد الوثنيه فى كل عصر ولاقامه الحجه على الناس ارسل الله الرسل فقال تعالى (ولولا كلمه سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون)

أن ارسال الرسل رحمه من الله للناس ولأنه قد تقدم من الله كلمه أن لايعذب أحد الابعد قيام الحجه عليهم ولهذا لم يهلك أحد بدون اقامه الحجه وجعل للخلق أجل معدود وكذلك جعل للأمم أجل وللانظمه أجل محدد ولولا ذلك لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فاسعد المؤمنين واعنت الكافرين فقد اقتضت حكمه الله أن يمهلهم جميعا إلى أجل يستوفونه وسبقت كلمته بذلك فنفذها لحكمه يعلمها ويريدها

وبمناسبه الحديث عن الامم السابقه وإرسال الرسل لانتشال الناس من مستنقع الشرك الذى يطرأ على الأفراد

والدول والانظمه وعاقبه ذلك عند انتهاء الأجل المضروب لكل امه تستعرض الايه رد فعل المشركين من ذكر قضية استخلاف الأمم وهلاكها فقال تعالى

(ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين)

أنهم يطالبون بانزال المعجزه المادية كما كانت سنه الأولين أن الرسول يرسل ومعه معجزه ماديه فهم يقولون لولا أنزل عليه معجزه مثل ناقه صالح يطلبون أن يحول لهم الصحراء إلى مروج وانهار ويجعل جبال مكه ذهبا ومرجان فهؤلاء لم يفهموا أن المعجزه القرانيه البيانيه هى المناسبه لجيل النضج البشرى الذى انتقلت إليه البشريه يجهلون أن المعجزه الماديه انتهى العمل بها لانه لانبى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فالقران معجزه دائمه تخاطب العقل الإنسانى والقلب فى كل الأجيال ثم أن المعجزه الماديه يتبعها عذاب الاستئصال كما انه يحذرهم من الهلاك إذا تجبروا على الرسول وكذبوا الآيات فهذا هو قانون الخلافه المطبق على من يخالفه فلن تنفعهم الخيوط التى يتحصنون بها من القوه والمال والجاه والسلطان وكأنهم لما سمعوا ذلك طلبوا انزل العذاب الذى يعدهم واستعجالوه كما ورد فى نهايه القسم الاول من هذه السوره (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون)

لهذا يوجه الحق سبحانه وتعالى رسوله ويرشده أن يرد عليهم (فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين)

اى أن استئصال المكذبين حسب سنه الله من أمور الغيب التى علمها عند الله فالرسول لايعلم موعدها لكنه يثق بوعد الله بنصره أولياءه وتمكينهم فى الارض واهلاك المكذبين وقد تحقق ذلك فى بدر وفتح مكه حيث مكن الله المسلمين من أسباب التمكين والعز وسلب اهل مكه العز والتمكين الذى كانوا فيه فالايات تتحدث عن سنه الاستخلاف وقانون الخلافه المطبق فى الارض

المجموعه الثانيه

الآيات من21--25

تتحدث الآيات عن سنه الابتلاء ومواقف الناس أثناء الابتلاء بالشده والرخاء حيث تبدأ الآيات بالحديث عن طبائع الناس بأنه مفطورون على معرفه الله ومحبته وعبادته ولهذا تجدهم وقت الشده يلجأون إلى. الله بالدعاء طالبين منه إنقاذهم مما هم فإذا استجاب لهم الله فإنهم لايشكرون الله على ما أنعم به عليهم ثم تضرب امثله واقعيه لما يتعرض له الناس فى حياتهم وتجاربهم الشخصيه من شده تزيل عنهم الاغطيه التى تحجبهم عن ربهم لكنهم بمجرد ما تزول الكربه يرجعون إلى البغى وينسون انعام الله عليهم ثم تبين الايه أن الحياه الدنيا دار ابتلاء واختبار وان الحياه الحقيقيه هى الحياه الاخره فقال تعالى

اولا

ابتدأت الآيات بذكر حال الكفار فقال تعالى. (وإذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذ لهم مكر فى آياتنا قل الله اسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ماتمكرون)

من المقصود بالناس فى الآية

ذهب اغلب المفسرون إلى أن المراد بكلمه (الناس) هم المشركون خاصه نظرا لأن المجموعه السابقه كانت تتحدث عن قانون الاستخلاف فى الارض واختتمت بقوله تعالى (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين) حيث طلبوا اية وقد أصابهم الله بالقحط وسلطه عليهم سبع سنين حتى كادوا يهلكون فطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله يرفع عنهم القحط ووعده بالإيمان أن رفع الله عنهم القحط وقد استجاب الله للدعاء ورحمهم ونزل المطر فماذا كان منهم لقد اجتمعوا لاجل التخطيط حتى لايتاثر الناس بالايه الظاهره الداله على رحمه الله إصرارا منهم على. الكفر ولهذا ذهبوا ينسبون نزول المطر الى اصنامهم

لكن هذا لا يمنع أن فيها تنبيه لعموم الناس المؤمن والكافر حيث يلاحظ أن الايه فيها

الأمر الأول

تبين الايه أن المشكله فى عدم ايمان المكذبين ليست فى قله الآيات أو كثرتها بل المشكله كامنه فى الكافر أما الآيات فهى اكبر من ان يستوعبها الإنسان أو يعدها أو يحصيها فهى حاضره للعيان فى متناول الجميع فى هذا الكون الفسيح وفى حياه الناس أنفسهم لكن من هذا الذى يتدبر ايات الله المبثوثه فى الكون أو تلك التى يمر بها الإنسان نفسه فكل إنسان يمر بتجارب فى حياتة يعرف حينها أن له رب يتولى رعايته وأنه يعيش فى ارض الله ويحتاج إلى الله يعرف الانسان نفسه بضعفه وافتقاره لربه فلكل إنسان تجاربه الشخصيه التى مر بها فوجد نفسه فى كربات وضيق الى من تلجأ أليس الى الله تعالى

عليك اخى المسلم أن تقف مع نفسك فتتذكر مواقف صعبه مررت بها فى حياتك كيف كنت عندما أحاطت بك المصائب والدواهى وعجزت حيلتك عن دفعها الى من التجاءت تذكر فلا تنسى لاتجعل النعمه تشكل حاجزا يحجب عنك رؤيه جمال الله وحسنه وإحسانه فى انعامه عليك بنعمه دفع الضر عنك فمن أصيب بحادث تصادم سيارتين وانكسرت قدماه لابد انه مر بتجربة صعبه وجد أنه محتاج الى لتشكر الله على نعمته ولاتكن من الغافلين

أن الكفر يعود إلى الجهل والغنى لان الانسان مخلوق على الفطره فهو يعرف ربه بفطرته ويحبه ولهذا فإنه وقت الشده عندما تحل به المصائب والكوارث كالمرض والفقر والجوع والشعور بالخطر يلجاء إلى الله طالبا النجده لانه يعرف أنه لايقدر على. إنقاذه الا الله تعالى فالشده أزالت عنه الغفله وهذا هو التوحيد القطرى والعلم الفطرى والمحبه الفطريه الذى ظهر عند الشده فهذا لان الشده أحدثت اهتزاز فى أعماق النفس نتج عنه ازاله الغبار عن النفس فنتج عنه الانفعال النفسانى الذى أعاد للإنسان وعيه فادراك أن هذا الخطر لايقدر على دفعه الا الله تعالى. وحده ...عرف أنه ضعيف لانجاه له إلا بالقرب من الله واظهار الذل والخضوع والخشوع لله تعالى وإظهار الفاقه لربه والاعتراف بربوبيته وحده لا شريك له فلا وسيله له للنجاه الا بذلك لكن عند زوال المؤثر الناتج عن الانفعال النفسانى بزوال عامل الخوف والشعور بالخطر والضعف فقال تعالى (وإذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم)

كان ينقلب حالهم من فقر إلى غنى ومن مرض إلى صحه ومن ضعف إلى قوه فكيف يصبح وضع الإنسان أنه ينسي أن ذلك انعام من الله تعالى. فيكفر ويحجد المنعم وينسبها لنفسه فالكافر كلما ابداله الله صحه بعد مرض ومال بعد فقر فإنه ينشغل بهذه النعمه التى كان محروم منها ينشغل بلذتها ولهذا استعمل لفظ (اذقنا) من الذوق

وهو فى الحقيقه يستعمل لتميز مذاق الطعام كونه يدرك بتذوق اللسان وهنا استعمل مجازا على سبيل المبالغه فى إدراكهم رحمه الله وانعامه وأنهم تلذذوا فى المسرات وادراكتها حواسهم فمن جهه هم قد شاهدوا انعام الله التى تنجذب اليها القلوب فظهرت لهم عنايه الله ورحمته فقد اطلعوا على حسن الله وإحسانه وفضله فالاصل أن يودى ذلك تعلق قلوبهم بالله تعالى وادراكهم أنهم يعيشون على انعام الله ورحمته وأنهم بحاجه الى معونه الله ولاقوام لهم بدونه الأصل أن يكون منهم شكر الله فما هم فيه بقوه الله لابقوتهم

فما الذى حدث أن هؤلاء بعد أن شعروا بالأمان وزوال الخطر فانشغلوا بالنعمه عن شكر المنعم وكان منهم الابتعاد عن الله ونسيان المنعم قابلوا النعم بالمعاصى ومن ثم كان منهم تعظيم أنفسهم والانشغال بتضخيم ذوات أنفسهم فنتج عن ذلك الشعور بالغنى وعدم الشعور بالحاجة نظرا لأن الكافر يستمد قوته من المال والجاه والقوه والعافيه فإن هذا العبد فى حال الصحه وامتلاك المال والجاه والقوه تجعله ينسى أنه يحتاج الى الله تعالى وأنه فى افتقار لربه ينسى أنه ضعيف لايقوم بحاجته بقوته وانما بقوه الله

الأمر الثانى

تبين الايه أن المشكله فى تكذيب المكذبين ليس لقله الآيات أو نقص البيان فألايات لاتعد ولاتحصى فى نفس الإنسان والكون وتجارب الإنسان نفسه فلو تأمل الإنسان وتدبر فى ماكله. ومشربه سوف يعرف أنه يعيش على انعام ساقها الله إليه يعرف أن له رب يتولى. رعايته وأنه يحتاج إلى الله على الدوام وأنه لايستطيع القيام بنفسه على. احتياجاته فهو يشرب من ماء الله ويتنفس من هواء الله وياكل من انعام ساقها الله إليه

يعرف أنه ضعيف محتاج الى الله تعالى فى كل حال فلكل أنسان تجاربه الشخصيه التى مر بها فى حياته تجعله يعرف عجزه وضعفه لكن المشكله تكمن فى الإنسان نفسه الذى ينسى ضعفه ولهذا يتجبر ويبغى فى الارض ينسى أنه يعيش فى ارض الله ورحمته وانعامه وإحسانه وفضله وينسى ماكان فيه من شده فقال تعالى (إذ لهم مكر فى آياتنا)

لبيان فساد الناس فى قواهم الفكريه ومشاعرهم فالمكر يدل على انحراف تفكير الكفار فهو يشير إلى محاوله هؤلاء التهرب من استحقاق النعمه التى أنعم الله عليهم بها فاستعمل المكر للاشاره الى ان خبث تلك النفوس وخستها فإنها تسعى للتامر ضد مصلحتها بالتدبير الخفى من خلال السخريه بالايات والطعن بها كما أخبر الله عن فرعون وقومه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) فالقوى المفكره فى الإنسان تصطدم احيانا مع النفس الخبيثه حيث أن العقل (العلم الفطرى) يدعوها للاعتراف بالحق لكن خسه النفس يدفعها إلى اتخاذ التدابير الخفيه التى تجعله ينجر وراء اهواءه فيزيغ عن الهدايه التى اهتدى بها إلى فطرته عند الشده التى كان ايقاظها بالشده فتوجه متذللا لعظمه الخالق بعد زوال الغشاوه عن الإنسان بالشده لهذا تلجأ النفس الخبيثه بعد زوال الشده إلى المكر على صاحبها حتى تجعله ينساق وراء اهوائه مره اخرى فتحوله إلى الحيره والقلق والزيغ والانحراف فاساس المشكله يعود إلى النفس وصغرها ودناءتها ولهذا قيل لايحيق المكر السئ إلا بأهله

تشير الايه الى تفسير المكذبين الآيات تفسيرا فاسدا ومخالفا للحقيقه الثابته لهم ؟

أن امثله هذا التفسير هو أن يقوم الشخص بتفسير الحوادث كما ورد فى الحديث فى صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح على إثر مطر أصابهم

فقال هل تدرون ماذا قال ربكم الليله قالوا الله ورسوله أعلم قال قال الله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما المؤمن فقال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فهذا كافر بالله ومؤمن بالكواكب)

وكذلك نجد أن الكثيرون يمرون بالازمات ولكن لايستفيدون من تلك التجارب لأنهم يفسرونها تفسيرا ماديا بحتا كما قال تعالى (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)

المفاهيم من الايه

المفهوم الاول

عليك اخى المسلم أن تقف مع نفسك فتتذكر مواقف صعبه مررت بها فى حياتك كيف كنت عندما أحاطت بك المصائب والدواهى وعجزت حيلتك عن دفعها إلى من التجاءت أليس الى الله تعالى عليك أن تتذكر تلك اللحظات الصعبه لترى جمال الله ورعايته انتبه أن تنشغل بالنعمه عن المنعم فتنسى ربك انتبه أن تصبح نعمه الله عليك حاجزا يمنع عنك رؤيه جمال الله وحسنه وإحسانه ورحمته وفضله عليك فى دفع الضرر عنك

فالذى أصيب بحادث تصادم سيارتين وأصيب فى عضو من جسده مثل انكسار قدمه عليه أن يتذكر تلك اللحظات الصعبه فى حياته حتى لاينسى شكر الله على انعامه عليه

تذكر مامررت به من مرض لتعرف نعمه الله عليك تذكر ماكنت فيه من فقر لتشعر بنعمه الله عليك بالغنى انتبه أن تنسى المنعم سبحانه وتعالى

المفهوم الثانى

عليك أن تقابل انعام الله بالاعتراف بالمنعم فتشكره على انعامه التى أنعم عليك انتبه أن تقابل ذلك بالمعاصى كان تستغل انعام الله فى معصيته احذر من تضخيم نفسك بالادعاء انك تجاوزت الازمه لانك ذكى وان ماانت فيه من هدوء وراحه استحقته بما تمتع به من علم انتبه أن يدفعك ما أنعم الله به عليك للتصور انك تختص به اختصاص المالك بملكه وليس نعمه انعمها الله عليك فإن ذلك التصور الفاسد يجعلك تصل إلى مرحله ادمان النفوذ والراحه والغنى والاقتدار ومن كان هذا حاله فإنه لايتنبئ بحلول موعد سقوطه المدوى ولهذا يقول تعالى (قل الله اسرع مكرا)

فأشارت الايه إلى سرعه الله فى أخذ المتربصين بالدين وابطال مكرهم مهما بلغوا الدقه فى تفكيرهم وسرعه إيقاعه بهم لانه تعالى خالقهم ولأنهم فى غفله ادمان النفوذ والراحه والسعاده الدنيوية فلا يشعرون بتدبير الله حتى ينزل بهم العقاب والعذاب دون أن يشعروا بمقدمات العذاب فهذا لان الله يستدرجهم بما هم فيه من النعم وهو تعالى مطلع عليهم لايخفى عليه شى وكل شىء يفعله العبد يسجل عليه فالملائكه تسجل أعمالهم وسوف يحاسبون عليها

المفهوم الثالث

المؤمن يري أن النعم ملكا لربه وفضلا من عند الله على عبده وهو تعالى. لوشاء أن يمنعه عنه لمنعه ولهذا فإن

المؤمن يصمد أمام الأزمات والتحديات لانه يستمد قوته من إيمانه بالله تعالى أما الكافر فهو يستمد قوته من المال والجاه والسلطان ولهذا ينهار أمام الأزمات ويفقد صوابه إذا سلبه الله ما أنعم به عليه

المفهوم الرابع

انتبه من خطر الشعو ر بالكمال الزائف التى يعمى فيها الإنسان من مشاهده عيوب نفسه فيحرم من إصلاحها فالنفس لكى تقر بعيوبها لابد من تذكيرها بضعفها وافتقارها إلى خالقها وايقاظها من غفلتها بتعريفها بنعم الله عليه وان هذه النعم يجب شكر الله عليها لاجحودها وان اتخاذها فى معصيه الله ينذر بالحرمان منها بالدنيا والحساب الشديد فى الاخره فقال تعالى (قل الله اسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ماتمكرون)

فأشار إلى العقاب فى الدنيا الذى يتوعدهم برد كيدهم فى نحورهم وأشار إلى العقاب فى الاخره بأنهم سوف يحاسبون على أعمالهم ولهذا فعليك أن تدرك أن من علامات شقاء أالعبد أنه كلما زاده الله مالا ازداد حرصا وكلما أنعم الله بالعلم والجاه والسلطان ازداد كبرا وفساد ا حيث أنه يفسر انعام الله عليه أنه من حب الله له ورضاءه عنه ولاينظر إلى ذلك أنه ابتلى وامتحان من الله لعبده فكان هذا سبب شقاءه

أما المسلم فإنه كلما زادت نعم الله زاد انكسارا لله وتذللا وكلما زاد ماله زاد توضعه لانه يشعر بالواجب الذى يجب عليه القيام به فى شكر الله على ما أنعم به عليه

المفهوم الخامس

على المؤمن أن يطمئن فلا يخاف من المؤمرات والمخططات التى يقوم بها أعداء الإسلام للقضاء على دين الله والتنكيل بأهله لان مكرهم ضعيف أمام مكر الله فهو تعالى تكفل برد مكرهم ومخططاتهم وهو تعالى. اسرع فى استدراجهم والايقاع بهم فهو يعلم مكرهم قبل أن يفعلوه فلا تحزن من مكر الاعداء ومخططاتهم

المفهوم السادس

على المسلم أن يتعامل مع المواقف التى تحل به على أنها رسائل من الله موجهه اليك عليك أن تنظر إلى اخطائك لتقوم باصلاحها قبل فوات الاوان عليك أن تشعر انك فى امتحان واختبار فى جميع احوالك فعليك استحضار العاقبه انظر الى الاختبار بجديه وتصميم أن تنجح فى الامتحان انظر إلى عاقبه الفشل فى الامتحان الوخيمه

المفهوم السابع

الحقيقه التى ينبغى على المسلم أن لايغفل عنها أن الله سوف يحاسب العباد ويسالهم عما قدموا من خير أو شر سوف يحاسبهم عن انعامه التى أنعم الله بها عليهم كيف استغلوها هل فى طاعه الله ام فى معصيته فالله يقول فى موضع آخر (ثم لتسالن يؤمئذ عن النعيم) ونعم الله عديده لاتحصى أبرزها نعمه الصحه والرزق والفراغ والذريه فالعبد مأمور أن يستشعر نعم الله ويحاسب نفسه على القيام بشكرها ويعاتب نفسه إذا تهاونت فى شى من النعم أو استقلت بشأنه فعلى العبد أن يضع ذلك فى الحسبان عليه أن يدرك أن اعمال تسجل عليه فالملائكه المكلفين بتسجيل ما يعمل الناس يكتبون كل صغيره وكبيره وسوف تجد كل ذلك امامك فاللازم عليك المبادره إلى محاسبه نفسك وتصحيح اخطاءك وكشف بواطنها لتنجو من مواقف الخزى يوم القيامه عليك الانشغال بإصلاح نفسك وشكر المنعم على ما أنعم عليك به فإذا كانت فى صحه وعافيه فعليك أن تدرك أنك سوف تسال

عن هذه النعمه فعليك أن تستعملها فى طاعه الله قبل ان يحل المرض وان كنت فى غنى فعليك أن تدرك أن الله سوف يسالك عن هذا المال مامصدره وكيف أنفقته فالفرصه امامك سانحه فاستغلها قبل ان تتمنى العوده للدنيا لإصلاح ماتركت فلا تجاب وهكذا كل نعمه انعمها الله عليك بها عليك أن تستغلها فى طاعه الله فهى وسائل امدك الله بها لتعبده

ثانيا

تستمر الايه فى الحوار مع المخاطبين

لما كانت الآيات تتناول إثبات صحه الرساله وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم بالاداله والبراهين وتحاور العقول والمدراك وتفند الاعتراضات لاجل اقناع المخاطبين بما يدعوهم إليه والذى يحقق الغايه التى خلقوا لأجلها وهى معرفه الله وعبادته والفناء فيه تعالى فقال تعالى. (هو الذي يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم

الأمر الأول

يلاحظ أن الايه ابتدأت بالخطاب المباشر مع المخاطبين فقال تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك) ثم نجد عدول الخطاب إلى الاخبار عن الغيبه فقال تعالى. (وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها)

والسؤال هنا لماذا هذا العدول فى الخطاب ؟

ابتدأت الايه بذكر انعام الله على الإنسان باعتبارها من أهم وسائل تحقيق الغايه من خلق الانسان وهو معرفه الله ومحبته وعبادته والفناء فيه تعالى ولهذا يدعوهم إلى النظر فى رعايه الله وعنايته بالناس فقد أعطى الله الإنسان من القوى والملكات والاعضاء ما تمكنه من القيام بالمهمه التى كلف بها ولهذا ابتدأ بالخطاب (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك)

يدعوهم إلى التوقف أمام هذه النعمه العظيمه التى أنعم بها عليهم ليشاهدوا فضل الله عليهم ورعايته لهم المستمر يقول من الذى اعطاءكم الاقدام التى تمشون بها على سطح اليابسه ومن الذى أنعم عليكم بالعقول التى توصلتم بها الى صناعه السفن التى تحملكم وامتعتكم فى البحر أليس الله تعالى أن هذه الانعام يتجلى. الله بها على عبده بصفات الكفايه وسوق الأرزاق والرعاية فتوجب له شهود صفات الربوبيه وهذا ما يوجب الانكسار والخضوع لله تعالى. والاستعانة به والتوكل عليه والافتقار إليه فى الرخاء قبل الشده

لكن طبيعه الناس وأمرهم عجيب فهم لا يلجأون إلى الله الا وقت الشدة ولهذا كان العدول من الخطاب إلى الغيبه بتوجيه الخطاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوصف له حال الناس العجيب ليسمعه ويتعجب منه ولأجل أن يحذر الناس من ذلك السلوك القبيح الذى لايعرف الله الا فى وقت الشده فقال تعالى (وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان)

اى أنه شاهد نعمه الله بمجئ الأمواج الطيبه الناتجه عن حركات التيارات المائية فشعر بالراحه والفرح والسرور لأنها تساعده على دفع السفينه وتسهل حركتها فالاصل أن تنبعث منه الطاعه والشكر لله ورؤيه جمال الله وحسنه وإحسانه وجلاله وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له عند مشاهدته لهذه النعمه التى أنعم الله به عليها لكن

نشوة الفرح إصابته بالغفله الناتجه عن الاستغناء بالاغترار بالقوه وأسباب السلامه الماديه كما قال تعالى (أن رآه استغنى)

فما الذى حدث لنكمل القصه التى يحكيها لنا الله تعالى وهى قصه واقعيه يعيش فصولها كل انسان فى هذه الحياه يقول الحق أن نشوه تسهيل حركه السير فى البحر دفعتهم للفرحه حتى حصلت المفاجاه بهبوب الرياح القويه الشديده على السفينه فقال تعالى (جاءتها ريح عاصف) ريح شديد تنذر بالخطر الشديد فقد تبعها موج من جميع الجهات (وجاءهم الموج من كل مكان) اى من كل جهه اغتلم البحر عليهم انهم فى هذا الموقف ايقنوا أنهم هلاكى لامحاله (وظنوا أنهم أحيط بهم)

ما الذى حدث وهم فى هذا الحال لقد احدثت هذه الشده هزه للنفس نفضت عنها غبار الشرك وركام الفكر الجاهلى وزال عن الفطره الغشاواه فالانسان مخلوق على الفطره التى تعرف خالقها ومعبودها ومالكها فقد زال عنها شوائب الشرك وتوجه إلى الله بكمال الاخلاص والدعاء يدعوه بعد أن كان معرضا عنه فقال تعالى حاكيا عن حال الإنسان

(دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذا لنكونن من الشاكرين)

لقد دعوا الله وحده لم يذكروا اصنامهم التى يعبدونها فى الرخاء قائلين يارب ادفع عنا هذه الشده واستعمل اسم الاشاره اى من الشده لبيان أن الإنسان يهتدى إلى فطرته عند الشده لقد اعترفوا بالواهيه الله وربوبيته وحده لا شريك له اعترفوا أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فقالوا لئن انقذتنا يارب من هذه المحنة المهلكه لنكونن من الشاكرين لك على ما انعمت فلما انجاهم من هذه الشده ما الذى حصل يقول تعالى (فلما انجاهم إذ ا هم يبغون فى الأرض بغير الحق)

اي يفسدون فيها بارتكاب الكفر والمعاصي

وهذا فيه

المفهوم الاول

يجب على المؤمن ضبط انفعالاته فى الفرح بأن يتوجه الى الله بالشكر على ما أنعم عليه من نعم الراحه والاستقرار فلا تنسى الله أثناء الرخاء

المفهوم الثانى

عليك عند مشاهده انعام الله والطافه أن تشعر بجماله وجلاله وعظمته وكماله وهمينته وكبرياءه وبالتالى تدفعك مشاهده انعامه إلى زياده حبك لله والخضوع والانكسار أمام الله وإظهار افتقارك إلى الله لان الوفره الماليه أو الراحه أو العافيه أو القوه تعطى شعور بالاستغناء وهذا الاستغناء إذا غاب عنه العنصر الايمانى فإنه يولد الطغيان

المفهوم الثالث

أن على العبد أن يستمد قوته من الله تعالى فهو تعالى القادر على دفع المصائب عن العبد وهو أشد النصراء حضورا بما يكفى المعتمدين عليه فالاصل أن تجلى الله للعبد بصفات الكفايه والحسب ودفع المصائب عنهم وحمايتهم أن تولد لدى العبد الوعى بحاجته الى معونه الله وقته تولد فيه الشعور والإحساس بالضعف والافتقار

إلى الله فى كل وقت تولد فيه الرضاء والقبول فى كل ما يجريه الله على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به سبحانه وتعالى والتوكل عليه والثقه به والرضاء بما يفعله ويختاره له

الأمر الثاني

ولما كان انحراف الناس ناتج عن الجهل والغنى (الغفله والأمن) التي. تدفع الناس إلى البغى فى مقابله انعام الله باستعمالها فى معصيه الله وهذا لأن الناس مع اختلاف طبائعهم عينوا لأنفسهم أهدافا لحياتهم بسبب قله الفهم أو ضعف الهمه لاتخرج عن الاغراض الدنيونيه المادية فتكون حركتهم إفساد فى الارض وبغى لأنها مخالفه للغايه التى خلق الله الناس لأجلها وهى معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له

ولهذا ينذر الله العباد من هذا الانحراف فقال تعالى (يايها الناس إنما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون)

الدعوه هنا لمن أنها للناس بهذا النداء يقول لهم افيقوا من غفلتكم فالبغى عاقبته على انفسكم انتبهوا من الاغترار بالقوه والاستغناء بما أنتم فيه من نعم فما اعطاءكم الله فى هذه الدنيا من نعم إنما هو امتحان من الله واختبار لكم لينظر كيف تعملون

فالله لايضره بغيكم شي أن انتم جحدتم انعامه وكفرتم بها وسوف تحاسبون على ذلك فانتم خلقتم لغايه وهى عباده الله وحده لا شريك له وهذا فيه

المفهوم الاول

أن على المسلم أن يحذر من أن يطغى على خلق الله بما أنعم الله عليه من مال أو جاه أو سلطان فلا تغتر بانعام الله فإن عاقبه ذلك أنها تلحق الكارثه بصاحبها

المفهوم الثانى

عليك الإنتباه من التفسير الخاطى لما أنعم الله به عليك كان تظن أن ما اعطاك الله إياه فى الدنيا دليل على أنه سوف يعيطك مثله فى الاخره فعليك أن تدرك أن هذه نعمه تستوجب الشكر كما فهم من كان فى الشده فقال داعيا الله لئن انقذتنا من هذه المحنة المهلكه لنكونن من الشاكرين لك فلا تغتر بالدنيا وملذاتها فهى زائله وثمارها

المفهوم الثالث

هى دعوه للناس أن يفيقوا من غفلتهم أن يستيقظوا فعندما ينعم الله على العبد بالنعم فعليه أن يدرك أنه سوف يحاسب عليها فالعبد سوف يسأل عن كل النعم التى انعمها الله عليه والسؤال هنا ماعلاقة النعم بالبغى فى قوله تعالى (فلما انجاهم إذ ا هم يبغون فى الأرض بغير الحق يايها الناس إنما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون)

لان النعيم المسؤول عنه نوعان النوع الأول أن يكون مصدره حلال ومصرفه فى الحلال

فأنت مثلا تعمل موظفا فى مؤسسه ما تتقاضى راتب شهري تنفقه على اسرتك ومن تعول فهذه نعمه كان

مصدرها حلال وانفاقها حلال لكن بقى شى سوف تسال عنه أنه واجب الشكر هل قمت بذلك ام لا

النوع الثانى أن يكون طريقه الحصول عليه حرام بأن تظلم الناس وتنهب أموالهم وكذلك تنقه فى معصيه الله فهذا بغى وماسبق بغى

فالكفر نوعان كفر برفض الانقياد لأمر الله وكفر النعم والعبادة نوعان بامتثال أمر الله واجتناب نهيه وهناك عباده النعم

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى للناس أن عاقبه البغى على الإنسان فالله لن يضره شيء

والعبد مسؤول عن كل شى وسوف يرجع إلى الله ويحاسبه على أفعاله وبالتالى فإن محاسبه الإنسان نفسه تكون على التقصير فى حق الله ومخالفه منهجه ومحاسبه النفس على النعم وعبودية العبد تجاهها يقول ابن القيم رحمه الله (وأما عبودية النعم فمعرفتها والاعتراف بها اولا ثم العياذ بالله أن يقع فى قلب العبد نسبتها أو إضافتها إلى سواه تعالى وإن كان سببا من الأسباب فهو مسببه ومقيمه فالنعمه منه وحده بكل وجه واعتبار ثم الثناء بها عليه ومحبته عليها وشكره بأن يستعملها فى طاعته ومن لطائف التعبد بالنعم أن يستكثر قليلها عليه ويستقل كثير شكره عليها)

كما بين رحمه الله أن على العبد أن يقايس بين نعمه الله عليه وبين مايقع فيه من المعاصى فحينئذ يظهر له التفاوت ويعلم أنه ليس له الاعفو الله ورحمته فيعاتب نفسه ويتوب إلى الله

ثالثا

مما يجب الوقوف عليه هو أن نعرف أن سنه الابتلاء التى تناقشها الآيات فى هذه المجموعه قد وردت بعد ذكر سنه الاستخلاف وطلب المشركين تبديل القرآن وأحكامه

ردا منهم على ماجاء به الاسلام من المساواه والغاء الطبقات والاستعباد ونبذ التقسيم على أساس العرق أو اللون أو الجنس أو القبيله أو الغنى أو الفقر حيث جعلت الشريعه الاسلاميه معيار التكارم البشرى فى منطق الوحى المتلو هو تحصيل التقوى والصلاح فقال تعالى (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

فماذا كان رد فعل أهل الجاهليه لقد رفضوا أن يكون السيد بنظرهم يساوى العبد رفضوا القبول بفكرة أن الغنى يتساوى مع الفقير فقالوا إذا أردت أن ندخل الاسلام فاجعل لنا مجلسا وللفقراء من اتباعك مجلسا طلبوا منه أن يطرد الضعفاء امثال بلال وصهيب وابن مسعود من مجلسه وهم على استعداد أن يدخلوا فى الاسلام لكن تظل لهم السياده والرياده فقد اردوا تبديل وتغيير ما جاء به الاسلام من المساواه اردوا أن تظل افكار الجاهليه كما هى بل أن تصبح لها مشروعيه بنص القرآن أو بفعل النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الايه ٢٨ من سورة الكهف وقال تعالى فى موضع آخر (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

أكد فيه الله تعالى أن معيار التفاضل فى الاسلام والوحى المتلو المبين وفى السنه اى مواقف النبى صلى الله عليه وسلم هو الالتزام بالتقوى والصلاح فاللون ايه لله لا ماده تفاضل والمال مادة طغيان لامعيار تفاضل فقد أمر

الاسلام الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يتبنوا هذه الفكره أمرهم أن يواجهوا رواسب الفكر الجاهلة بالمواقف العمليه المعبره عن المساواة وان يواجهوا رواسب الجاهليه فى قعر دارها فالسوره النداء الاخير للعهد المكى وهذا ما دفع اهل مكه لمناصبه العداء الشديد للأسلاك فقد بلغت العدواه ذورتها كما يفهم من الآيات التى يفهم منها شده العدواه حيث أن المشركين خافوا على الامتيازات التى كانوا يحظون بها فى فنظروا للإسلام أنه يستهدفهم يستهدف مراكزهم ولهذا كانوا يسخرون من الرسول صلى الله عليه وسلم لانه فقير فيقولون لو كان نبى مرسل من الله لإعطاء ه الله جبال من ذهب كانوا يحتقرون من التحق بالإسلام من الفقراء والضعفاء ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لاعطاءهم الله المال والقوه والجاه والسلطان فقد تكبروا بالغنى والاقتدار وكان منهم الامعان فى البغى والافساد فى الارض ولهذا نجد الآيات تتناول سنه الابتلاء بعد سنه الاستخلاف فكان التعقيب بذكر أحوال الناس فى الشدة والرخاء والتحذير من فتنة الرخاء والترف على الذين يوسع الله لهم فى النعم والمتاع بماشاء من اللذات

فقال تعالى. (يايها الناس إنما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون إنما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا اونهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزياده لايرهق وجوههم قتر ولاذلة اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السئيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

وهذا فيه

الأمر الأول

يحذر الحق سبحانه وتعالى الناس من التفاخر والتعالى والكبر. الناشى عن فتنة الرخاء والترف لمن وسع الله له فى النعم والمتاع بماشاء من اللذات فيقول لهم أن الواجب أن يكون اثار مواقع النعم هو البر والطاعه وكف الأذى والكف عن البغى واجتناب الفساد فى الارض لان أن يكون اثار مواقع النعم أن ينشأ عنها التعالى والتكبر والتفاخر فقال تعالى (يايها الناس إنما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون)

بأن عاقبه البغى تعود على صاحبها لانه يجعل كثره الاولاد والأموال والقوه والجاه علامه على رضا الله وانه سوف يجد ذلك النعيم فى الاخره ويعتبر أن النقص فيهما دليلا على سخط الله وهذا جهلا منهم بمواقع الفتنة والاختبار فى مواضع الغنى والاقتدار حيث أن الله يختبر عباده المستكبربن فى أنفسهم باوليائه المستضعفين فى أعينهم فيكون ما ينعم به عليهم هو استدراجا لهم ولهذا فإن الامعان فى البغى الذى يحصل منهم بالتعالى والتكابر على الفقراء ومحاربه دين الله والتفاخر والاستعلاء بالمال والقوه والجاه والسلطان سوف تعود آثارها عليهم فهم المتضررون من ذلك فثمار البغى فى الحياه الدنيا حيث يتلذذ العبد بما وسع الله عليه بتناول ما يريد من اللذات لكن فى الاخره لن ينعم بذلك فلن تجنى ثمارها فى الاخره الا بطاعه الله والتواضع والانكسار والكف عن البغى واجتناب الافساد فى الارض والدنيا لاتساوى شئيا فما هى الدنيا ومتاعها أنها ليست هى دار السعاده والنجاح والفلاح الحقيقي وانما دار عمل لادار قرار فا الدنيا للابتلاء كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الا فاتقوا الدنيا والنساء)

ولهذا يضرب الله للناس مثال الحياه الدنيا ليزود المؤمنين بقوه مناعه يكون بها تحصينهم من الوقوع فى فتنتها فقال تعالى. (إنما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنغام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا اونهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)

هذا المثال لبيان حقيقه الدنيا التى يتمتع بها البعض ويرضون بها ويؤثرونها على الاخره

فهذا التمثيل الذى يصور سرعه انقضائها بأنها مثل المطر الذى نزل من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس من الحبوب والثمار ومما تاكل الانعام من الحشيش وغيره

فهى مهما اخذت فى التزين بأنواع النبات وظهر بها من الجمال ما يجعل أهلها معجبون بها يظنون أنها بجهدهم ازدهرت وبارادتهم تزينت ظنوا انهم قادرون على حصادها وشعروا بلذه ما ظنوا أنهم سوف يحصدونه فجاءها أمر الله وقضاءه وأمره باهلاكها فى غمضه بصر أصبحت محصوده كان لم تكن عامره بالاشجار والنبات بمثل هذا يزوال مافى الدنيا من ملذات فهى خيالات ناقصه منقطعه بعكس الحياه الاخره فهى فيها السعاده الابدايه فقال تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

فأراد بهذا اظهار مافى الاخره من نعيم لان كل انسان مطبوع على حب النفع العاجل واللذة الحاضرة الا اذا تبين له فضل اللذة الاجله وقويت رغبته فى الاعلى الافضل لان الناس كما ذكرنا نتيجه قله الفهم أو ضعف الهمه قد عينوا لأنفسهم أهدافا لحياتهم لاتخرج عن ملذات ومتاع الدنيا فعدم الفهم منه للغايه التى خلق لأجلها يعود إلى الجهل والغفله نتيجه عدم تبين الفضل للذة الاجله على العاجله لانه لم ينظر إلى الآخرة واقبالها ومجئيها ودوامها وبقاءها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذى بينها وبين الدنيا الناقصه المنقطعه التى فيها الغصص والمنغصات وبين الاخره التى فيها دار السلام اى الجنه التى ليست كدار الدنيا فهى فيها من النعيم ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فمن نظر للدنيا بأنها دار فناء وابتلاء ونظر إلى الاخره أنها دار بقاء وجزاء فلابد أن ذلك يقوى العلم والعقل والتعظيم لها بأن الله يدعو الى دار السلام يدل على استعظام مافيها من نعيم بالغ وهذا فيه تقويه الرغبه فيها حتى يكون الايمان بقين من خلال اظهار التفاوت بينهما لان الانسان اذا اثر العاجله على الاجله أما أن يكون كما قلنا لعدم تبين الفضل له أو لعدم الرغبه فى الافضل فالاول قله الفهم والثانى ضعف الهمه ولهذا كان هذا الأسلوب لتقويه الفهم لازاله مافى العقل من فساد ولتقويه الهمه فأخبر الله عن خسه الدنيا وزهد فيها وأخبر عن دار السلام ودعا إليها

الأمر الثانى

يدعوهم الحق إلى التفكر فى حالهم وتعصبهم لاثار مواقع النعم بالتعالى والتكابر واحتقار الفقراء من المسلمين واعتبار ذلك سببا وعله لرفضهم دعوه الله لهم التى فيها السعاده الابدايه فيها الحياه الحقيقه التى ينبغى أن تشد إليها الرحال وتشمر لها السواعد ولهذا يقول لهم أن هذا البغى بالتعصب لاثار مواقع النعم تعود اثاره عليكم فانتم من يتضرر به وأنكم تتعصبون لاعن حجه يقبلها السفيه ولاعله تحتمل التمويه لان من أنعم عليكم هو الله ثم إن هذا المتاع فى الحياه الدنيا والحياة الدنيا لاتساوى لذاتها شى مقارنه بالحياه الاخر فالدنيا دار ابتلاء واختبار وامتحان فما انتم فيه ايه المترفين من الترف بما وسع الله عليكم بما شاء من اللذات فى الدنيا ليس دليلا على رضا الله عنكم ولا النقص فيه دليلا على سخطه فانتم فى اختبار لانه تعالى يختبر عباده المستكبربن فى أنفسهم

باوليائه المؤمنين المستضعفين فى أعينهم فكثره المال والقوه قد يكون استدراج والنقص فيه قد يكون ابتلاء فهو تعالى لو أراد حين بعث الانبياء أن يعطيهم جبال من ذهب لفعل ولو أراد أن يحشر الوحوش تحارب معهم لفعل ولكن لو حدث هذا لسقط البلاء فاحذر وا التعصب لاثار مواقع النعم التي ينشأ عنها التعالى والتكبر والتفاخر والاستعلاء بالمال والقوه والجاه والسلطان فمصدر هذه النعم هو الله تعالى ابتلاء واختبار لعباده فهو تعالى. كره التكابر ولم يرخص به لأحد من عباده ورضى لهم التواضع ولهذا جعل سبيل السلامه والنجاه هو إلصاق الخدود بالأرض فقال تعالى (والله يدعو الى دار السلام)

المجموعه الثالثه

هذه المجموعه تبدأ من الآيات ٢٥ الى نهايه الايه ٣٠تتناول سنه الله فى الجزاء على الأعمال وان ثوابه أكثر من عقابه والايات جاءت مرتبطه بما قبلها من ارتباطا وثيقا وبقانون الاستخلاف المطبق على الأرض وبالقيم التى جاء بها الإسلام من المساواه والعدل والحرية يدعوهم إلى. ترك الكبر. والحسد والتوجه إلى طريق الهداية يبين لهم

ارتباط الابتلاء بالتمكين والعز فى الدنيا وانه تعالى يختبر اولياءة فجعل المؤمنين اقواما مستضعفين واختبرهم الله بأنواع الشدائد والجوع والفقر والحاجه وجعل الأزمات والمكاره اداه يستخلص بها المؤمن الصادق من الكاذب ويظهر مزاياهم العقليه والنفسيه فقال تعالى (والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

سميت دار السلام اى الاستقرار والأمان وهذا فيه بيان الاتى

الأمر الأول

أن الجنة هى السلام المطلق فالارض ليست جنه فمجى الإنسان إلى الأرض وارتداءه الجسد الترابى نوع من أنواع البعد عن الله تعالى وهذا البعد الآلام الحقيقى ولهذا يعيش الانسان فى قلق واضطراب لايجد السلام الا بمعرفه الله تعالى بعظمته. وكبرياءه واسماءه وصفاته وأفعاله وكماله تعالى يعرف الانسان نفسه بضعفه وافتقاره إلى الله تعالى حتى يزوال عنه الم البعد عن الله الذى كرمه بالنفخه فقال تعالى. (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)

ولهذا فإن الوصول إلى هذه الدار تتطلب الخلاص من الكبر والحسد والكفر والفسوق التى تمثل عارض يمنع العبد من القبول بالحق تقف أمام طلب هذا الحق المقصود الذى فيه منفعه العبد وهو معرفه الطريق الموصل إلى الله بعد معرفته بكبرياءه وعظمته فيكون الذل والانكسار والخضوع له تعالى فلا بد من اخراج الكبر من القلب وتمزيقه فهو تعالى لم يرخص بالكبر ولا حتى لانبياءه فهم كلهم كانوا يقولون للناس أنهم عبيد لله تعالى. فهو تعالى عندما سلم الإنسان مفاتيح الخلافه على الأرض جعل شرط ذلك التوحيد واتباع منهج الله تعالى وجعل السعاده بالاتصال بالله لان الآلام لايتوقف على الأرض فهو نسيج من انسجه الحياة على الأرض حيث أن الآلام شاهد على قهر الله مثل أن الفرح شاهد على جلال الله مثلما أن المرض شاهد على جبروتة فإن الصحه شاهد على نعمته ومنته ولهذا لايجد الإنسان السعاده والسلام الا بالاتصال بالله عندها يتجلى له قهر الله وجبروته وجلاله وعظمته وكماله وهمينته وكبرياءه وقدرته وجماله فيشعر بالأمان والاطمئنان بالتوكل على الله والاتصال به

فيدخل جنه الله وهو فى الدنيا حيث يجد اللذه والسرور فى طاعه الله فهو يتلذذ بهذه الطاعه ولايجد المشقه

الأمر الثانى

(أن من القوانين الإلهية المتعلقه بالاستخلاف أنه تعالى جعل الأرض مكان صراع بين الحق والباطل فقال تعالى (أهبطوا منها بعضكم لبعض عدوا)

فالصراع على الأرض لايتوقف وهى مسرح الصراع بين الحق والباطل وقد جعل الله منذو فجر البشرية للخير اهلا وانصار وجعل للشر اهلا وأنصار خلق الالم وخلق الفرح خلق الصحه كما خلق المرض خلق الخير كما خلق الشر لان أردته تعالى اقتضت أن تكون الأرض ابتلاء لهذا الانسان الذى خلقه الله وميزه بالعقل والإرادة والعلم والنفخ من روح الله ورتب على ذلك المسؤوليه فى النجاح أو الفشل فى الابتلاء بالثواب والعقاب فالالام ضرورى للحياة هو والفرح سواء فهو السبيل أمام الطفل كى يولد فلابد من مخاض وهو النار الهادئة التي ينضج بها النوع الانسانى وهو الوسيلة الوحيدة التى ينفصل بسببها الشوائب عن الذهب ولهذا ارسل الله الرسل وجعلهم وأتباعهم يتحملون اشد المضايق جعلهم بنظر الاخرين مستضعفين وهو تعالى لو أراد حين بعث الانبياء أن يعطيهم جبال من ذهب لفعل ولو أراد أن يحشر معهم الوحوش تحارب الكفار لفعل ولكن لو حدث هذا لسقط البلاء لان الناس سوف يخضعون تحت حكم الاضطرار وبالتالى فلن يحصل تميز المحسن من المسئ والطيب من الخبيث

عندها لم يبق محل للجزاء على خير اوشر لان الفعل اضطرارى وبذلك تضمحل اخبار القران بالوعد والوعيد لعدم الحاجه ثم لايكون للمبتلين الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره اى تفاضل لاستهوائهم مع من قبل بالسطوه

فلن يكون حئنذا لاسم الايمان لازمه ولا لاسم المحسن لازمه لان الخضوع والاذعان بالرهبه لايسمى ايمان لان الايمان فى الحقيقه هو الإذعان والتصديق ولن يكون عندها للامتحان معنى ولو كان اهل الدعوه أقوياء لايتعرضون للابتلاء فمعنى هذا أن إيمان الناس لن يكون خالصا لله تعالى. وانما سوف يكون الباعث عليه أما الرغبه فى المصالح وأما الرهبه من قوه أهل الإيمان فالنيات لن تكون خالصه لله تعالى ولكن الله أراد أن يكون الإتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع والانقياد لأمر ه والاستسلام لطاعته أمورا خاصه لايشوبها شائبه ولهذا اختبر الناس من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فالبلاء تنضج بها الذات حتى ترفع الحجب التى تحجبها عن الله فالالام على الأرض ليس الا رحمه من الله تنكرت فى ثياب البلاء فكل انجازات النوع الإنساني علىالا رض مدين للآلام بالوجود ومدين للنقص بالاكتمال فلابد أن يتجرع العبد المرارة ليعرف طعم العسل

ولهذا ترى الأعين الرسل والمؤمنين ضعفاء من حيث حالاتهم المادية فالتمكين لابد أن يسبقه ابتلاء فنسيج الالم يقف وراء كل ابداع انسانى فى كل شى لقد خلق الله الدنيا دار ابتلاء ولهذه جاءت ناقصه ولهذا اقتضت إرادة الله أن يكون الدار الآخرة هى دار الكمال فكانت مهمه الإنسان بعد معرفه اسماء الله وصفاته استكمال نقصه وعلاج نقص الدنيا ولو تصورنا أن الحياة يخلو من الالام والنقص لركدت افكار الإنسان وجمدت الحياة فى مكانها ولو أن العالم لايسمع اصوات الاوجاع ولايعانى نقص الدنيا لما تحرك لاكتشاف طرق السلام والعمل الذى يوصله إلى السعاده ولهذا يخبرنا الله أن الوصول إلى دار السلام يحتاج أن تكافح وتنضال وتتحمل المشقه فطريقك ملئ بالعراقيل والمتاعب فلابد من التمحيص حتى إذا رأى الله منهم الصبر على الأذى فى محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل الله لهم الفرج والأمان والعز فى الدنيا والاخره ولهذا يخبرنا أنه كلما كانت البلوى والاختبار اكبر كانت المثوبة والجزاء أجزل فقال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزياده)

للتحفيز على. الثبات فى المواقف والايمان والزهد عن الدنيا لاجل تقويه العزائم فهذه هى صفات أولياء الله ورسله أنهم اولى قوه فى عزائمهم وضعف فيما ترى الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ قلوبهم عن ما فى ايدى

الناس وغنى بالله تملأ عيونهم

فهذه هى القوه التى يجب أن يطلبها المؤمنين للوصول إلى دار السلام فإن هم وصلوا إلى هذه المرتبه فإنهم يدخلون الجنه وهم فى الدنيا فهم يجدون الطمنائنه واللذه والسرور فى طاعه ولهذا تراهم يتنافسون على القيام بطاعه الله تعالى بالسير فى الطريق المستقيم وهو الإسلام والقرآن الذى يوصل الى دار السلام أنهم يتجنبون السير فى طريق الضلال فلا يتنافسون على المال والجاه والقوه والسلطان بل يتنافسون على طاعه الله ومن يكون أكثر أعمال صالحه أنهم يحسنون الأعمال الصالحه ويجتهدون فى إتقانها للوصول إلى دار السلام ودخولها فقد سميت السلام لان من دخلها سلم من الآفات فمن معنى السلام السلامه مثل الرضاع ياتى بمعنى الرضاعه لان الانسان يسلم من الآفات أنه سكن خاص فيه الهدو والسلامه والاستقرار وهذا إنما يكون لمن نجح فى الابتلاء فاستجاب لهدايه البيان ابتداءا فإن فعل ذلك وفقه الله إلى الطريق المستقيم وتسمى هذه هدايه التوفيق وهى هدايه خاصه وهى تكون من قابل امر الله بالخضوع والاذعان والانقياد الكامل والخشوع واستسلام الله فى كل أحواله لان دخول الجنه ليس أن يقول العبد امنت باللسان كما قال تعالى فدخول الجنه يتطلب الثبات فى الاختبار والنجاح فى الابتلاء ولهذا فإن المؤمن يدريك أنه لن ينجح الا بمعونه الله ورحمته فدخول الجنه يتطلب تنقيه النفس وخمود الشهوات التى فيها لتحل محلها حب الطاعات يتطلب اخراج الكبر من القلوب ولهذا فإن الاختبار بالشدائد والابتلاء بالمكاره هو لاجل اخراج الكبر من القلوب واسكانا للتذلل فى النفوس وليجعل من ذلك ابواب واسعه مفتوحه للعبد تستقبل انوار الله وفضله واسبابا ذللا لعفوه ورحمته فما فى القرآن من دعوه للتوحيد وتكاليف ينبغى على المسلم أن يقوم بها من صلاه وصيام وكل مافيه أنها تهدف إلى تحقيق كل عضو من أعضاء الإنسان الظاهره والباطنه وكل ملكه من ملكات الإنسان الظاهره والباطنه الغايه التى خلقت لأجلها وهى معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وبهذا يكون تذليل النفوس وتخفيض القلوب ويكون اذهاب الخيلاء عنهم بالخضوع والاستسلام لله وأداء حقوق الناس بالاحسان إليهم لتكون اهلا لدخول الجنه يكون بالاحسان بالعمل فى الدنيا بالإيمان والعمل الصالح يعنى أن تحسن الاعتقاد تحسن النيه تحسن المعرفه بالطريق المستقيم فعليك أن تراقب نفسك باستمرار وتتعاهد قلبك ونيتك فتصلح الخلل أن وجد فهذا هو طريق النجاه من الكريات والسلامه يوم الحشر يوم الوقوف بين يدى الله فقال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزياده لايرهق وجوههم قتر ولاذلة اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

فالمحسن الذى يعبد الله كأنه يراه فإن لم يراه فإنه يراك اى يستحضر وجود الله ولهذا فإن فاعليته ايجابيه وهذا يعود بالخير على المجتمع فكل واحد يراقب الله ولهذا يصل إلى الاستقامه التى تجعله لايشعر بالمشقه من الطاعه فيعيش فى الدنيا والاخره براحه واطمئنان وسلامه فالتزكيه للنفس وإحسان العمل بحيث يكون خالصا لله يعود بالنفع على الإنسان قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) فهناك فرق بين من جعل همه الدعوه والجهاد فى سبيل الله والتفانى فى الله تعالى وبين من جعل الدنيا اكبر همه ومبلغ علمه فهذا المنشغل بالدنيا الذى لايفكر فيها لايجد الراحه ولا السلام فهو يعيش فى قلق وحيره واضطراب فترى القتر الغبار والسواد وكدره من الحزن والضيق ظاهره على وجهه لانه أقبل على الدنيا وجعلها همه لقد استعلى بالمال والجاه والسلطان والقوه ولهذا فإنه يوم القيامه يظهر عليه الذل والانكسار والمهانه أما المؤمنين فإنهم ناجون من الكربات يوم الحشر ومن هذه الأهوال فقال تعالى عن المحسنين (ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

فهذا هو الفوز الذى ينبغى التنافس عليه هذه الراحه والسعاده والنجاح والأمان واللذه التى ينبغى التنافس فيه

ثانيا

كما انه بالوقوف على الايات من قوله تعالى. (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزياده لايرهق وجوههم قتر ولاذلة اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

الأمر الأول

عليك أن تدرك أن الله تعالى هو وحده القادر على تخليص الإنسان من الالالم التى يعانيها الإنسان فى هذه الحياة أثناء رحلته الحثيثة فى البحث عن الذات العليا والكمال المنشود

حيث نجد الإنسان يسعى لجمع المال ظنا منه أنه سوف يجد السعادة وهو فى الحقيقه مهما جمع منه لايجد الراحه والاطمئنان بل يعيش فى قلق وحيره واضطراب وكذلك فإن الجاه. والسلطان لايجد معه الإنسان اى سعاده حقيقه بل كمال زائف يظهر زيفه عند اى ازمه ينهار معها الإنسان ويفقد توزانه فالانسان فى بحث مستمر عن الذات العليا ولايجدها الا اذا اتصل بالله ولهذا نجد الآيات وردت بعد إيضاح حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها وأنها دار امتحان واختبار وليست دار بقاء وقرار أنها ليست دار الجزاء بل دار عمل فإن نجحت فى الامتحان كان لك السعاده الابداية فى دار البقاء والجزاء اى الاخرة ولما كان الانسان مخلوق من ظاهر الجسد وباطن الروح ومصدر الروح هو الله تعالى فإن الإنسان لاينال النجاة من الالم والنكد فى الدنيا الا بالاتصال بالله تعالى فهو مخلوق لمعرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وتحقيق الغايه التى خلق لأجلها ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الذى يكون به إصلاح الخلل والانحطاط إلى أحدثته الحضارات المادية وماينشا عنها من انحطاط فى القيم الروحانيه وانخلاع صفه الإنسانية عن الإنسان نتيجه تغلب المادة على مكون الإنسان حين تصبح الدنيا هى غايته ونظرته للأشياء مادية بحته فيعيش فى الم البحث عن الذات العليا لايجد الراحه مهما حصل له من انعام المال والقوه والجاه والسلطان لايجد الطمأنينة والسكينة لان الروح تفقد مصدر الغذاء الروحانى لهذا فإن أول خطوة تكون بإعادة إنسانية الإنسان ثم الترقى به إلى الإنسان الاخلاقى ثم الإنسان الربانى وهذا هى اعلى مراتب الروحانيه

حيث أن الإنسان يجد صعوبه فى الطاعة فى بدايه الامر يجد مشقه نظرا لان جاذبية الجسد الارضى تشد الإنسان إلى الشهوات والملذات وتحاول أن تجر الإنسان إلى أسفل السافلين ويقابل ذلك جاذبية الروح التى تحاول شد الإنسان إلى أعلى وهنا يظهر دور النفس فإذا كانت النفس متعلقه ومتشبثه بالسفليات أو كانت بلا همه وخسيسه فإن جاذبية التراب تغلب على. الإنسان وتجعله عبدا لنفسه الاماره بالسوء أما إذا كانت النفس شريفه ومتمسكه بمصدر التكريم لها وهمتها عاليه فإنها ترفض الانحطاط والسفول وهذه هى النفس المطمئنه

وبين النفس الإمارة بالسوء والنفس المطمئنه توجد النفس اللؤمه حيث يجد الإنسان نفسه بين مقاومتين يجد صعوبه فى الطاعه ويجد مشقه بل إنه يتعثر احيانا ويظن أنه لاعلاج لمرضه يظل مترددا بين ذلك حتى يمده الله تعالى بالنور والقوة التى تجعله يجد اللذة والسرور بطاعه الله وهنا يحدث انقلاب فى حياته وهذا لمن قبل عهد الله بالقبول والرغبه فيه والعزم على تنفيذه فإن الله يمده بالقوة الذى يصل إلى السلامه والنجاه ويكون اتصال الإنسان بالله فقال تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) وسميت بالسلام باعتبار أن اسماء الله السلام والذى

يعنى أنه منزه من العيوب سالم من كل العيوب والمشقات بل أنه تعالى مانح السلام للمخلوقات ولهذا يدعوالله الناس للاتصال الروحانى به ليجدوا السلامه والنجاه و الامان والاطمئنان بالاتصال به فقال تعالى (والله يدعوا الى دار السلام) فمن أسماه السلام والذى يعنى أنه منزه من العيوب سالم من كل المصائب والمشقات بل إنه تعالى مانح السلام للمخلوقات وهذا بديهى لانه لو كان عرضه للنوائب والمصائب والفشل فى إرادته فكيف تمطئن قلوبنا برؤية سوء حاله هذا أنه قادر على تخليصنا من الالالم

الأمر الثانى

لما كان الاتصال الروحانى بالله هو السبيل للخلاص من الالالم حيث يجد الإنسان الذات العليا التى يبحث عنها بالاهتداء الى الطريق المستقيم الموصل إلى النور الربانى والسؤال هنا كيف نهتدى إلى هذا الطريق المستقيم لنفوز بالنور الربانى الذى فيه القوه للإنسان والكمال المنشود إذا كان الله يقول (ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم)

الجواب عليك أن تدرك أنه تعالى جعل كل شى فى هذا العالم قائم على الأسباب فكل عله لها معلول وطريق تحصيل كل علم يسمى الطريق المستقيم

ولهذا فإن ربط الهداية الخاصه بمشيئة الله تعالى لاجل أن تفهم أنه لايوجد شى فى الدنيا يوهب بدون العمل بالقوانين التى وضعها الله لتحقيق كل غرض ومقصد فتحقيق اى غرض مرتبط بالطريق المستقيم يعنى أن تسلك الطريق الموصل إلى هذا الغرض فاالذى يغلق على نفسه النوافذ والأبواب داخل حجرة منزله كيف له أن يرى نور الشمس من داخل غرفته فدخول الضوء يتطلب فتح الابواب والنوافذ المواجهه للشمس مثلا

ولهذا فإن من يريد أن يصل إلى قلبه بركات انوار الله العظيمه فعليه أن يفتح نافذه قلبه لتلقى ذلك وكذلك فإن الإنسان الذى يريد أن يكون طبيبا محترف بالجراحه لابد أن يدرس ويبذل جهوده حتى يكمل الثانوية ثم يلتحق بكليه الطب وينال شهادة بالجراحه ومع ذلك لايكون صاحب فن بالطب حتى يتفانى فى الاجتهاد بهذا المجال ويبذل كل جهده عندها نطلق عليه طبيبا محترف بالجراحه والسؤال هنا هل يمكن أن نطلق هذا على شخص لم يسلك الطريق الموصل إلى هذا المستوى من المؤكد أنه يستحيل ذلك

ولهذا فإن من يريد أن يصل إلى دار السلام من يريد الاتصال بالله الذى من أسماه السلام فعليه أن يبحث عن الطريق الموصل إلى الله ليحظى بنعيم دار السلام كما نبحث فى حياتنا عن طريق النجاح ولهذا فإن معرفه الطريق السليم أمر مهم فلايكفى مجرد اراده الاتصال بالله دون معرفه الطريق السليم الموصل إلى الله ومعرفه الطريق لايمكن أن يكون فيه الاعتماد على العقل فقط ولا أن نخترعه من أنفسنا فالعقل يضل طريقه إذا لم يجد المنهج الذى يدله على الطريق الصحيح فمشكله المشركين أنهم سلكوا طريق خاطئة عندما اعتبروا أن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى وأنها تشفع لهم عند الله ولهذا فإن تحرى الطريق السليم الموصل إلى الله تعالى أمر فى غايه الاهميه ولايستقيم العمل بدون ذلك ومعرفه الابواب والوسائل التى يمكن فتحها بها حتى يصل إلينا انوار الله منها فلا نجاه لنا أن هى ظلت مغلقه وهى تحتاج إلى قوه تفتحها ولانستطيع أن نحظى بوصال الحى القيوم بوسائلنا المجرده مطلقا وانما الصراط المستقيم الوحيد فى ذلك هو أن تكون حياتنا وجميع قوانا فى سبيل الله ثم لانبرح ندعو الله حتى يساعدنا فى ذلك . ولهذا نقول (إياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

اى إياك نعبد وحدك لا شريك لك بجميع ملكاتنا وقوانا واياك نستعين فالجمع هنا فى الاعتراف بالعبودية تفيد أن جميع قوانا منهمكه فى طاعتك وعبادتك وبك وحدك نستعين فى كل شى نطلب منك الهداية والحماية من أن نظل فى الطريق

فالنجاه من الالالم هى أن يبيع الانسان نفسه وماله فى سبيل الله النجاه أن يرى العبد أن كيانه وجميع قواه وملكاته كلها أوجدت لمعرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وطاعته عندها يطرأ الموت على ميولنا النفسانيه والدعاء نحيا حياة جديدة نصل فيها إلى اللقاء الالهى وندخل دار السلام ولهذا ياتى بالطاعه برغبه ونشاط ومحبه وشوق وحضور قلب حتى توافق ارادتة اراده الله تعالى وتنحصر لذاته فى طاعه الله والقيام بالأعمال الصالحه وهو يتلذذ بها ولايجد مشقه ولهذا يدخل جنه الدنيا الحاضرة فالمؤمن له جنتان كما قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

يعيش فيها العبد فى جنه الطاعه حيث يستحضر وجود الله معه فى كل الأوقات ولهذا يخبر الله عباده أن حقيقه الجنه إنما هى ظل لايمان الإنسان وأعماله فى الحياه الدنيا وليست شى يتلقاه الإنسان من الخارج أنها تنشأ من باطن الإنسان نفسه فهى من إيمانه و أعماله الصالحه التى يتلذذ بها فى هذا العالم فيتراءى له فى باطنه الايمان حدائق وازهار ويظهر على وجهه النور فى الدنيا وسوف يشاهدها عيانا فى الاخره فقال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزياده لايرهق وجوههم قتر ولاذلة اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

ويخبرنا الله أن النار منبعها غضب الله على الإنسان حيث يشتعل قلبه بنيران المعصيه والالالم فيبدأ العذاب الروحانى من القلب ثم ينتقل الى ملامح الوجوه فى الدنيا ثم يدخل جهنم فى الاخره فقال تعالى (والذين كسبوا السئيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

الأمر الثالث

الايات تصور للناس مشهد الحشر واهواله والجزاء بصوره تهز أعماق النفس وتستحث السامع أن يبادر إلى محاسبه نفسه وتصحيح أخطاءه فلا تغتر بانعام الله ولاتتصور أن المسئ سوف يتساوى مع المحسن فالله تعالى عادل لم يخلق الخلق عبثا فلابد من الحساب والعقاب ولهذا بعد ذكر حال السعداء فى موقف الحشر وماهم فيه من ثواب وأجر عظيم وجزيل تذكر الايه حال الذين لم يستجيبوا لدعوه الله لهم عبر رسوله الى دار السلام فإنهم لم يقبلوا الدعوه لم يقبلوا الالتزام بمنهج الله وعباده الله وحده اولئك الذين كان كل همهم هو الدنيا فقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

يريد منك أن تشعر بالخساره الفادحه التى وقعوا فيها فقد خرجوا من الدنيا بصفقه خاسرة فهذه هى نهايه من أثر الركون إلى الدنيا والتعلق بها ومن أسقط من حسابه العمل للدار الاخره

يريد منك أن تأخذ من هذا الموقف درسا تنظر لحال الكفار الذين يعاملهم بالعدل جزاء السيئه بمثلها لايزيدهم على ذلك انظر الى حالهم (ترهقهم ذلة) اى تعتريهم وتعلوهم ذلة مافعلوا من معاصى وخوف من العقاب فعليك أن تدرك أن اللذه العاجله مهما كانت لاتدوام فإذا عرضت عليك المعصيه فتذكر ما يتبعها من عذاب تذكر أن اللذة الحرام يعقبها الذل والهوان يوم القيامه عليك أن تنظر إلى الدنيا وزينتها ومباهجها بعين البصيره لاعين البصر لان

عين البصر تجعلك تنشغل بها عن طاعه الله أما عين البصيره فإنك ترى أن ملذاتها فانيه ومنقطعه لاتعدل شئيا بما فى الاخره من نعيم دائم وبما يتبع المعصيه

من عذاب الله فأنت لن تجد من يمنع انزال عقاب الله العادل عليك فقال تعالى (مالهم من الله من عاصم)

فسنه الله وعدله أن من لم يسلك طريق الله المستقيم لابد أن يعاقب ولايجد من ينقذه من عذاب الله

فعليك أن تنظر إلى اهوال هذا اليوم ليكون ذلك واعظا لنفسك وحاجزا لها عن التعلق بالدنيا والشغف بها فكل من أقبلت عليه الدنيا بالمال والجاه والسلطان والقوه ازدادت حاجته إلى الإكثار من تذكر الموت وأهوال يوم القيامه والوقوف بين يدى الله لئلا تفتنه الدنيا عن الاخره

عليك الإنتباه من الغفلة عن هذا اليوم فمن عاش حياته فى غفله وأعراض عن ربه واتخذ من الدنيا غايه لحياته حتى أتاه الموت وهو على ذلك فسوف يندم أعظم الندم وسيلقى اشد العذاب ولهذا ترسم لنا الايه مشهد معبر عن هذا الندم والحزن الشديد فقال تعالى (كأنما اغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما)

لتفهم أن بياض الوجوه يعود إلى الأعمال الصالحه وسود الوجوه يعود إلى الأعمال القبيحه حتى تظهر آثارها على الوجوه فجاء الاخبار عن سواد وجوههم لاجل التنفير من الأعمال القبيحه فالله يقول فى موضع آخر (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

فأراد بهذا أن تضع امام عينك هذه الحقيقه فلا يمكن أن يتساوى المحسن مع المسي فالله عادل ولابد أن يكافأ المحسن ويعاقب المسئ فعليك أن تضع نهايه المسئ أمام عينيك فتحذر من هذه العاقبه والنهايه (اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فلا تتهاون فى أمر الله عليك أن تحذر من مخالفه أمر الله والتعدى على ماحرم الله فعليك أن تخاف الله وان تتحرر من أسر الدنيا عليك أن تبتعد عن المعاصى وان تسارع إلى العمل الصالح وهو الطريق إلى التقوى والفوز والنجاح فغايه مايسعى إليه المؤمن أن يرزقه الله التقوى فيكون من أصحاب النفوس المطمئنه التى تبشر بالخير العميم فى الدنيا والاخره

كما أن الاخبار عن حال الظلام الحالك الذى يظهر على وجوههم وان النهايه هى الخلود فى نار جهنم يهدف إلى الحث على تزكيه النفس وتقويم اعوجاجها من خلال الوقوف على. مشهد اهوال النار وأهل النار لان الخوف من الليل الحالك فى ظلمته فى المكان الموحش أمر طبيعى ان يدفع الإنسان إلى الإسراع فى السير طلبا للامان لانه لو تباطا أو تقاعس لحلت به الندامه واجتمعت عليه المخاوف واشتدت عليه ظلمه الليل فلن يستطيع السير ولن يهتدى إلى الطريق المستقيم ولهذا فإن مشاهده هذا الموقف لاجل أن تسرع إلى إصلاح الخلل وان تهرب من المعاصى تجاهد نفسك على طاعه الله لتحظى بالجنه وهى غاليه الثمن لاتنال الا بالجهد والطاعه ولهذا ورد فى صحيح البخاري عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فقال عرضت علي الجنة والنار فلم ارا كاليوم فى الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتكم قليلا ولبكيتم كثيرا)

فالترهيب من هذا الموقف أمر مهم فى تزكيه النفس ولهذا كان التصوير الذى ترسمه الايه لحال الكفار يوم القيامه من خلال تصوير ملامح وجوههم وماهم فيه من الكدر والحزن الشديد اسرع فى التأثير وأبلغ فى تحريك النفس واستجابتها لمن كان قلبه مازال فيه بقيه حياه لان المواعظ كما قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله المواعظ سياط

تضرب بها القلوب فتؤثر فى القلوب كتاثير السياط فى البدن والضرب لايؤثر بعد انقضائه كتاثيره فى حال وجوده لكن يبقى اثر التالم بحسب قوته وضعفه فكلما قوى الضرب كانت مده بقاء الالم أكثر)

ثالثا

بعد أن نقلت الآيات حقيقه ان الجنه والنار نتيجه لأعمال الإنسان فى الدنيا وان المؤمن الصادق يدخل الجنه الحاضره فى الدنيا قبل الاخره وان الكافر يدخل جحيم عذاب النار وهو فى الدنيا تمضى الآيات فى نقل مشهد من مشاهد الحشر فقال تعالى

(ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس مااسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

المبحث الأول

ماذا يعنى الحشر ؟ ولماذا أعاد ذكر الحشر مع أن الآيات السابقه قد تضمنت أحوالهم يوم الحشر ؟

الأمر الأول

(ماذا يعنى الحشر)

الحشر فى اللغه :الجمع جاء فى المختار الصحاح حشر الناس تعنى جمعهم فالله يقول (وأرسل فى المدائن حاشرين) اى جامعين يجمعون السحره

أما فى اصطلاح علماء التوحيد :

فالحشر تعنى جمع الخلائق وسوقهم بعد بعثهم ونشرهم احياء من قبورهم وجمعهم فى ارض المحشر للعرض والحساب وفصل القضاء ثم يساقون بعد ذلك إلى دار الجزاء وهى أما الجنه وأما النار

الأمر الثانى

(انواع الحشر)

واعلم أن الحشر اربعه اثنان فى الدنيا : وهما حشر اليهود من المدينه الى الشام فقال تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر)

والثانى المتعلق باشراط الساعه الكبرى وهى أن تخرج نار من عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر

أما الاثنان الاخران فهما فى الآخرة

الاول جمعهم إلى الموقف بعد احيائهم

والثانى صرفهم من الموقف إلى الجنه او النار

الأمر الثالث

(لماذا أعاد ذكر الحشر مع أن الايه السابقه قد تحدثت عن أحوال المحسن والمشرك فى ذلك اليوم)

الايه السابقه عرضت ملامح وجوه الكفار وملامح وجوه المحسنين واكتفت بذكر أن تلك علامات على مصير كل واحد فى دار الجزاء فالايه السابقه بينت كيفيه الحشر اى بيان الهيئة والصفة التى يكون عليها الناس عندما يخرجون من قبورهم ويساقون إلى أرض المحشر فى الموقف العظيم ليحاسبهم الله تعالى على ماقدموه فى الحياة الدنيا ليجاوزا على هذه الأعمال أن خيرا فخير وان شر فشر

ولهذا جاءت الايه هنا بنقل تفاصيل الحشر الأول والثانى فى الآخرة حيث ابتدأت بذكر الحشر الأول اى جمعهم إلى الموقف بعد احيائهم للعرض والحساب وفصل الخطاب فقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين)

فأراد بهذا التصوير الاتى

المفهوم الاول

تكوين قوه باعثه للطاعه وقوة دافعه للمعاصى عندما يسمع العبد ما يحدثه الله فيه عن بعث الناس من القبور احياء وأنه يجمعهم فى هذا المشهد العظيم الذى يجمع فيه الناس كلهم (جميعا) الأولون والاخرون حيث أن الجمع الكبير فيه اظهار درجه الصعود للمطعين ودرجه الهبوط للعصاه حيث يكون فضيحه العصاه أمام الأشهاد وإظهار فضائل الطائع فالاكرام والاهانة بين الملاء يكون ارفع للمطيع وأحط العاصى ولهذا

المفهوم الثانى

لتقريب الصوره لما يدعوهم للإيمان به لأن الحشر والنشر والصراط والميزان من الأمور السمعيه التى يجب الإيمان بها ولايعرفها العقل وانما يتلقاها من الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول ويؤمن بها المؤمن كما أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا من أنكر البعث فهو كافر بالإجماع كونها من الأمور السمعيه المتعلقه بالمعاد

المفهوم الثالث

أن مما يجب الاعتقاد به باليقين أن الحشر يكون فيه حشر الأجساد وهو سوقها إلى الموقف بعد بعثهم من قبورهم فالاجساد التى كانت فى الدنيا يتم استعادتها مرة أخرى بعينها كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)

ومعلوم أن الالسنه والايدى والارجل التى ستشهد على أصحابها يوم القيامه هى بعينها التى شهدت هذه المعاصى فى الدنيا لذلك سوف تشهد عن علم وبصيره بما شاهدت وعاينت وسينطقها الله (الذى انطق كل شى)

فالكفار عندما يبعثون من قبورهم يكونون كاملى الحواس والجوراح كما قال تعالى (يوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم)

المبحث الثاني

تحدثت الايه السابقه عن الهيئة والصفة التى يكون عليها الناس عموما عندما يخرجون من قبورهم ويساقون إلى أرض المحشر فى الموقف العظيم ليحاسبهم الله تعالى على ماقدموه فى الحياة الدنيا ليجاوزا على هذه الأعمال أن خيرا فخير وان شر فشر حيث فهم منها أن حال المؤمنين هو الخروج من القبور وعلى وجوههم علامات الاطمئنان والفلاح الذى يصلون به إلى السعاده فى دار السلام وذكرت أن المشركين يساقون وعلامات التعاسه والنهايه فى جهنم ولهذا تنقل لنا الايه هنا تفاصيل عن أحوال الكفار فى السوق والحشر إلى الموقف وحال المحاسبه وحال السوق والحشر إلى دار الجزاء فى جهنم والسؤال لماذا خص بالذكر تفاصيل الكفار

الأمر الأول

لان لهم أحوال متنوعه ومختلفه فى الأحوال الخمسه البعث من القبور ..حال السوق والحشر فى الموقف ..حال المحاسبه ..حال السوق والحشر إلى دار الجزاء...حال مقامهم فى دار الجزاء ولهذا نجد أنه تعالى يقول (ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم) ويقول فى موضع آخر (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) فهذا ليس تعارض وانما اختلاف أحوالهم فى المواقف الخمسه المشار إليها

فهم عندما يبعثون من القبور يكونون كاملى الحواس والجوراح (يتعارفون بينهم)

وكذلك فى حال السوق والحشر إلى موضع الحساب فهم أيضا بحواس تامه كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وازواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم أنهم مسؤولون)

وهنا قال (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم)

اى الزموا مكانكم انتم وشركاؤكم الذين عبدتم من دون الله وهذا فيه توقيفهم وسؤالهم

فهذه الأحوال تكون حواسهم مازالت كامله والا كيف يكون سؤال لاصم أبكم فهم فى هذه المرحله يسمعون ويبصرون وينطقون بدليل (وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون)

يبدأ بينهم الجدل وكذلك فى ساحه العرض والحساب فذكر بعض العلماء أنهم يسلبون اسماعهم وابصارهم والسنتهم عند السوق الى جهنم وان كان هذا القول محل نظر لاننا نعلم من سوره الاعراف أن أهل النار يناودون أهل الجنه يردون الماء والطعام وهذا ما يجعلنا نأخذ بالراى الذى ذهب إلى القول إن العمى لهم هو عمى البصيره عن الحجه اى لاحجه له يهتدى بها المراد بها أن الجهاله التى كانوا قد عاشوا بها بالدنيا تنتقل معهم فتصير سببا لأعظم الالام الروحانيه (تفسير الرزاى)

الأمر الثانى

تهدف الآيات الى التهديد والوعيد للمشركين والتبكيت لهم فابتدات الايه بقوله تعالى (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم) بالحديث عن حال حال المشركين فى هذا الموقف هم ومن جعلوهم اندادا لله من الناس والاصنام التى عبدوها وقد ابتدأ بحرف العطف (ثم) للاشاره الى ان بين حشرهم وبين مايقال لهم مواقف اخرى من الأهوال فاستخدم ثم للتراخى النسبى فقال تعالى (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم

انتم وشركاؤكم) اى أنه قال لهم الزموا مكانكم انتم وشركاؤكم و اضافهم للمشركين من باب التهكم والتبكيت لهم لأنهم عبدوهم واطلقوا عليهم أوصاف كاذبه افتراء فجعلوهم اندادا لله وهى لاتستحق هذا فهى مخلوقات وهذا فيه تهديد ووعيد لمن يشرك بالله

الأمر الثالث

تهدف الايه أن يشهد كل امرئ عمله فلا ينفعه الا الحق ولايجديه تمسكه بغير ما أنزل الله شيئا حيث هناك يحصل الإنكار والتبرئ ويشتد العداء بين المجرمين وتستحكم المودة والسرور بين المؤمنين خاصه أما الكفار فيحصل الاختلاف بينهم والفرقه والانقسام فقال تعالى (فزيلنا بينهم)

التزيل تعنى التفريق يقال زيلت الشى ازتله إذا فرقته وابعدته قال تعالى (ولو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم) اى لو تميزوا أو تفرقوا

فالاية تهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف من غير الله ومن طلب العز من غير الله نظرا لأن البعض يطيع البشر لاجل أن يستمد منهم القوة والعزة والنصره على الاعداء أو الشفاعة عند الله حيث أن الكثيرون عبدوا الانبياء والصالحين زاعمين أنهم يسمعون ويشفعون لمن يدعوهم حسبما أخبرهم به أسلافهم ولهذا كانت البئية سببا فى انحرافهم عن الفطرة التى اعتراها التشوة بسبب البيئة الفاسدة فانحرفت عن الحق فعبادة الأصنام أو البشر لم يكن عن حجة وانما اتباع ماوجدوا عليه آباءهم من قبلهم وما نشاوا عليه من عقائد وتصورات فاسدة طمست نور الفطرة وحجزت القلوب عن الهداية فالله سبحانه وتعالى يقول فى موضع آخر (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير)

ولهذا تعلقت نفوسهم على حب الأصنام وماعبدوا من دون الله تعالى تقليدا بسبب ماالفه هؤلاء من عقائد وأعمال تربوا عليها منذو الصغر لقد التصقوا بها وصارت جزء من كيانهم فى الدنيا ولهذا تنقل لنا الآيات الخبر الالهى لعباده أن كل معبود يعادى عابده يوم القيامة ويتبرأ منه فابتدا بهذا المشهد (فزيلنا بينهم)

حيث عبر بالفاء للدلاله على أن التفريق بينهم قد حدث عقب الخطاب من غير مهله وجاء الأسلوب بتحقيق ذلك بصيغة الماضى لإفادة وقوع التزيل بينهم مباشرة فأريد بهذا المبالغة اى حصل التفريق بينهم بسرعه فحصل البعد القلبى فانقطعت جميع العلاقات التى كانت بينهم والتى كانوا يتمسكون بها فى الدنيا ويرفضون قبول الحق فكان نتيجة هذا التزيل حصول العدواة الشديدة بينهم فكان تبديل أحوالهم من المحبة التى كانت فى الدنيا إلى الكراهية والخصام وكلا منهم بترئ من الاخر فقال تعالى (وقال شركاءهم ماكنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين)

جاءت معطوفه على ماقبلها فيها فيقول الذين عبدوا من دون الله لمن اتبعهم وكان عابدا لهم أنكم لم تعبدونا وانما عبدتم الشيطان الذى زين لكم سوء اعمالكم نحن لم نامركم بذلك ولم نطلب منكم عبادتنا فقال تعالى (وقال شركاءهم ماكنتم ايانا تعبدون)

الأصنام تنفى عبادة المشركين لها وهى احجار صماء يجعلها الله تنطق يوم القيامه فالاحجار تشفق على نفسها من العذاب فكيف بالإنسان أنها تبرئ نفسها ولايمنع هذا أن يتحدث من عبد من البشر والملائكه والجن كل واحد يبرئ نفسه فى هذا الموقف العظيم حيث ان البعض تعلق بالانبياء والصالحين وراغب إليهم فاتخذوهم أولياء من دون

الله كما فعل النصارى بأن عبدوا عيسى وكذلك هناك من عمل مزار للصالحين واتخذوا قبور الأولياء والصالحين اماكن للزيارة وطلب الشفاعه من الأولياء وهذا شرك كما قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى)وقال تعالى فى هذه السوره بالاية١٨ أن المشركون قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

ولهذا يخبر الله هؤلاء أن كل معبود يعادى عابده يوم القيامة ويتبرأ منه فذكر قول المعبوادت كلها (ماكنتم ايانا تعبدون) يتبرأون منهم ومن أعمالهم والنفى برغم أن المشركين عبدوا الأصنام والانداد فدل هذا على الخصام والاختلاف والعدواة الشديده

وهم يطرحون الاداله والبراهين لتبراءة أنفسهم فيعرفون العبادة بأنها تكون امتثال أمر المعبود وارضاءه وهذا يتطلب أن يكون المعبود عالما وامرا بالعباده ولما كانت الأصنام غير عالمه ولا أمره لهم بالعباده فقد استقام الأمر على عباده المشركين لكن المعنى يشمل كل المعبودات سواء كانت أصنام أو ملائكه اوجن أو انس أو حتى بهائم كما هو حال الهندوس الذين يعبدون البقر كما قال تعالى. (اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك ...الخ

أخرج ابن جرير قال مجاهد (أن كنا عن عبادتكم لغافلين) قال يقول ذلك كل شى كان يعبد من دون الله

فالصوره التى ترسمها الآية الكريمة أن كل معبود يعادى عابده يوم القيامة ويتبرأ منه ويتنصل عن عبادتهم فهم يقولون لم نكن نشعر بها ولم نكن نعلم بها ولم نكن نسمع بها ولا نتكلم بها وهذا تبكيت عظيم للمشركين كما قال تعالى (والذين يدعون من دونه ما يملكون من قمطير وان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير)

فالله الخبير بكل شىء قد أخبرهم بحال ما يعبدون من دون الله فذكر لهم حال المدعوين من دونه من الملائكه والأنبياء والاصنام وغيرها بمايدل على ضعفها وعجزها وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التى تكون فى المدعو وهى الملك والسماع للدعاء والقدرة على الاستجابة فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوتة فكيف إذا عدمت بالكلية

وذكر أيضا أنهم يتبروان منهم يوم القيامة ومن أعمالهم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم)

وقال تعالى فى موضع آخر (ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فذكر أمرين العدواة الشديدة وجحود وإنكار ونفى العباده من المعبود للعابد

فالله يخبرهم بعواقب الأمور ومالها والى ما تصير إليه فهو تعالى أخبر بها لكن المشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم فقالوا تملك تسمع تشفع لمن دعاها لم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير عن أن كل معبود يعادى عابده يوم القيامة ويتبرأ منه

فالكيس هو الذى يستقبل هذه الآيات بالقبول والايمان والعمل بتجريد الأعمال من الشرك وان تكون خالصه لله وحده دون كل ما سواه ممن لايملك لنفسه نفعا ولادفعا فضلا عن غيره ولهذا يقول تعالى (هنالك تبلوا كل نفس مااسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون)

فأراد بهذا الاتى

المفهوم الاول

أهمية تذكر الموت وأهوال يوم القيامة حتى لاتطغى على الإنسان شهوات الدنيا الفانية والتنافس عليها سعيا وراء امال لانهاية لها حتى إذا جاء الموت حلت بالإنسان الحسرة والندامة حيث ذهب البعض إلى القول إن معنى تبلوا من المتابعه فتتبع كل نفس ماقدمت من عمل يسوقها إلى الجنه او النار فانتبهوا من الانشغال بالدنيا عن ابتغاء الآخرة فاياكم ومحبه الدنيا والتعلق بها فسوف تعلمون يوم القيامة أنه لاخير فى حب الدنيا كما قال تعالى (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسالن يؤمئذ عن النعيم) فأخبر أنهم يوم الحشر سوف يعلمونهاحق اليقين لا بالمشاهدة فقط بل بالحال والواقع ويجوز أن كل نفس تتبع ما كانت تعبد من دون الله فمن عبد الشمس اتبعه الى جهنم ومن عبد المتسلطين تبعهم إلى النار كما قال تعالى (أنهم ومايعبدون من دون الله حصب جهنم)

المفهوم الثانى

عليك ان تدرك أن عالم الآخرة ليس جديدا بل إن جميع مظاهره هى آثار هذه الحياة وظلالها ذلك أن الأعمال التى يقترفها الإنسان تترك آثارا خفية سوف يراها الإنسان يوم القيامة فى شكل كتاب مفتوح فقال تعالى (هنالك تبلوا كل نفس مااسلفت)

حيث أن تبلوا لها معنى عديده منها أنها تختبر ومنها ومنها إنها من المتابعه

ومنهم من قال إنها تعاين إشارة إلى أنها تكشف لها أعمالها التى عملتها فى الدنيا ويجوز أنها من المتابعه اى تتبع كل نفس ماعملت الى الجنه او النار باعتبار ان الذى يعمل الخير أو الشر يترك آثارا لأعماله تكون خفيه وهذه الآثار سوف تظهر يوم القيامة وسوف يريه الله إياها فى شكل كتاب مفتوح وهذا لان العمل فى الدنيا سواء كان خيرا او شرا تنعدم لذته أو مشقتة بعد القيام به وانما يخلف فى القلب أثرا أما لطيفا إذا كان عملا صالحا أو قبيحا إذا كان عملا فاسدا فهو يترك أثرا فى نفس عامله سواء كان خيرا او شرا والله يقابل ذلك بعمل من عنده فلايدع العمل ليضيع فإن كان خيرا قابله برسوم على القلب والوجه والايدى والارجل ويوم القيامة تنكشف هذه الأعمال جليا فتتبع كل نفس ماقدمت من عمل يسوقها الى الجنه او النار ولهذا يقول الله فى موضع آخر (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا)

المفهوم الثالث

ترسم الآية الجو الموحش فى هذا العذاب الذى يكشف عن الخفايا كما قال تعالى. (يوم تبلى السرائر) ولهذا استخدم اسم الاشاره (هنالك) إلى المكان الذى تتحدث عنه الايه قبلها (يوم نحشرهم جميعا) أو إشارة إلى الوقت وهو يوم القيامة حيث تنقطع العلاقات فى هذا اليوم فكل إنسان يبحث عن سبيل النجاه لنفسه فالمجرم كما أخبرنا الله فى موضع آخر(يود لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تويه ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه كلا ...الخ

فهو يتمنى لو يفتدى نفسه بكل من يحب من شدة الأهوال فالعلاقات تنقطع بين الكفار

فلا ينفع الناس إلا أعمالهم فى هذا اليوم فمن عمل سوء أضر بنفسه وجميع المجرمين يدخلون النار لأسباب وجيهه كما أخبر الله فى أكثر من موضع حيث يتم عرض صحائف أعمالهم ويشاهدونها ولهذا قال تعالى فى

موضع آخر (قالوا ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين .....حتى أتانا اليقين)

اى حتى فاجاءهم الموت وهم على فى غفلتهم فاستحقوا العقاب فهم يعترفون بأسباب دخولهم النار أنه بعملهم

أما اهل الجنه فيدخلون الجنه برحمه الله وليس بعملهم كما ورد فى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل أحدكم الجنه بعمله ...الخ

ولهذا قال تعالى فى مقدمه الآيات (للذين أحسنوا الحسنى وزياده) فالعمل الصالح يضاعفه الله ويدخل من يعملون الصالحات بفضله ورحمته ولهذا يختم الايه بقوله (وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون)

فالولاية هنا ليست ولاية نصره ومعونه كما ورد فى سورة محمد بأن الكفار لا مولى لهم وانما المراد بها ولاية الملك لهم والتصرف بهم فكان المعنى اى ردوا إلى مالكهم ومتولى أمورهم وسيدهم فى هذا اليوم للحساب والثواب والعقاب فهو تعالى مالك يوم الدين وقال لمن الملك اليوم قال لله الواحد القهار وهو تعالى يجازيهم بأعمالهم أن خيرا فخيرا وان شرا فشرا وهو تعالى الضامن للعباد بأن يحاسبهم بالعدل والرحمة فاى ضمان يطلبه البشر لدقه الحساب وشمول احاطتها بعد هذا الضمان

اى ضمان عدل الله فى حساب الله للمجرمين وضمان رحمته تعالى فى حساب المحسنين ولهذا فليس بعد عدل الله ورحمته ضمان يطلبها البشر كما قال تعالى (وكفى بنا حاسبين) فليس للناس الا عدل الله ورحمته ولايجد هؤلاء الشفعاء الذين زعموا أنهم سوف يمنعون عنهم العذاب

المجموعة الرابعه

يخبر الله عباده انه تعالى خلق الكون والإنسان وهم محكومين بسنن ونواميس إلا أن الفرق بين الكون والإنسان أن الله سبحانه وتعالى اقتضت ارادته أن يخلق الإنسان حر الارادة والإختيار وجعل الكون بلا اراده مسخر لخدمه الإنسان الذى كرمه الله بهذا الاختيار والاصطفاء أن يكون خليفه ولهذا رتب على هذه الاراده ونعمه العقل والعلم مسؤوليه على عاتق الإنسان لانه كلف الإنسان بالقيام بالخلافه ولهذا ارسل الله الرسل للناس يحملون المنهج لكى يعيش الانسان بصورة تتلاءم والنظام الذى ابدع الله به العالم والذى خلق به الإنسان نفسه حيث خلق الانسان على الفطرة التى أودع الله فيها الاسلام فطرة الإنسان فقال تعالى (أن الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ولهذا نجد الآيات ابتدأت بأمر رسوله أن يذكر الناس بوجود الله الدائم وقدرتة اللانهائية وعلمه بكل فقال تعالى. بقوله تعالي.

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر) يدعوهم إلى النظر إلى السنن الكونية والقوانين التى تحكم الكون الذى جعل الله عبادة هذا الكون أن تكون مسخرة للإنسان

هى تدل على الخالق وقدرته وإحسانه ورحمته وعطفه على الإنسان تذكرة بهذه الآيات

والتى لايستطيع الإنسان إنكارها فذكرت الايه اربع امور أمام أعينهم لتذكيرهم بربهم وقدرته اللامتناهية وعلمه بكل شىء

كما أمره أن يضع أمامهم منهاجا للسلوك فإذا قبلوا بهذا التذكير فليتبعوه فإن حصل ذلك كان لهم النجاه والسلامه وان خرجوا عن الطاعه ورفضوا القبول بالمنهج وان تكون للعقيده درورها وفاعليتها فى الحياة فهؤلاء محرومون من الهداية وتحق عليهم كلمه ربك وقضاؤها بالعذاب

فقال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمه ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدوا الخلق ثم يعيده قل الله يبدوا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع أم من لايهدى إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا أن الظن لايغنى من الحق شيئا أن الله عليم بما يفعلون)

اولا

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فقل أفلا تتقون)

الأمر الالهى للنبى صلى الله عليه وسلم أن يتوجه إلى هؤلاء يذكرهم بما هو معلوم لفطرتهم ليذكرهم بامرين الاول بوجود الله تعالى وقدرته اللانهائية وعلمه وحسنه وإحسانه للناس من خلال دعوتهم النظر والتفكير فى السنن الإلهية التى تحكم الجانب المادى للحياة التى يعيشها الإنسان أثناء حركته فى هذه الحياة لان كل كائن حى لابد له من حركه فذكر اربعه اشياء هى سنه الرزق ..ونعمه السمع والبصر...ومعجزه اخراج الحى من الميت والميت من الحى ...وتصريف شؤؤون الخلائق ثم رتب على هذه الآيات إنكار عدم شعورهم بوجود الله وقدرته وعظمته وجلاله وكماله وكبرياءه وهيمنته الذى تجلى فيه أمامهم وهم لاينكرون ذلك فقال تعالى (فذلكم الله ربكم الحق) وبالتالى فإن عدم قبول التوحيد الذى يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى عباده الله وحده هو انحراف إلى الضلال فقال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون) فقد أقيمت الحجه فلا يمكن بعد هذا رفض اتباع منهج الله الذى يحصل به التلائم مع النظام الذى ابداع الله به الكون والذى قام علية الكون فى حركته الدقيقه

الا من فاقد لعقله لاعبرة فيه لانه غير مكلف أو لجاحد معاند يرفض القبول بالحق الواضح أمامه وينصرف إلى الباطل فهذا قد عطل عقله عن أداء. وظيفته وعطل منطق الفطرة القويم ولذلك فإن جحود هؤلاء يلحقهم بمدرسه الفسق والعصيان ومؤسسها ابليس اللعين فيحرم من الايمان فهذه هى سنه الله لمن ينحرف عن الفطره وسنه الخلق الماضيه منذو خلق الله الأرض ومن عليها

ثانيا

تبين الآيات للدعاه أن الأسلوب الأمثل الدعوه هو الحوار والنقاش لا أسلوب التلقين فاللازم على المعلم أن يعتمد أسلوب النقاش والحوار بالمنطق أن يتضمن تنشيط مااودع الله فى الإنسان من منطق الفطرة

ولهذ ا ابتدأ بأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخاطب العقول التى جعلها الله اداه التكليف فى الخلافه

على الأرض يطلب إقناعها فالعقول أوجدها الله لتميز النافع من الضار لاجل أن يكون الحق هو مقصود الإنسان

حيث بواسطه العقل يعرف الطريق الموصل لذلك ويتقبل العلوم بها العلوم ويكون إدراك حقائق الأشياء والتحكم بالغرائز والأهواء فالعقل أجل النعم أن استخدمه الإنسان فيما خلق له وأطلق له حرية التفكير فى صفحات الكون العظيم وفى نفس الإنسان فمن يتدبر فى بديع صنع الله

لابد أن يغزو التوحيد أعماق النفس البشرية الداخليه حتى يخضع العبد مشئته لاراده الله طوعيه فلابد أن يدخل التوحيد منطقه المشاعر الإنسانية وهذا يكون من خلال معرفه الله فهذه الخطوه الاولى والشعور بحسن الله واحسانه

الاول

سنه الرزق يطرح عليهم هذا التساؤل (قل من يرزقكم من السماء والأرض)

السؤال متعلق بنعم متصله بحياتهم فهم يشاهدون نعم الله عليهم من انزال المطر الذى يخرج منه النعم ولاينكرون أن الله هو إنزاله فإنهم يقرون بأن الله هو الرزق لكنهم ينكرون تلك النعم كما قال تعالى (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)

فانكارهم هو أن يجعلوا لله اندادا انكارهم إضافة انعام الله إلى غيره بالقول أو الفعل مثل الاستعانه بالاصنام أو غيرها من المخلوقات إنكارها بعدم شكر المنعم وحده لا شريك له إنكارها بعدم الخوف من عقاب الرزاق لهم بسلبهم ماهم فيه من نعم إنكارها إسنادها إلى غيره كقولهم هذه بشفاعه الهتنا أو كقول البعض كان الفلاح حاذق

إنكارها أن تنصرف فى طلب الدعاء إلى غير الله تعالى مع انك تعلم أن الله هو الرزاق ولهذا ينكر الله على المشركين أن يعلموا أن الله هو الرزاق يعلمون أن ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق ومع ذلك ينحرفوا عن منهج الحق إلى الضلال بأن جعلوا لله اندادا جعلوا لهم مثلما للإله الواحد القهار الفرد الصمد

لماذا تطلبون من الناس أو الأصنام أو غيرها الرزق وانتم تعلمون أن الله وحده الرزق

الثانى

نعمه أخرى وهبها الله للإنسان انها نعمه ادوات القدرة على العلم والإدراك فيقول لهم الحق من اعطاءكم نعمه السمع والابصار (أم من يملك السمع والابصار)

فهذه الآدوات تدل على إبداع الخالق سبحانه وتعالى وانعامه على الإنسان أنها تدل على عجيب صنعه فالله تعالى هو الذى خلقها للإنسان كما قال تعالى (قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون) وقال تعالى (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا. وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون)

فهذه الآدوات نعمه من الله لمساعدة الإنسان على معرف ربه وطاعته ميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات وهو تعالى قادر على سلبها عنه كما قال تعالى (قل اريتم أن أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به)

فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن تفهم أن الذى خلقها هو مالكها وهو تعالى قادر أن يعطل عملها ولهذا استعمل (ام) منقطعه بمعنى بل وهى هنا للاضراب الانتقالى لا الابطالى وفيه تنبيه على كفايه هذا الاستفهام فى الدلاله على المقصود وهو تذكيرهم بقدره الله اللامتناهية ووجوب اخلاص العباده لله تعالى له تعالى

المفهوم الثانى

ارشاد العباد إلى عظيم وجزيل إحسانه تعالى فلو تأملت نعمه السمع والابصار لشاهدت فيه عظمه الله وقدرته وإبداعه

المفهوم الثالث

لماذا جاء السمع مفردا فى الايه والابصار جمع ؟

انه بالوقوف على معانى هذا نجد اعجاز النظم القرانى كون فى سورة الإسراء نجد أن السمع والبصر كلا منه جاء مفردا لان الآيات تتحدث الى الفرد عن المسؤوليه عن السمع والبصر فقال تعالى (ولاتقف ماليس لك بعلم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا)

أما هنا فالايه تخاطب السامعين إلى التأمل فى ايات الله ومفعولاته التى فى متناول أيديهم يدعوهم إلى التفكر فى أنفسهم وفى المخلوقات والسنن الكونيه يدعوهم إلى الايمان بكتابه ومايدعوهم إليه من التوحيد بدلاله مفعولاته التى لايستطيعون إنكارها فهذه الآيات إذا تفكروا فيها سوف يتبين لهم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعوه الى التوحيد وأفراد الله بالعبادة والالوهيه والربوبيه وحده لا شريك له هو الحق الثابت باليقين كما قال تعالى (سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

فهو تعالى جعل لمعرفته منهجين الاول المنهج العقلي الذى يصبح به العقل فى غايه القوة والجلاء فى استنتاج الاداله العقلية ويتقى به الخطأ والعثار وأما المنهج الثانى فهو الروحانى ولهذا فإن كل كلمه فى القرآن ذكرت فيها السمع ومشتقاتها وتصاريفها عنت دائما سماع الكلام والأصوات وإدراك ماتنقله من معلومات وقد ذكرت فى ١٨٥ موضع بهذا المعنى بينما وردت كلمه البصر. ومشتقاتها وتصاريفها فى ١٤٨موضع لمعنين البصر الذى يعنى رؤيه الاجسام والضوء والصور بالعينين فى ٨٨موضع ودلت فى باقى المرات على التبصر العقلى والفكرى بظواهر الكون والحياة أو بما يتلقاه المرء ويسمعه من آيات واقوال بالتدبر والتفكر وقد توافقت كلمه السمع والبصر فى ٣٨ مره منها هذه الايه التى تتحدث عن الادله العقليه الداله على وجود الله تعالى والداله على أن ما جاء به الرسول من منهج ربانى هو الحق من الله تعالى ولهذا لو ذكر البصر مفردا لتوهم البعض أن المراد بالخطاب مخصوص لفرد من الناس وليس بيان النقطه التى ينطلق بها الإنسان للوصول إلى الكمال فجعل المنهج العقلى مقدمه لقبول منهج الله

المنزل على رسوله فهو الحق الذى من يتركه يعتبر فاسق لانه ترك الحق المقصود النافع مع علمه أنه فيه سعادته فهذا يعود إلى عدم استجابته لدعوى العقل ونداء الفطرة

المفهوم الخامس

كما أن الملاحظ فى هذه الآيات الكونية التى يتحدث عنها القرآن الكريم يجد أن كلمه السمع قد سبقت البصر بلا استثناء وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل هل لهذا السبق من دلالة خاصه ؟

أن البحث عن الدلالة فى البداية تكون صعبة وعسيرة للوهلة الأولى على ضوء المعلومات الاوليه التى يعرفها الناس عن هذين الحسين لان المعلوم فيزيولوجيا لدى علما التشريح أن عدد الاعصاب الحسية السمعية لايحتوى الا على ثلاثين ألف ليف فقط بينما عدد الأعصاب الحسية البصرية على ثلثان عدد الأعصاب فى الجسم ولايرد إلى الجسم من معلومات عن طريق العصب السمعي سواء ١٢٪بينما يرد عن طريق العصب البصري ٧٠٪ من المعلومات الحسية

يقول الشيخ مجدى عبد المعطي فى كتابه الاعجاز العلمي في القران للشيخ سيد قطب شهيد المفسرين الصادر عن دار الروضه للنشر الطبعه الاولى ٢٠١٣

تعليقا على ذلك (إذا هذا التقدم لحس السمع وايراده قبل حس البصر فى كل الآيات تقريبا لابد أن وراءه سببا لم نعرفه بعد ولكن لو تبصرنا فى الحقائق العلمية التى عرفت حديثا فى علوم الاجنة والتشريح الفيريولوجى والطب لتمكنا من إيجاد الأجوبة ولاتضح لنا الاعجاز العلمى فى هذه الآيات الكريمة فيما عرفناه حتى الآن من هذه الحقائق تتطور آلتآ

حسى السمع والبصر فى وقت متزامن تقريبا فى الحياة الجنينية تقريبا إذا تظهر الصحيفة السمعية فى اخر الاسبوع الثالث(otic placde.)وهى أول مكونات آلة السمع بينما تظهر الصحيفة البصرية فى اول الاسبوع الرابع من حياة الجنين وتتطور الاذن الداخلية للجنين من هذه الصحيفة السمعية فيظهر فى الاسبوع الرابع الكيس الغشائى لحلزونى الاذن

الذى ينمو طوليا ويلتف لفتين.ونصف مكونا الحلزون الكامل فى الأسبوع الثامن ثم تتم إحاطة الحلزون بغلاف غضروفى فى الأسبوع الثامن عشر وينمو حتى يصل إلى حجمه الحجم الطبيعى له عند البالغين فى نهاية الأسبوع الواحد والعشرين عندما ينمو فيه عضو كورتي وهو عضو حس السمع وتظهر فيه الخلايا الشعرية الحسية التى تحاط بنهايات العصب السمعي وبهذا تكون الاذن قد نمت ونضجت لتصل إلى حجمها الطبيعى عند البالغين وأصبحت جاهزة للقيام بوظيفة السمع المخصص لها فى الشهر الخامس من عمر الجنين كما أن هذا القسم من الأذن يتمكن منفردا من التحسس للأصوات ونقل اشارتها إلى الدماغ لادراكها دون ليه ضرورة لمساهمة الاذن الوسطى والخارجية من الاديم الظاهر والاذن الوسطى من الاديم المتوسط فتتولد عظيمات الاذن الوسطى وبوق اوستاكى وغشاء الطبلة والصماخ السمعى الخارجي خلال الأسابيع 10--20ثم يتم اتصالها بالاذن الداخلية فى الأسبوع الحادى والعشرين كما يتضح شكل صيوان الاذن فى بداية الشهر الخامس ويتكامل نموه فى الأسبوع الثاني والثلاثين أما العين فلا يتم تكامل طبقتها الشبكية الحساسة للضوء الابعد الاسبوع الخامس والعشرين ولاتتغطى ألياف العصب البصري بالطبقة النخاعية لتتمكن من نقل الإشارات العصبية البصرية بكفاءة الا بعد أسابيع من ولادة الجنين كما يبقى جفنى عينى الجنين حتى الأسبوع السادس والعشرين من الحياة الجنينية

يتضح مما سبق ذكره أن الاذن الداخلية للجنين تنضج وتصبح قادرة على السمع فى الشهر الخامس بينما لاتفتح العين ولا تتطور طبقتها الحسيه للضوء الا فى الشهر السابع وحتى عند ذاك لن يكون العصب البصري مكتملا لينقل الإشارات العصبية الضوئية ولن تبصر العين لأنها غارقة فى ظلمات ثلاث

**

فلقد ثبت علميا أن الاذن الداخلية للجنين تتحسن للأصوات فى الشهر الخامس ويسمع الجنين اصوات حركات أمعاء وقلب امه وتتولد نتيجة هذا السمع وتتولد نتيجة هذا السمع إشارات عصبية سمعية فى الأذن الداخلية والعصب السمعى والمنطقة السمعية فى المخ يمكن تسجيلها بآلات التسجيل المختبرية وهذا برهان يثبت أن سماع الجنين للأصوات فى هذه المرحلة المبكرة من عمره ولم تسجل مثل هذه الإشارات العصبية فى الجهاز البصرى للجنين الا بعد ولادتة

كما أن من المهم أن نعرف أن الأصوات تصل الاذن الداخلية عن طريقين

الطريق الأول:_

هو طريق الاذن الخارجية ثم الوسطى والمملوءتان بالهواء فى الإنسان الطبيعي

الطريق الثاني:_

هو طريق عظام الجمجمة فالاهتزازت الصوتية تنتقل بالطريقة الاولى بواسطة الهواء وتنتقل بالطريقة الثانية بواسطة عظام الجمجمة وهى ناقل جيد للأصوات وبرغم أن الاذن الخارجية للجنين مملوءة ببعض الألياف وبسائل السلى لكن السوائل هى الأخرى ناقله جيدة للأصوات لانه عندما تغمر راسك فى الماء عند السباحة تتمكن من سماع الأصوات جيدا ومن هنا يتضح أن الجنين يمكنة أن يسمع الاصوات التى قد تصل إلى إذنه الداخلية أما عن طريق الجمجمة أو عن طريق الاذن الخارجية المملوءة بسائل السلى والأنسجة ومن الناحية الأخرى لايتمكن الجنين من أن يبصر خلال حياتية الجنينية لا لظلام يحيطه فقط بل لانسداد اجفانه وعدم نضوج شكبية عينية وعدم اكتمال العصب البصري حتى وقت متأخر من حياتة الجنينية

/3

اكتمال حاستى السمع والبصر:

يمكن للجنين أن يسمع الاصوات بالطريقة الطبيعية بعد ولادتة بايام بعد أن تمتص كل السوائل وفضلات الأنسجة من إذنه الوسطى والمحيطه بعظيماتها ثم يصبح السمع حادا بعد أيام قلائل من ولادتة

ومن الملاحظ أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يبدا يسمع الاصوات وهو فى رحم أمه فجميع الحيوانات لاتبدا بسماع الاصوات الابعد ولادتها بفترة وفيما يلى بعض الأمثلة الإنسان يسمع الاصوات قبل ولادتة باكثر من ١٦اسبوع وخنزير قبيعة بعد ولادتة بحولى5_6 ايام من ولادتة والارنب بعد 7ايام من ولادتة والكلب بعد 10من ولادتة

أما حاسة البصر فهى ضعيفة جدا عند الولادة وتكاد تكون معدومة فيصعب على المولود تميز الضوء من الظلام

ولايرى الاصورا مشوشة للمرئيات وتتحرك عيناه دون أن يتمكن من تركيز بصرة وتثبيتة على الجسم المنظور ولهذا يمنع أن يوضع الضوء من خلفه لانه يؤثر على العينين فهو يبدأ فى الشهر الثالث والرابع من عمره من تميز شكل امه

اوقنينة حليبة وتتبع حركاتها وعند الشهر السادس يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص إلا أن الطفل فى هذه المرحلة يكون بعيد البصر ثم يستمر بصره فى النمو والتطور حتى سن العاشرة من عمره

/4

تطور المناطق السمعية والبصرية المخية

ثبت أن المنطقة السمعية المخية تتطور وتتكامل وظائفها قبل مثليتها البصرية وقد أمكن تسجيل إشارات عصبية سمعية من المنطقة السمعية لقشرة المخ عند تنبية الجنين بمنبه صوتى فى بدايه الشهر الخامس الجنيني وتحفز الاصوات التى يسمعها الجنين خلال النصف الثانى من حياتة الجنينية هذه تنمو وتتطور وتتكامل وظائفها أما الناحية الأخرى لاتنبه المنطقة البصرية للمخ فى هذه الفترة بأية منبهات ولذلك فهى لاتتطور كثيرا ولاتنضج ولاتتكامل فمن المعلوم فيزيولوجيا أن المنبهات النوعية التى ترد عن أى طريق عصبى حسى تحفزه على النمو والنضوج وبهذه الطريقة يحفز الجهاز العصبى السمعىعلى النضوج منذ الشهر الخامس الجنينى ولايحفز الجهاز العصبى البصرى بمثل هذا الابعد ولادتة

ولهذا يتعلم الأطفال المعلومات الصوتية فى أوائل حياتهم قبل تعلمه المعلومات البصرية وهو يتعلمها ويحفظها اسرع بكثير من تعلمه المعلومات المرئيه فهو مثلا يفهم الكلام الذى يسمعه ويدركه ويعيه أكثر مما يفهم الرسوم والصور والكتابات التى يراها أنه يحفظ الاناشيد والاغاني بسرعه ويتمكن من النطق فى وقت مبكر جدا بالنسبة لتعلمه القراءة والكتابة وكل ذلك لأن مناطق دماغة السمعية نضجت قبل مناطقه البصرية قال تعالى (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها إذن واعية)

/5

كما لوحظ أن منطقة التفسير اللغوى فى قشرة المخ تنمو وتتطور هذه المنطقة التى تقع بالقرب من منطقة حس السمع وتربتط معها ارتباطا اقرب واوثق من ارتباطها مع منطقة حس البصر والتى هى تساهم فى وظيفة الكلام والإدراك اللغوى عن طريق القراءة والكتابة

أن هذا التقارب بين هاتين المنطقتين ناتج عن حقيقة تطور منطقة حس السمع ووظائفة فى وقت مبكر وقبل نضوج منطقه وظائف حس البصر

المفهوم الرابع

كما انه بالوقوف على الايات التى ذكرت السمع والبصر فيتضح لنا مما تقدم أن

أ/

أن جهاز السمع يتطور جنينيا قبل جهاز البصر ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه فى الشهر الخامس من حياة

الجنين الحجم الطبيعى له عند البالغين بينما لايتكامل نضوج العينين الا عند السنة العاشرة من عمره

ب/

أن الجنين يبدا بسماع الاصوات وهو فى رحم أمه بالشهر الخامس من حياتة الجنينية ولكنه لايبصر النور والصور الابعد ولادتة

ج/

تتطور وتنضج كل المناطق والطرق السمعية العصبية قبل تطور ونضوج مثيلاتها البصرية بفترة طويلة نسبيا

وهنا نعود إلى الآيات القرآنية الكريمة

(وهو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون) المؤمنون (٧٨)

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون)السجده(٩)

(وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) الاحقاف (٢٦)

(والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) النحل (٧٨)

(أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي)يونس ٣١

(انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سمعيا بصيرا) الإنسان (٢)

(اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) النحل(١٠٨)

كل هذه الآيات تشير إلى خلق ونشأة الانسان وكلها فيها تقديم السمع على البصر وهذا الأمر لم يكن صدفة عابرة من غير قصد بل هو اعجاز ربانى لم نهتدى إلى معرفتة الا مؤخرا بعد المكتشفات العلمية الحديثة التى تثبت اعجاز القران بل إن الحديث يتظافر معه فى تقديم السمع على البصر كيف لا وهما من مشكاه واحده يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليله بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظمها ...الخ

ثم دعونا ننظر إلى الآيات الأخرى التى ترافقت فيها كلمتا السمع والبصر فى قوله تعالى (لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا) مريم ٤٢

(ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون)هود٢٠

(أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) الاسراء ٣٦

(قل أرأيتم أن أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم) الانعام٤٦

(وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاابصاركم ولاجلودكم) فصلت ٢٢

(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) البقره ٢٠

فى هذه الآيات يشير القران إلى وظيفتى السمع والبصر ولأن الوظيفة الاولى تطورت ونضجت قبل الثانيه ولأن السمع اهم فى التعلم والتعليم وأعمق رسوخا فى ذاكرة الطفل فقدمها الله عزو جل

/٦

كما أن هنالك حقائق أخرى يضاف إلى ماسبق من اعجاز علمى وهو أن

المعلوم أن الإنسان يفقد حاسه البصر قبل فقدانه حاسه السمع عند النوم والتخدير التبنيج أو عند الاحتضار قبيل الموت أو عند الدوخه الناتج عن هبوط الأكسجين فى الهواء أو صعود المناطق الجبلية أو عند الطيران أو عند فقر الدم أو عند النهوض السريع والمفاجى أو عند الاستلقاء ففى كل هذه الحالات لايفقد الحس السمعى الا بعد فقدان الحس البصرى بفترة قصيرة

/٧

تاثير السرعة والارتفاع على السمع والبصر

حيث لاحظ أن الطيارين ورواد الفضاء تتأثر أبصارهم بسبب التسارع والتعجيل الشديد أثناء الطيران والارتفاع السريع ويسبب ضباب الرؤية وفقدانها تماما والاصابة بالعتمة التامة ولايفقد الطيار فى هذه الأحوال حاسة السمع ويظل يتواصل مع المحطات الأرضية بالاتصال الصوتى

٨

الساحة الصوتية والبصرية

يتمكن الإنسان من سماع الأصوات التى تصل إلى اذنية من جميع الجهات والارتفاعات فيمكن القول إن الساحة السمعية هى٣٦٠بينما لو ثبت الإنسان راسه فى مكان واحد فلن يتمكن من رؤية الاجسام الا فى مساحة بصرية محدده تقارب ١٨٠فى المستوى الافقى١٤٥فى المستوى العمودى أما مساحه أبصار الالوان فهى أقل من ذلك بكثير كما أن الأشعة الضوئية تسير بخط مستقيم دائما فإن اعتراضها جسم غير شفاف فلن يتمكن من عبور أو المرور حوله لكن الموجات الصوتية تسير فى كل الاتجاهات ويمكنها أن تلف حول الزوايا وعبر الاجسام التى تصادفها فهى تنتقل عبر السوائل والإحسان بسهوله فيسمعها الإنسان حتى عبر الجدران

فمن الحقائق الناصعه التى تبين بكل وضوح وجلاء الاعجاز القراني فى الآيات البينات التى قدم فيها السمع على البصر لاسبقيتة فى الخلق والتطور العضوية والوظيفى وللميزات الكثيرة لحس السمع على البصر وسبحان القائل (سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

الثالث

انه تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى

يلفت الإنتباه إلى حقيقه ان العالم كله كامنا فى النواه حيث يخرج منها الحى المتحرك وكل شىء فى هذا الكون يثمر وينجب ويعمل عملا خاضعا لنظام خاص لكنه مجرد عن الإرادة والعقل ينبثق النظام عن الفوضى كأنما العقل مبثوث فى كل شى فى الحى والميت فقد جعل الله الجسم الميت يخرج منه الجسم الحى إذا فسرنا الحياة بأنها نشأط كيمائى فى الجسم الحى لكن هذا التفسير غير صائب بحسب وجهه نظر الدكتور مصطفى محمود لان التراب يحتوى على نفس المقادير من الحديد والنحاس والكربون وان التركيب الكيميائي للخلية لايكشف عن سر حياتها لان الحياة ليست مجرد منظومة جامدة مثل البيت والمصنع إنما هى منظومة فيها قدرة على تكرار نفسها والتفوق على نفسها وفيها فطرة إرشادية تقودها من الداخل فطرة مبثوثة فى نسيجها تجدد مايتلف منها وتستحدث مايضيع فيحدث اخراج الانسجه الميته من الكائن الحى ويتم استحداث أنسجة حية بدلا عنها

فلم يعد هنالك حى ولاميت وانما الكون كله أصبح عاقلا حيا من الفلك العظيم إلى الذرة المتناهيه فى الصغر حيث الالكترونات تنتظم حول النواه وتدور فى نظام بدايع كما يدور كل كوكب حول نجمه

فالعالم الميت ينبض أمامنا بنبضه الخاص إذ بنا نكشف عن النظام والحركة والطاقة والفعل والانفعال والتطور وإذا به عالم حى عاقل

ولهذا يعقب على ماسبق بذكر الخصاصه الرابعه (ومن يدبر الأمر)/

يقول لهم أن كل فى الارض يثمر وينجب ويعمل عملا خاضعا لنظام خاص لكنه مجرد عن الإرادة والعقل حتى النبات فإنه يعمل كالحيوان أعمالا لا ارادية فى نظام رتيب وهذا يبرهن على أن الخالق جل وعلا وراء كل شى فهو الذى يدبر السماوات والأرض وهو الذى اعطى كل شى خلقه ثم هدى

فإذا تأمل الإنسان فيما ياكل من خضر وفواكه وثمار وفيما يشم شذاه ويمتع بصره ويزين بيته أزهاره وجد أن كل ذلك يخرج من تراب وماء وهواء وضياء فكيف تستطيع حبة أو نواة أن تكون نفسها ثمرة حلوة شهية وان تتشكل زهرة بديعة ملونة زكية كيف تزينت وتنوعت فى عدة أشكال وألوان بهية من اين اتت بهذه الروائح العطرية وقد خرجت من طين لا لون فيه ولارائحة ولاطعم له كيف ارتفعت شجرة باسقة من نواه وكيف اختلف كل منها فى شكله ولونه وورقه وثمارة وهى ارض واحدة وماء واحد كيف صنعت الثمار نفسها وتزينت بالوان بديعة وتعطرت بروائح جميلة وكونت جسدها من مواد مختلفة لذيذة ؟

انه تعالى أراد برحمتة أن يمتع الإنسان بجزيل نعمته فاوجد حاسة الشم والذوق والسمع والبصر ثم وهب له الفهم الذى يقدر به لذة كل شى ليستمتع بما أنعم الله عليه واحدة له من الأرض لاجل تكريم هذا الإنسان الذى فضله الله فى هذا الكون خلق لهذا الانسان خاصه انواع الاطعمه المختلفه خضر وفواكه ولحوم وتوابل متنوع الطعم والرائحة والحلاوه واللذة لقد أنعم على الإنسان بهذه الأرزاق فى الارض ليشكر الله تعالى

وقد خلق للانسان العقل فأحسن فانظر ايه الإنسان إلى هذا التصميم فى كل شى من أوجدها ومن إبداعها انظر انت ايه العاقل يامن وهب الله لك العقل لتستمتع بما خلق لك تأمل جمال الأشجار والنباتات والحشرات انظر الى اشعه الشمس والى ضوء القمر والى نزول المطر انظر الى الكون المحيط بك من سماء وارض وبحار وأنها ر ورياح وأمطار وشموس واقمار ونبات وأشجار وليل ونهار تجد أنه أن كل شى فى الوجود حيا كان أو ميتا يبرهن لنا على أن هناك من يقوده إلى ما ينبغى أن يودية ويدفع به إلى القيام بعمل خلق واعد لعمله فى نظام وإتقان دائبين كلها محكومه بقوانين مضبوطة ويسير وفق سنن دقيقة كشف بعضها علوم الطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات

والفلك والجيولوجيا فهذه العلوم تأسست نظرياتها على النظام الدقيق المحكم الذى يضبط الكون المادى من اصغر مانعرفه فيه وهو الذرة إلى أكبر ماسمعنا عنه به وهو المجراه فكل مخلوق يتصرف فى حكمة وفطنة كأنه يعقل ويحافظ على حياتة وصغارها ويسعى ليأكل حتى الماء يودى وظيفتة أنه يرتفع اطنانا فوق الارض كل يوم ثم يعود إليها ويجرى عليها ليرويها فيؤدى وظيفتة حتى الأرض تدورلتمد كل سطحها بضوء الشمس فيستمتع بالدف والنور وينتفع باشعتها منافع شتى وكذلك الجاذبية فإنها تقوم بعمل ما أمرت به من حمل واحتمال وربط ودعم لثقل الإجرام الهائلة وكل ذرة فى الوجود لاتكف ولاتتوانى فتحفظ الكون فى نظام مستمر فمن الذى اوجدها وادارها فى هذه السرعه الدائبه فسبحان من اوجد الوجود ونظمه وخلق كل شى والهمه وهدى كل حى وعلمه

ثالثا

الملاحظ أنه تعالى يخاطب الناس بما يعقلون لبيان حق الله تعالى. على الناس حيث ابتدأ بذكر انعام الله على الناس يذكر الانسان بأنه يعيش على نعم ساقها الله إليه ويتنفس هواء الله ويشرب من ماء الله فهذه الأمور لايستطيع اى انسان أن يدعى أنه مسؤول عنها فجميع الخلائق تعيش وسط جو لاتملك منه شئيا ولم تخلق منه شيئا وحياة الإنسان شاهد على ما نقول فلو انقطع عن الإنسان الطعام فانه يموت وهو يهلك لو انعدم الماء الصالح للشرب أو الزراعه فمن يرزق الخلائق أنه تعالى وحده لا شريك فالانسان يعيش فى حياتة معتمدا على ارزاق الله تعالى ونعمه

فهى لاتعد ولاتحصى يقول لهم الحق أنه رتب على ذلك حق واحد على عباده وهو حق التوحيد وقد اقتضى كمال رحمته وعدله عدم ترتيب نعم الدنيا على حق التوحيد ولهذا فهو تعالى ينعم على المؤمن والكافر وتساق انعامه للمؤمن والكافر فلا يمنع الرزق عن الكافرين لماذا لانهم لو منعوا لصاروا مجبورين على الايمان مقهورين على التوحيد والله اكبر من ان يجبر أحد على توحيد ه أو عبادتة فهو تعالى لايقبل الا توحيد ا ينبع من إرادة حرة ونفس كريمه ولهذا ابتدأت الآيات بذكر الأرزاق التى فيها رعاية الله لعباده لصيانه الطاقات الإنسانية من الانقياد للالهه الباطله لتحذر من الشرك لان ذلك اعتداء على حق الله تعالى فهو يصونها من عباده لاترضى أشواقها الخفيه ولاتقنع العقل وينتقص من كرامه الانسان لان الهنا المعبود الحق يخاطب عقولنا بالبرهان وهو لايغشنا ولايطلب منا ثمن على عطاءه فقال تعالى(ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)فهو تعالى يأبى لعباده أن يكونوا كائنات بلا وعى ولهذا دعا الناس لعبادته وافهمهم أنه تبارك غنى عن انتظار الرزق منهم إنما هو الذى يرزقهم ويطمهم وافضل انواع هذا الرزق الذى يسوقه إليهم أنه يدعوهم إلى عبادته ومعرفته تنسحب معه انواع الرزق جوار هذا الرزق وتنقذ كل انواع الرزق ويبقى هذا الرزق فقد سمح لعباده أن يعرفوه ولولا لطفه لتركهم يهلكون أقل مما تولد الاشياء وتهلك ولولا هذا الحنان من لدنه لما عرفنا أن لنا خالقا نتجه إليه ببذل الدعاء ولما عرفنا أن الذل هو مجد العباده له تعالى فاخبرنا أنه تعالى لايضره كفر الكفار ولاينقص من ملكه شي كما أنه لايزيد فى ملكه طاعه الطائعين وهذه الاعماق البعيده لايصل إليها إلا الدين لاستئصال الجراثيم التى ينبتها الطغاه والمستكبرين فلم يجعل تسخير هذه الطاعه لصالح حزب أو جماعه أو جنس فقال تعالى (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولافساد والعاقبة للمتقين)

فالإسلام جاء يحرر الإنسان ويعيد له إنسانيته المسلوبه فالانسانيه هى الحرية واداه ممارسه الاختيار ومباشره الاراده هو التفكير والعقل فهذه هى خصائص الإنسان فلو طلب منا التعبير عن الإنسان بكلمه لقلنا هو الحرية ولهذاجاء الإسلام من أجل تحرير الإنسان من أسر التعلق بالدنيا يخبر الإنسان أن حق انعام الله على الإنسان هو

يحب الله وحده وان يسعى لرضاءه وان لايخاف الا الله تعالى فاذا حلت به ازمه فعليه أن يتذكر الله ويلجأ إليه وأن يكون فعله الصادر منه يبتغى به وجه الله فقول كلمه لا اله الا الله تعنى أن يكون الاعتقاد والعمل كله خاليا من الشرك يعنى أن تطرد كل الأصنام من قلبك فلماذا تخاف من الناس إذا كان الله تعالى هو الرزاق لماذا تخاف من الناس إذا النفع والضرر بيد الله فمن أيقن أن الرزق بيد الله فهو سوف يتوكل على الله تعالى

فالدين الاسلامى قد جاء لحماية الإنسان ومصالحه وتحرير إرادته من اى ضغوط ولأن لكل إنسان مصلحه واحتياجات ضرورية وحاجيه تحسينية وكمالية فمثلا من الضرورى أن يكون له سكن ياوى إليه ويقيه حر الشمس ويكون له ملبس وماكل وأما الحاجى فانه لابد أن يكون المسكن مثلا مما يسهل العيش فيه والتحسين أن يوثث ويستريح فيه وقد جاء الإسلام يحفظ كل هذه الحقوق

لكن ماذا بعد هذا ؟

ماذا يريد أن يحققه الدين فوق كفايه الضروريات ؟

يريد إطلاق الفكر الانسانى فى الاعتقاد والتفكير فطريق الايمان هو النظر فى ايات الله فى الآفاق وفى الأنفس ولهذا خص بالخطاب للذين يعقلون ويتدبرون ويتفكرون فى انعامه فذكر أنه امد الإنسان بأدوات وسائل المعرفه واهمها السمع والبصر فقال تعالى (فجعلناه سمعيا بصيرا) لتكون عونا له على تحديد طريقة فى هذه الحياة والتعرف على الاداله التى بثها فى الكون وزوده بالطاقة الإدراكية التى يدرك بها سبيل هدايته ورشاده وسبل ضلاله وفساده بأن هداه السبيل فالانسان له اراده ولهذا فهو يرتكب الأخطاء ثم يتوب وهو دين ذو طبيعه مزدوجة يحقق للإنسان الضروريات ويدعوهم إلى الإنتاج واكتشاف مصادر الدخل والأرزاق فى هذا الكون الذى جعله الله مسخرا لخدمه الإنسان حتى يرتقى الإنسان عن مستوى الصراع على اللقمه فيدعوا العباد إلى اكتشاف اسرار الكون والاهتداء إلى أسباب الرزق ولايمنع الابداع والإنتاج بل يهيب بالناس أن يكتشفوا الاسرار ولايعتبر ذلك أمرا يصادم الدين ولهذا جاء الإسلام يكرم العقل الإنسانى ويخاطبه بالبرهان ويدعوه إلى الوقوف على مافى الكون الفسيح من منهج ارشاد فالإسلام حريص على أن يعرف الانسان اول خصائصه من اول الطريق يقول فيها لااله الا الله

ومن هنا كانت اللفظه تنفى كل الواهيه لغير الله انها صرخه تتحدى كل الذين يجعلون مع الله الهه أخرى فتقرر التوحيد الصحيح الصريح الذى لايحتمل معه الهه أخرى فقد يقر العبد بوجود الله ويعتقد بذلك لكن أعمالهم مخالفه للاعتقاد كما يفعل البعض الذين يلجأون إلى الاضراحه طالبين الشفاعه والوساطه ولهذا يقول الله أنه لم يطلب منا أن نجى معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا أوليستغفروا لنا زلاتنا فالمعروف من بدايهات الاسلام الاولى أن الطلب وسيلته أن نلجأ إلى الله بلا وساطه أن نتوجه إلى الله بالدعاء والإخلاص فهو تعالى. الذى تولى خلق الأرزاق وتكفل بتوصليها إلى الأفواه وخلايا الاجسام وكل ماعلى الأرض من مخلوقات تحتاج إلى الطعام لتعيش وهو تعالى خالق الطعام فارازق الله لعباده عديده هناك رزق الدنيا وهناك رزق الاخره ورزق الأبدان والعقول والقلوب فإذا عرفت ذلك فلماذا تنتظر الرزق من غيره ولماذا لاتتوكل عليه فأراد بهذا أن يدخل التوحيد منطقه المشاعر الإنسانية فيحب الإنسان ويكره بناء عليه وبناء على هذا الدخول ينزل التوحيد إلى مجال عمله الطبيعى ويكتسب فعاليته ومعناه فهناك فرقا بين الحقيقه كفكره مجردة يخبئها الإنسان فى عقله أو يكنزها فى تلافيف مخه وكونها قانونا مؤثرا يتحكم فى حركه الإنسان ويسيطر على تصرفاته وكل حقائق الإسلام لم تنزل ليحتفظ بها الناس فى عقولهم أو يتمتعون بها بين شفاههم ولهذا يستنكر القران على المشركين اقرارهم بأن الله هو الرزاق

والمالك للسمع والابصار والمحى والمميت والمدبر لشؤون الكون فأنت إذا سألتهم سوف يقولون الله هو الذى يفعل ذلك لكن لايرتبون على ذلك نتائج منطقيه فقال تعالى(فقل أفلا تتقون)

فالهمزه لإنكار واقعهم وذمهم والفاء فصيحه كيف لكم إن تعرفوا الله أنه الذى تولى رزقكم وأنه متولى أموركم وأنه قد اعطاك العقل الذى ميزك على سائر المخلوقات به وانت ترى هذه الحقائق فى الكون التى تحكم الجانب المادى وتكتفى بالاقرار بوجود الله فلا ينفع هذا الإقرار مالم يتحول الى واقع عملى فالادخار العقلى للحقائق الاسلاميه يفقدها كل معناها ويحولها إلى نوع من الزخارف والحلى ويهدر الحكمة الاصليه من استخلاف الله للبشر فالتوحيد ينبغى ينتج اثاره فى الحياة فقال تعالى (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون)

فلم يقبل الحق سبحانه وتعالى من المشركين الإقرار باللسان لله بالرزق والملك والتدبير لشؤون الكون كله بهذه السنن والقوانين الدقيقه التى تحكم الكون وتضبطه فأخبر أنه تعالى الحق الذى يتوجه إليه بالعباده والواحدنيه والربوبيه وحده لا شريك له وأنه بعد ظهور الحق لايكون الا الضلال فالحق واحد فمن تجاوزه انحراف ووقع فى الضلال وكيف لك أن تنحرف عن منهج الله الذى يرشدك الى الحق ولهذا يقول تعالى بعدها (وكذلك حقت كلمه ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)

فعليك أن تتخلق بأخلاق القران فإنه تعالى قد ربط بين القوانين المادية والقوانين الدنينه والأخلاقية ارتباطا وثيقا ونسق بينهما تنسيقا دقيقا فقال تعالى (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

(ومن يتقى الله يجعل له مخرجا)

فالتوحيد يمتاز بالشمول حيث أن كل الجزئيات والفروع تتصل به وتنطلق من قاعدته فقد شمل المنهج الذى يتلاءم مع نظام الكون شمول علاقه الانسان بربه وخالقه بمراقبه الله وشمل علاقه الانسان مع بنى جنسه وعلاقه الإنسان مع الكون فهذا هو قانون التوحيد الذى فيه الحق الثابت وعكس ذلك الباطل الذى يعنى الضياع والانحراف عندما يهدر قانون التوحيد بالانصراف عنه فنحن نعلم أن ماسى العالم الاسلامى اليوم هو إهدار قانون التوحيد عندما أصبح حالنا مقتصر على قول كلمه التوحيد فقط لا اله الا الله عندما لم تصبح شهاده وحركه مؤثرة حينما اكتفى المسلمون بالقول بدلا عن العمل حينما صاروا يفسرون التوحيد هذا التفسير النظرى ويرون أن الاعتقاد ينفصل عن العمل وأن هذا شرك اصغر وذاك اكبر عندما صار الناس يحبون الظلم ويسكتون عن ارتكابه فصار الاستبداد مألوفا عندما انسحب القران من حياة النفوس والدول والمجتمعات وانكسر بذلك قانون من قوانين الخلافه على الأرض فلا نجاه للمسلمين اليوم إلا بالعوده إلى منابع التوحيد الأول الصافية لا مجاريها علينا أن نعود إلى جوهر القران حينما كان يحكم القران الحياة ويوجة مشاعر القلوب وينشى الرغبه فى العمل ويهيمن عليه فالمؤمن بالله كافر بكل ماعداه يؤمن بالله فيتحرر من كل الضغوط والنزوات وتنطلق قواه لاترضخ لغير فاطرها والتى يكسبها الايمان قوة دافعة إذ يرضى الاشواق الخفية ويحطم أغلال الالهه الباطلة والظاهرة ويوزان بين شتى الدوافع والاحتياجات قال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الدين عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)

ولهذا يستنكر عليهم الانصراف عن الحق الواضح لهم بعدما شاهد وا الادالة والقوانين والسنن الالهيه التى تحكم الكون فكذلك فإن الإنسان له سنن وقوانين إلهية تضبطه فالله سبحانه وتعالى فأرسل الرسل لكى يتلاءم الناس

مع نظام الكون ولهذا أمر الله الرسول أن يذكر الناس بوجود الله الدائم وقدرتة اللانهائية وعلمه وحكمته وتدبيره لشئؤن الخلائق كما إمرة أن يضع بين أيديهم منهاجا للسلوك فإذا قبلوا بهذا التذكير فليتبعوه فإذا استجابوا حصل لهم السلامة والنجاة وان خرجوا عن الطاعه فهم محرمون من الهداية والايمان ولهذا يعقب

بقوله (كذلك حقت كلمه ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون)

أن الإسلام يحترم العقل الإنسانى ويكرم الإنسان لكنه لايؤلهه بل يسلم أمره لله فمن شاهد انتظام الكون وإنكار وجود الله فهو إما فاقد لعقله لاعبرة فيه أو مكابر معاند وهذا لاينتفع من الآيات لقوله تعالى فى موضع آخر (ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل ألغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين)

لأنهم يشاهدون الدلائل ويعترفون بالمقدمات ولكن لايرتبون على على مقتضى ذلك نتائج منطقية ولهذا تعود الآيات إلى بيان قدرة الله لان المشركون عندما كانوا يخاطبون كان يثيرون شبهات حول عدم المعاد بزعم أنه يستحيل اعاده الأجساد بعد أن يكون اختلاطها بالتراب ..وأنه لاعلاقه لها بالقدرة وانه لافائده من العوده للحياه ولهذا نجد كل حديث فى القرآن عن المعاد ياتى معه ذكر علم الله المطلق وقدرته وحكمته للرد على هذه الشبهات ولهذا نجد الآيات بعد ذكر علم الله تعالى بكل شىء فى الكون تعود الآيات إلى ذكر قدره الله تعالى وعلمه وكمال حكمته

ولهذا تبدأ الآيات بذكر أن لا إله إلا الله تعنى أن له خصائص الاستعلاء والكبرياء التى لاتنبغى لأحد غيره فهو الحاكم القهار وحده الذى فطر الناس على معرفته فهو وحده ليس كمثله شى هو وحده لم يكن له كفوا احد والناس بعد ذلك كلهم أشباه وانداد كلهم مخلوقات وكلهم عباد وكلهم فى ذلك سواء وهم حين يحرسون سواسيتهم يحرسون إيمانهم حتى لايعلوا عليهم الا الخالق المعبود ويعوذون بكل متكبر لايؤمن بيوم الحساب ولهذا

تعود الآيات إلى مظاهر قدرة الله وهل للشركاء نصيب فيها فقال تعالى (قل هل من شركائكم من يبدوا الخلق ثم يعيده قل الله يبدوا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع ام من لايهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون)

هذه الأمور المسؤول عنها من اعاده الخلق وهدايتهم إلى الحق كان العلماء يقولون إن الثانيه ليست من بدائه مشاهداتهم ولا من مسلمات اعتقاداتهم كالاولى فقالوا إن أنه يوجه إليهم فيها السؤال ارتكانا على مسلماتهم الاولى فهى من مقتضياتها بشى من التفكير والتدبر وهذا القول غير سديد للاتى

أن السؤال الاول من مسلمات الناس واعتقادهم حيث أن الناس لم يكونوا ينكرون أن الله خالق الناس ولهذا يخبرهم الله أن مقتضى هذا الاعتراف يعنى أن تسلم بسهوله العوده للحياه لان من اوجد الإنسان من العدم من السهل عليه إعادته للحياه ثم إن حكمه الخالق المدبر لاتكتمل بمجرد بدء الخلق فهو تعالى لم يخلق شيئا عبثا فهو تعالى. ولهذا يتعجب من انصراف هؤلاء عن إدراك هذه الحقيقة ولديهم مقدماتها فقال تعالى (فأنى تؤفكون)

كيف تتركون الحق وتنصرفون إلى الضلال

ثم تنتقل الآيات إلى السؤال الثانى يوجه الأنظار إلى تأمل حياه المخلوقات كلها من حيوانات وجماد ونبات وناس

فكل شى فى الكون يتحرك وفق سنن وقوانين ونواميس حيث انك تشاهد أن كل مخلوق جعل الله من البنيه الجسدية ما يحقق الغرض والغاية التى خلق لأجلها وقد اوجد فيهم من الغرائز ما يبرهن أن البارى وراء كل شى فهو الذى يدبر السماوات والأرض وهو الذى اعطى كل شى خلقه ثم هدى فكل شى فى الارض يثمر وينجب ويعمل عملا خاضعا لنظام ولكنه مجرد من الإرادة والعقل حتى النبات فإنه يعمل كالحيوان أعمالا لا ارادية فى نظام رتيب فإذا تأملت ثمار الأرض تجد أنها تثمر وتعطى الوان زاهية بل إن المشاهد لعمليه تزواج النبات واللقاح يرى أن الله وراء كل شى فمن علم الزهره وهداها إلى نفعها وحفظ نوعها كما يحصل باحتفاظ زهرة المسماه جاك فى المقصورة بحشرة تشبه الذباب حيث يكون التلقيح بواسطه هذه الحشرة ولذلك تحيط الزهرة هذه الحشرة بمادة شمعية منزلقة يتعذر معها على الحشرة أن تثبت أقدامها وعندئذ تدور الحشرة بحركه جنونية داخل المكان فتعلق هبوات اللقاح بجسمها وبعد قليل تتصلب جوانب المقصورة بعض الشى فتستطيع الحشرة الخروج بعد أن يكون جسمها قد تغطى بهبوات اللقاح فإذا زارت الحشرة مقصوره مذكر أخرى تكررت العملية السابقة أما إذا دخلت مقصورة انثى فإنها تسجن فى داخلها حتى تموت وهى عند محاولتها اليائسة للخروج تقوم بتلقيح الازهار الانثى

أن النبات فى هذه الحاله لا يهتم بخروج الحشرة لأنها تكون قد أدت رسالتها أما عند زيارتها مقصورة مذكره فإنه يسمح لها بالخروج لأنها لم تودى رسالتها بعد

فواعجبا كيف تسمح كل مقصورة مذكرة للحشرة بالخروج لتودى وظيفتها وكيف لاتبالى بخروجها كل مقصورة مؤنثة حتى تموت لأنها قد أدت رسالتها من الذى عرف كلا منهما وهداه إلى هذا العمل الحكيم وهو لا عقل له ولا ارادة له أنه تعالى الذى اعطى كل شى خلقه ثم هداه

وحمى الله بعض المخلوقات والحشرات بقناع من الألوان لتحميلها من عدو فتاك فالحرباء تأخذ الوان لتخفى عن الأنظار وهناك حشرات وزواحف خلقها الله مثل الوان الشجر وهى عندما تشعر بالخطر يهددها لاتتحرك حتى لايعرف مكانها فكلما اقتراب منها كانت جامده وكلما ابتعدت عنها تحركت فكيف تتصرف هذه الحشرة تصرف الحكمه والحذر وهى مجردة من العقل

أنها تفعل ذلك بالفطرة التى فطرها الله عليه فهو اوجد فى الحيوان الحذر بدون عقل يحذر وهو الذى أوحى إليها وإلى كل حيوان وكل حشرة بالحرص على حياته وأداء وظيفتة بالسعى للقوات والتناسل بلا إرادة ولافهم فسبحان من الهم الحيوان مالم يفهم وعلم الانسان مالم يعلم

فقد أرشد الله المخلوقات كلها على الحفاظ على نوعها وارشدها إلى حماية نفسها من الهلاك فكل مخلوق لابد له أن يسعى لقوتة وقوت صغاره ولابد أن يتعب فى سبيل ذلك فهذه سنه الله ولن تجد لسنه تبديلا علم كل حيوان كيف يحتال ليصيد فيختبئ ليفاجى فريستة على غره علمه كيف يتحفز للوثوب عليها بخفه كما علم الآخر كيف يفر وكيف يختبى فى سرعه انظر إلى حشرة العنكبوت كيف تغزل شباكها لتصيد وتنتظر حتى تقع الفريسة فى شباكها فتنتفض عليها وتقيدها بخيوط تغزلها حولها سريعا لئلا تفلت فتطير هاربه فمن الذى هداها إلى علم هذه الصناعة ومن اين اتت بالمادة التى تغزلها شباكها وشركا لتصيد بها يقول مصطفى محمود ينبثق النظام من الفوضى كأنما العقل مبثوث فى كل شى فى الحى والميت أو دعنا نقول إنه لم يعد هناك حى ولاميت وانما الكون كله أصبح عاقلا حيا فى الفلك العظيم إلى الذرة المتناهية فى الصغر حيث الالكترونات تنتظم حول النواه وتدور فى نظام بديع كما يدور كل كواكب حول نجمه

النظام فى كل شى والحركه فى كل شى فأين الموت اذن واين الفوضى واين اللاعقل

لم يعد هناك موت ولم يعد هناك لاعقل وانما الحياة منبثه فى كل شى والعقل منبث فى كل شى ...

افلا تدل كل هذه الشواهد على وجود الله وأنه من المحال أن يتصور كل عقل سليم أن كل هذا التوافق العجيب والنظام الدقيق قد تم بمحض المصادفة أنه لابد أن يكون نتيجة توجية محكم

فالكون له سنن ونواميس ترشده إلى الوظيفة التى خلق لأجلها ولا يكون كمالها الا فى الوصول إلى الغاية التى خلقت لأجلها وهو تعالى فالاية تحدد ماهى نظرة الإسلام للإنسان والحياه فتبين الايه انه تعالى يضع تحت يد الإنسان كثيرا من مفاتيح القوى والطاقات التى أودعها الله فى هذا الوجود واسبغ عليه نعمه الظاهره والباطنه لكنه لايسلم الإنسان للاهواء ولايتركه يطيش فقد جعل الإنسان سيدا على الكون الذى تحكمه سنن وقوانين إلهية فهو مجبور ولهذا لاحساب عليه أما الإنسان فانه مخير ولهذا ارسل الله الرسل لكى يتلاءم الناس مع نظام الكون الذى إبداعه الله فأمر الرسول أن يذكرهم بوجود الله الدائم وقدرتة اللانهائية وعلمه وحكمته وتدبيره لشئؤن الخلائق وانعامه وإحسانه كما أمره أن يضع أمامهم منهاجا للسلوك فإذا قبلوا بهذا التذكير فليتبعوه فأراد بهذا السمو الروحى للإنسان ولهذا رتب على. التزام العبد المسؤوليه عن أفعالهم فهو تعالى لم يخلقهم عبثا فالدنيا مزرعة الآخرة لايصح الانصراف عنها بل يعبد الله بالعمل بأرضه وابتغاء رزقة والإفادة من نعمه ولهذا جعل الجزاء على أعمال الناس فى الدنيا والآخرة وجعل الرقابة على أفعالهم

فالانسان بحاجه الى الاهتداء إلى مافيه سعادتة بحاجة إلى الاهتداء إلى معرفه ربه وعبادته بحاجة إلى الاهتداء إلى قواعد التعامل مع نفسه وأسرته وجيرانه ومحيطة وبنى جنسه بحاجة إلى الاهتداء إلى استخدام ملكاته التى ميزه الله بها على سائر المخلوقات فالانسان ليس ذلك الجسم الصلب الذى يتمدد بالحرارة وينكمش بالبروده فهو سوف يحاسب على أعماله

ولهذا يحتاج إلى منهج السلوك الذى يهتدى به إلى الحق ويرشده إلى طريق الهداية لأن العقل الإنسانى محدود الإدراك وهو يضل إذا غاب المنهج عنه نتيجه وجود حرية الاختيار لدى الإنسان ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الذى فيه مايحقق هداية الإنسان وسعادته وكماله لتكون فاعليته ايجابيه فقال تعالى (قل الله يهدى للحق)

انه تعالى انزل القران لهداية الناس وهو إمام الابصار أو الأسماع

موعظة للعقل لينطلق العقل فيبدع إبداعه الخلاق أنه شفاء لما فى النفوس يقنع العقل ويشبع الواجدان حتى لاتعوق أزماتها قوى الإنسان الراكضه فى الآفاق فالدين هدى ورحمه للفرد بكل طاقاته وللمجموع البشرى بكل أفراده حتى لايستنزف الصراع المتخبط أن الهدى نور يضى كل فج فى كل وقت والرحمه سابغه تستغرق كل بنى الإنسان فى كل بقاع العالم

والله قد الهم الإنسان طريق الخير وطريق الشر وهداهم هداية عامه بإرسال الرسل وانزال الكتب وأعطاهم تفاصيل الحياه التى ترشدهم إلى طريق الهداية مثلما هدى المخلوقات إلى غايتها ووظيفتها فى الحياة فإذا كان الجانب المادى محكوم بسنن وقوانين إلهية تضبطه فإن الجانب الغير مادى المكون منه الإنسان الروحى يحتاج إلى قوانين تضبطه فأنزل القران لتحقيق السمو الروحى للإنسان ليرشده إلى طريق الهداية فالدين يحفظ للإنسان طاقتة حتى لاتزل ولاتبدد فى جحيم القلق دون قرار ويحقق له استمتاعه بانسانيتة ودنياه دون أن يستهلكها

الدوار فى أفق ضيق يخرجه من سجن الأنانية والخرافات والأساطير ليرتقى به فى تمجيد الخالق الصانع العظيم ولهذا يقول (افمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع أم من لايهدى إلا أن يهدى)

يقول الحق أن الله الذى اعطى كل شى خلقه ثم هداه إلى الوظيفة التى خلق لأجلها هو الأحق أن يتبع فمن يهدى الناس هو أحق أن يتبع لا المخلوق الذى لايهتدى بنفسه إلا أن يهديه غيره فالإيمان بأن لا اله الا الله يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التى لاتنبغى لأحد غيره فهو وحده الرزاق الذى يعطى ويمنع ليبلو الناس هل يودون الحقوق وهل يطلبون الحقوق فكلمه لا اله الا الله اعلان مساواه للأخوة الإنسانية عن طريق أفراد الله بالربوبية فالدين موعظه للعقل لينطلق فيبدع إبداعه الخلاق والدين شفاء للنفس حتى لاتعوق أزماتها قوى الإنسان الراكضه فى الآفاق فالدين هدى ورحمه للفرد بكل طاقاته وللمجموع البشرى بكل أفراده حتى لايستنزف الصراع المتخبط دون طائل قطرةمن دم أو نفسا من حياة أو ذرة من ماده فالدين كما إرادة الله لعبادة مورد لاينفذ ومعين لاينضب ورصيد موجب يقابل سوالب الحياة واستهلاكها بدفعات تاتى فى وقتها لتغوص النفس وتشفى أزماتها ولهذا يختم الايه بقوله (فمالكم كيف تحكمون)

كيف تتركون القوة الكبرى التى فى خضوع الإنسان لها التكريم وتتبعون الهه عاجزه عن هداية نفسها كما قال تعالى (ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار)

هذا الإله العظيم الذى يدين له الإنسان الحر العزيز فتنطلق طاقاتة المذخورة من مكامنها دون أن تبتذل فى مراسم خضوع تمسخ بشرية وتشوه معالمه وتبدد قواه

هذا الإله العظيم الذى يراعى الناس جميعا بربوبيته الرحيمه ويعتنى بجميع مخلوقاته هذه القوه الكبرى التى يدين لها المؤمن فيعتز ويسلم فيتحرر هى اكرم قوه وقدرة يخضع لها الإنسان فضلا عن أن تكون أجدر قوة وقدرة بوجوب الخضوع لها والتسليم أنها قوة الغيب علت عن كثافة الحس ومطالبه ونطاقه العاجز القاصر أنها ترضى اشواق الروح للإيمان بالغيب فى الوقت الذى تطلعه فى عالم الشهاده يعبد الله بالتعامل مع الكون والناس

ولهذا يقول تعالى (وما يتبع أكثرهم الا ظنا أن الظن لايغنى من الحق شيئا أن الله عليم بما يفعلون)

فهم قد عطلوا عقولهم التى أنعم الله بها عليهم عندما تنازلوا عن انسانيتهم عندما تهربوا من أعباء الإنسانية فجعلوا مع الله الهه أخرى نتيجة تعطيل العقول وإصابتها بالشلل الناجم عن تضيق الأفق بالجمود والاعتماد الموروث من الآباء والأجداد باعتقاد أن هذه الأصنام تمتلك النفع والضرر دون دليل فاساوا لأنفسهم لأنهم تركوا الحق الواضح عنادا ولعدم قدرتهم على التحرر من التزمت والتحلل والجمود والجحود فاهدروا الطاقات حينما وجهها لعباده لاترضى اشواقها الخفيه وباعوا كرامه عقولهم

ولم ينتفعوا من المنهج الربانى الذى فيه الرقى لهم فهم وان كانوا يقرون بوجود الله ويقرون أن الله خلق كل شى واعطى كل شى خلقه ثم هداه فهم لايشعرون بوجود الله لايشعرون برقابة الله على أفعالهم وأنه تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور

)

فلا عذر لهم فالله قد هدى الإنسان إلى طريق الخير وطريق الشر وأوجد فى الإنسان غرائز تحفزه للخير والشر ثم ترك له حرية الاختيار بما وهب له من عقل يرشده إلى الخير ويبعده عن الشر كما قال تعالى (انا هديناه السبيل

أما شاكرا وأما كفروا)

فقد أنعم الله على الإنسان بقوه حب تدفع إلى طاعه الله وقوه تردع عن معصية الله منحه شهوه تغرية وخشية تحمية وبصيرة تنجية قال تعالى (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيرة) فلا عذر له بعدما زوده تعالى بعقل سليم يقوده إلى سبيل النجاه والفلاح

المجموعه الخامسه

تبين الآيات أن حقيقه الدين أنه موعظه للعقل لينطلق وشفاء للنفس لكن لمن لديه استعداد للقبول والفهم فالقران امام الابصار والاسماع وهو يقوم بتربية النفس السوية البرئية من العقد والعلل والاسقام

ولهذا يقول تعالى (وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يدية وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطتعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم برئيون مما اعمل وانا برئ مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لايبصرون أن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

اولا

تبين الآيات أن القرآن الكريم ليس مختلق من عند النبى صلى الله عليه وسلم كما يحاول هؤلاء القول فهو يستحيل أن يكون من عند غير الله تعالى فرساله الاسلام ليست تطور لعرف قائم أو أسلوب فى العيش أو طريقة فى الحكم بل هو ثورة شامله يحكم جميع جوانب الحياة ولهذا فالقران ارتفع فوق العلم ذاته لان العلم يقوم على التجربة والحذف والإضافة ولايصح أن تخضع القران للتغيير والتبديل ولهذا نجد عند النظر للحقائق العلميه التى لم تكن معروفه من قبل للناس كما هو حال ماذكرنا من سبق السمع على البصر فى القرآن حيث لم يكن من قبل يعرف دلاله السبق فى ذكر السمع على البصر حتى حصل العلم الحديث على الاجابه كما أوضحنا سابقا فهذه الحقائق لم تكن معروفه على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه من بعده بل الى ماقبل خمسين عاما من هذا التاريخ ولهذا فإن العلم عندما يتطور ويساعدنا على تفسير بعض الآيات القرآنية فإن نصوص هذه الآيات لاتتغير وكل ما يحدث أننا نكتشف تفسيرات أكثر لهذه النصوص أما الايمان بها وبانها من عند الله تعالى فإنه ايمان ثابت راسخ وعميق سواء عرفنا تفسيرها أو تشابه علينا ولهذا فإن الدين موعظه للعقل لينطلق وشفاء للنفس كما أوضحنا ليحصل السمو الروحى للإنسان فالتوحيد لم ياتى ليستقر فى القلوب ولايخرج للحياه ليمارس عمله فى الحياة فليس الأمر كذلك بل إنه يحكم الحياه الاجتماعيه والاقتصاديه والثقافيه والسياسية ويتدخل فى الأحوال الشخصية وكل شىء فسموا الإنسان وتقدمه هو هدف الدين

الأمر الثانى

تبين الآيات أن هذا الدين هو الذى تتعاقب الأجيال على الارتواء من منابعه فإذا كلماته الواحدة المتناهية تستحيل فكرا أو فناء أو عملا وإذا كلماته الواحدة المتناهية تغدو مصدرا لصور من الفوز والفلاح غير متناهية وحقيقة الايمان تستحق هذا الرتل المتعاقب من رسل الله وتستحق ما لقوا من عنت فى سبيل الله ولهذا يقول تعالى (و

لكن تصديق الذى بين يدية وتفصيل الكتاب لاريب فيه)

فجميع الرسل جاوا بدعوه التوحيد ودعوا الناس إلى تذكر الله وقدرته وحكمته وتدبيره وعلمه وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له كما اعطاءهم منهج سلوك للناس ليتبعوه فيه بيان الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاه الله العظيم الذى هو رب العالمين فكلمه لا اله الا الله دعوه للأخوة الإنسانية عن طريق توحيد الربوبية أنه دعوه للإنسانية لا دعوه لعصبيه هوجاء ولا لجنس ولا لون ولا لحزب دعوه لعباده الرب العظيم الذى هو رب الناس كلهم دون استثناء فهو تعالى خالق الناس جميعا ولهذا فقد كان الجيل الاول الذى اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم مكون من جميع الأجناس فيهم صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وعمر بن الخطاب العربى وابن مسعود الفقير وابوبكر وعبد الرحمن بن عوف من الأغنياء لقد تحمل هذا الجيل الدعوه وتعرضوا للبلاء والأذى كانوا يمثلون عصبه الأمم فى ظل عقيده تحترم حقوق الناس جميعا

الأمر الثالث

تبين الآيات أن الوحى فيه تكريم الإنسان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

ولهذا يقول المولى سبحانه وتعالى (ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطتعتم من دون الله إن كنتم صادقين)

يتحدهم أن ياتوا بمثله ولو سورة من اصغر السور وهم يعرفون اللغه والفصاحه والبلاغة ومع ذلك عجزوا عن هذا التحدى وهم من ذوى الصنعه فكل من يدرس القران الكريم يجد فيه اعجاز النظم وان معجزتة البيانية تدل أنه من عند الله وان البشر يعجزون أن ياتوا بمثله

وكذلك إعجازه العلمى الذى يكتشف كل يوم ما سبق وأن أخبر به القرآن وكذلك مخاطبة النفس وما له من سلطانا عجيبا على القلوب ليدل أنه من الله خالق الإنسان

المبحث الثانى

تبين الايات أسباب الأزمة الكامنة وراء عناد المشركين وعدم استجابتهم لما يدعوهم إليه القران من معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وتكذيبهم ما جاء فية من آيات بينات ومعجزه ومنهج حياة

الأمر الأول

فقال تعالى

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله)

تهدف الآية إلى تربية المؤمنين على الأسلوب الأمثل لإصدار القرارات والأحكام بأن ذلك يقتضى البحث عن المعلومه بالمسألة والإحاطة بها من جميع جوانبها والابتعاد عن أسلوب الحمقى والجهلاء الذين يتطاولون فيما لايمتلكون أدواته ودون إدراك جوانبه حيث أن ذلك سببا من أسباب التخلف والخبال ولهذا

يذم الحق سبحانه وتعالى الكفار لأنهم أطلقوا الأحكام بتكذيب ماجاء به القرآن قبل أن يعرفوا حقيقتة ودون

الإلمام والاحاطه به من جميع جوانبه فالسبب فى هذا الفشل أنهم أصدروا قرارات قبل تبين حقيقة الحكم وقبل أن يحيطوا علما بالمسألة وقبل أن يتمكنوا من الموضوع ولهذا يتعجب من حالهم المذموم كيف تحكم على شى لاتعرفه كيف تحكم على شى وانت جاهل به وقبل أن تدرك أبعاده وحقيقتة فمن أسباب الأزمة : نقص المعلومة وسوء الفهم ولهذا يذم الله المشركين مبينا أن هذا السلوك هو شأن الجهلاء والحمقى فقد أدى بهم نقص المعلومة وعدم الإحاطة إلى اتخاذ قرارات خاطئة فى قضية مصيرية

ولهذا فإن المسلم مكلف ببحث أسباب الأزمة عند ادارة الازمات

لان معرفة أسباب الأزمات والنجاة منها من السنن الإلهية والقوانين الاجتماعية تجرى على المسلم وغير المسلم وهى أشبه بقوانين الفيزياء كقانون الجاذبية وقوانين الطاقة وغيرها وأحاطة الإدارى بها ضرورى وهى للادارى المسلم فى موقع الدعوة أو فى المؤسسات أشد حاجة لخطورة الموقف والآثار المترتبة على فواتها فمن أخذ بأسباب الأزمة نال نتائجها ومن تجنب أسباب الأزمة نال النجاة

المفهوم الثانى

تبين الآية أن المعلومة من أهم ما يعتمد عليه الإدارى فى اتخاذ القرارات فنقصها سبب من دواعى إساءة التعامل مع الأزمات والأحداث ومزيد من التخلف والضعف فالمعلومة تحمى الإنسان من مخاطر القرارت المصيرية التى يتخذها الإنسان لمواجهه الأحداث حيث أن غياب المعلومة أو سوء الفهم لها من أسباب الوقوع فى الأزمات ولهذا فان الحصول على المعلومة مهم لإدارة الازمة والوقاية منها لان من يمتلك المعلومه يخفف الضرر الذى قد ينتج عن الأزمة فهو يتمكن من التصدى للأخطار فقراءة الأحداث فى مجالى الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها واستدراكها والقدرة على تجاوزها لايكون الا من خلال معرفه السنن وموطن الخلل وليس تجاهلها والقفز عليها يحتاج إلى امتلاك الادوات الحقيقية التى تمكننا من اكتشاف الخلل فالحياة

محكومه بسنن ونواميس واقدار ونظام ولهذا فإن اى خلل في التعامل مع هذه السنن واستعيابها أو التعامل معها دون امتلاك الادوات الحقيقية التى تمكننا من اكتشاف الخلل من أسباب الفشل

الأمر الثاني

كذلك عليك أن تدرك ان الإحاطة بالمساله وباسبابها من جميع جوانبها من شروط التأهيل للاستخلاف لصلتها الوثقى بمفهوم الإحاطة الذى نص على اعتبار ه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (أن دين الله لن ينصره الا من أحاط به من جميع جوانبه)

ومقتضى الإحاطة الوعى للسنن الكونية المساعدة على نجاح اوفشل المتصدى للاحكام الشرعية و الواقع والأحداث أن تتعلم كيف تربط العلاقات بين الأشياء لإدراك أسباب الازمه والمؤشرات التى سبقتها ولهذا يقول تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

يخبر الله عبادة أن الحياة محكومة بسنن ونواميس واقدار ونظام

وان مصدر العلم بالسنن هو هو معرفه الوحى والاستدلال على اطرادها يتأتى من تلك المعرفه والتحقق بفاعليتها إنما

وهذا فيه

المسألة الألى

تبين الآية أن الحياة محكومة بسنن ونواميس واقدار ونظام فكل شى له مقدمات توصل إليه فمن أراد الوقايه من مخاطر الأزمات فعليه أن لايتجاهل هذه السنن ولهذا ابتدأت الآية بذكر :

علاقة التكذيب بالرسل والكتب السماوية بالظلم و بهلاك الأمم

فذكرت الايه أن كل مكذب بمنهج الله لابد أن يقع فى الظلم لانة يجعل اهتمامه هو رغباتة لايريد أن توجد قيود تضبط حركتة فى الحياة لان المنهج بنظرة يعيق تلبية رغباتة ولهذا لابد أن يكذب بالمنهج ومن يكذب بالمنهج لابد أن يعتدى لماذا؟

لان الكذب يصور المعدوم موجود ويزيف الوعى حيث أنه حتى لو وصلت المعلومة صحيحة لكن تفهم بشكل خاطى لان الكذب يفسد على الإنسان تصور المعلومات على ماهى عليه فالكاذب يصور المعدوم موجودا والموجود معدوم والحق باطل والباطل حقا والخير شرا والشر خيرا فيفسد عليه تصوره وعلمه ومن هنا ينشأ سوء الإدراك حيث يصاب الشخص بخلل فكرى فلا يدرك قيمة الإشارات التى يتلقاها ونفس الكاذب معرضه عن الحقيقه الموجوده نزعه للعدم مؤثرة للباطل ولهذا فإن هذا يقع فى أسباب الهلاك لانه لايتجنب أسباب الأزمة ولهذا تحذر الآية السامع من الكذب ومن الظلم لان هذه أسباب توصل إلى الهلاك أن سنه الله ثابتة ولن تجد لها تحويلا ولهذا إذا دعتك نفسك الى الكذب فادفع ذلك عنها حتى لاتقع فى الهلاك

المسألة الثانية

وهنا قد يقول قائل كيف ماهو مصدر العلم بهذه السنن التى تحكم الحياه وكيف يكون الإحاطة بها علما من جميع جوانبه

ياتى الجواب فى الآية نفسها (كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

يخبر الله عباده أن مصدر العلم بالسنن هو معرفه الوحى (كذلك كذب الذين من قبلهم) فالله لم يقص علينا قصص الامم السابقه الا لنعتبر بها لما فى الاعتبار بها من حاجتنا ومصلحتنا وأما

الاستدلال على اطرادها يتأتى من تلك المعرفة والتحقق بفاعليتها إنما يتم من خلال السير فى الارض والتوغل فى تاريخ الشعوب والأمم وتاريخ النبوة وملاحظة قوانين سقوط ونهوض الحضارات فقال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

لان الاعتبار إنما يكون إذا قسنا الثانى بالاول وكانا مشتركين فى المقتضى للحكم ولهذا جاء بالفاء (فانظر)

الفاء للترتيب على التعقيب فيها بيان سنه الله فى اهلاك الظالمين

فليتامل المتأمل وينظر فى حال الأمم السابقة وماحل بالمكذبين فسوف يرى سنه الله فى اهلاك الظالمين فالله تعالى لم يقص علينا قصص الامم السابقه الا لنعتبر بها لما فى الاعتبار بها من حاجتنا آلية ومصلحتنا وانما يكون

الاعتبار إذا قسنا الثانى بالاول وكانا مشتركين في المتقضى للحكم فالدعوه هنا للسير فى الارض والاستدلال على اطراد سنن الله فى الارض ليحذر الناس مما حل بالامم السابقه لان نفوس الناس فى كل زمان من جنس

ماكان فى نفوس المكذبين للرسل قبل النبى صلى الله عليه وسلم فلولا ذلك لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بمن لانشبهه قط

الأمر الثالث

يخبرنا الله أن سنته أن لاياخذ الناس بالهلاك حتى يرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده يدعونهم إلى الايمان واتباع منهج الله وينزل معهم الآيات والمعجزات وان الناس ينقسمون مما يدعوهم إليه إلى مؤمن مصدق بما يدعوهم إليه الرسول ومنهم من يكذب به ويرفض التصديق فقال تعالى (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين)

وهذا فية

المفهوم الاول

أن كل نبى يجد انقسام الناس بشأن ما يدعوهم إليه إلى مؤمن مصدق وكافر مكذب لما يدعوهم إليه الرسول فمن يتأمل لتاريخ الانبياء واقوامهم لايجد حصول ايمان الناس كلهم بل يجد الانقسام بين مؤمن بالوحى ومكذب به فلابد أن يوجد فى جنس الناس من يكذب بالحق ويرفض التصديق فهذه سنه الله وإلا فما حاجة الناس إلى الاعتبار بمن لانشبهه لولا أن فى الناس فى كل زمان ماكان فى نفوس المكذبين للرسل امثال فرعون والجبابرة والطغاة كما قال تعالى (مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك) وهنا قال تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم ... الخ

المفهوم الثانى

تبين الايه انه لابد أن يوجد المفسدين فى الارض فى كل زمان وان هنالك علاقه بين التكذيب والافساد فلابد أن يوجد المفسدين حيث وجد التكذيب فالتكذيب منبعه النفس الخسيسه التى تطلب أن تكون شريكه وندا لله أو تكون الها من دونه ولهذا يحصل منها الحجود للخالق والشرك به فترفض القبول بحكم الله لان النفس مشحونه بحب العلو والرئاسة بحسب امكانها فتجد كل واحد يوالى من يوافقة على هواه ويعادى من يخالفه فى هواه فالبعض يعبد ما يهوى فالذى فى نفس فرعون وإبليس من إرادة أن يعبدهم الناس من دون الله فهم يطلبون ذلك ويريدون أن يطيعهم الناس وأن يتركوا منهج الله وما فيه من الظلم والجهل الا فى نفوس كل الناس شعبه من مافى نفس فرعون ونفس ابليس بحسب الإمكان فما فى نفس الافيها ما فى نفس فرعون غير أن فرعون قدر فأظهر وغيره عجز فاضمر فمن اعتبر وتعرف بأحوال الناس وسمع اخبارهم فإنه يرى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته كلا منهم يريد أن يطاع أمره بحسب إمكانه لكنه لايتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الالهيه وجحود الصانع وهؤلاء وان كانوا يقرون بالصانع لكنهم إذا جاءهم من يدعوهم الى عباده الله وطاعته المتضمنة ترك طاعتهم فقد يعادونه كما عادى فرعون موسى ولهذا يقول تعالى (والله اعلم بالمفسدين)

هو أعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الضلاله فهو يجازى كل واحد منهم بعمله

المفهوم الرابع

يدعو ا الله الناس الى أن يتاملوا أحوال الامم السابقه التى حلت بها المثلات فيتاملوا أحوال اهل الخير وأهل الشر فينظروا فى تفاوت حال أهل السعادة وأهل الشقاء حتى تلتزموا بكل أمر وسبب كان سببا فى العزه والكرامه والنجاه و اجتنبوا كل أمر كان سببا وراء هلاك من حل بهم الهلاك فقد عذب الله كل امه بحسب ذنوبهم وجرائمهم

فمن اعتبر أحوال العالم قديما وحديثا ومايعاقب به من يسعى فى الارض بالفساد ويسفك الدماء بغير حق وأقام الفتن واستهان بحرمات الله علم أن النجاه فى الدنيا والاخره للذين امنوا وكانوا يتقون وعلم أن من لم يؤمن لابد أن يكون مفسدا فمن لم يؤمن بمنهج الله لابد أن يفسد فى الارض لانه يلبى رغباته ولايستطيع الوقوف أمام اهواءه لان التكذيب يجعل نفس الكاذب معرضه عن الحق مؤثرة للباطل فقد ورد عن الرسول إن الكذب يهدى إلى الفجور وان الفجور يهدى إلى النار) فاصل اعمال القلوب كلها هو الصدق واضدادها من الرياء والشرك والعجب والكبر والبطر والأسر وغيرها أصلها من الكذب فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤة الصدق وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤة الكذب ولهذا يقول تعالى (والله اعلم بالمفسدين)

أعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الضلاله فهو تعالى يجازى كل واحد بما يستحق بالعدل وفق سنته فهو جل جلاله يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطة عن مصالحه ومنافعه ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه واخرته فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب

الأمر الرابع

ولما كان الثابت أنه تعالى. جعل للخير اهلا وانصار وجعل للشر اهلا وانصار وقد بينت الآية السابقة انقسام الناس بشأن كل رسول وما يدعوهم إليه الي مؤمن مصدق وكافر مكذب فهذه هي سنه الله أن الصراع بين الحق والباطل مستمر الي قيام الساعة ولهذا يتوجه النداء إلى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم يخبره أن لايفقد طاقاته وعزيمته وهمته نظرا لتكذيب المشركين فليس الأمر عائدا إلى نقص فى الاداله ولا لتقصير منه فى ايصال الفكرة

فقال تعالى (وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم برئيون مما اعمل وانا برئ مما تعملون)

يخبره أن لايتوقف عن الدعوه نتيجة تكذيب وإفساد المفسدين فعليك الاستمرار فى دعوتك لاتتاثر بتكذيب المكذبين انتبه أن تقدم تنازولات فى دينك تحت دعوى مصلحه الدعوه فالمطلوب منك ايه الداعية أن تكون مؤثرا أثناء اتصالك بالآخرين من غير اهل الاسلام مطلوب منك أن تكون عنصرا فاعلا فإذا وجدت تكذيب من الناس وعدم استجابة فاحذر ان تكون متأثرا احذر من الانفعال السلبى الذى يجعلك تتنازل عن التميز العقائدى الذى يتصف به أهل الإيمان احذر من المرواغه والتذبذب والتردد بل عليك أن تحزم امرك وتعلن البراءه والمفاصله مع أهل الكفر فالرسول عليه افضل الصلاه والسلام والصحابه كانوا عند نزول الآية يعانون من كل صنوف الأذى واشد العذاب لقد كان اهل مكه يعرضون على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بالله ويعبدوه مقابل أن يعترف لهم ببعض آلهتهم أو على الأقل أن يتوقف عن عيبها وشتمها وانتقاصها فكان الرد (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين)

وهنا يامر النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلن البراءه والمفاصله مع أهل الشرك ليعمق فى نفوس المسلمين النفور

من الشرك فالتعايش مع الكفار فى الوطن يعنى أن تحافظ على عقيدتك وتميزها فالاسلام يرفض كل أشكال التبعية والتقليد او الاقتباس من العقائد الضاله المنحرفه التى جاء الإسلام لهدمها ففى مثل هذه الظروف حافظ على عقيدتك فعليك نفسك فأنت سوف تحاسب على أعمالك ولن تحاسب على أعمالهم فعليك أن تحفظ بحيوتك ونشاطك وعقيدتك

الأمر الخامس

تستمر الايات ببيان سنه الله فى معاقبه الكذاب بأن يقعده ويثبطة عن مصالحه ومنافعه عقوبه له على تكذيبة فلا يوفقة لمصالحه بل يكون الكذب سببا فى عقوبه فساد دنياه واخرته ولهذا يعيطنا الله امثله لذلك ليخبر النبى والمسلمين أن عدم استجابتهم للحق والاداله والايات والمعجزات رغم وضوحها ليس لنقص البينة أو تقصير الرسول صلى الله عليه وسلم فى أداء مهتمه بل إن ذلك عقوبه لهم من الله فقال تعالى (ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لايبصرون)

فأخبر الله أن منهجية الدعوه الى الله ترتكز على عاملين

١/ فقه الدعوه الكتاب والسنه بالسند المتصل وهذا يحصل بالحكمه والموعظة الحسنة والمجادله بالتى هى احسن

ولهذا يخبر. الله أن هذا الأمر واقع لو أنهم استمعوا للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتلو عليهم ما فى القرآن من اخبار الامم السابقه فإن فى ذلك العظه والعبره

/٢

فقة الداعى النبوة اى الاخلاق النبويه والاستقامة ودليل فقة الداعي قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

لكن الخلل فى المخاطبين فهم لم يستمعوا لذلك سماع قبول فهناك مانع لهم من القبول والانتفاع بالمواعظ عائدا لهم

الايات تتحدث عن رد فعل المشركين من دعوه القران كمنهج وكمعجزة وما يدعوهم إليه من التوحيد واخبار الغيب وما فيه من احكام حيث أن القران فيه دعوه الله عباده إلى معرفته من طريقين أحدهما التفكير فى اياته المسموعه وتدبرهاوالثانيه النظر فى مفعولاتة اى اياته المشهوده فى الكون وهذه الآيات فى متناول الناس حيث أن القرآن معجزه لكل من سمع القران علم أنه كلام الله فله من دلاله الحكم على نفسه وصدقة علم أنه كلام الله تعالىكون نظمه معجز كما تحداهم به وعجزوا

ثم إن ايات الله المبثوثه فى الكون داله على وجود الله فهى شاهدة على صدق الآيات المسموعه حيث أن الأفعال تدل على الفاعل وكماله وصفاته تتحدث عن اخبار القران الكريم والتى هى معجزه فيما أخبر به من أنباء الغيب عن الامم السابقة فهى داله أنه من عند الله فما هى مشكلة هؤلاء كيف لاينتفعون بالعلم والايمان بأن هذا يعود إلى الاتى

المسألة الاولى

أن ازمه هؤلاء هو أن نفوسهم معرضه عن الحق وهم مصابون بالغرور والإعجاب بأنفسهم والحسد ولهذا فإن هؤلاء يستمعون لتلاوة القرآن عندما يتلوها عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يشاهدون ايات الله الكونية فهم صحيح يستمعون لآيات الله لكن ليس استماع قبول وانما على وجه التكذيب لماذا لأن النفوس مشحونه بالكبر حب العلو والرئاسة بحسب امكانها فتجد أحدهم يوالى من يوافقه على هواه ويعادى من يخالفه فى هواه فالبعض يعبد ما يهوى فاعظم السئيات وهى الحجود للخالق والشرك به وطلب النفس أن تكون ندا لله فالذى فى نفس فرعون وإبليس من إرادة طاعه الناس لهم وعبادتهم موجود فى كل نفوس الانس والجن فكل نفس فيها شى من ذلك غير أن فرعون قدر فأظهر وغيره عجز فاضمر ولهذا ترى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته يريد أن يطلع أمره بحسب امكانها لكنه لايتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الالهيه وجحود الصانع وهؤلاء وان كانوا يقرون بالصانع لكنهم إذا جاءهم من يدعوهم إلى عبادتة وطاعتة المتضمنه ترك طاعتهم فقد يعادونه كما عادى فرعون موسى فليس ينقصهم النموذج والقدوة الصالحه التى تترجم لهم معانى القران فالرسول صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران كما ورد فى الحديث لكن مافى نفوسهم من حسد لان الله اختار الرسول صلى الله عليه وسلم ليحمل الرساله الخاتم للناس قد اعمى بصيرتهم عن رؤيه القدوة الصالحه

فقد نظروا إليه بعين البغض والكراهية ولهذا حرموا الانتفاع بالعلم الواضح ولهذا أفسدوا فى الارض ولم ينظروا أنهم يعادون الله بهذا الحسد والكبر

٢

مما سبق يتضح أنه لاينتفع بنعمه العلم والايمان الا من عرف ربه وكماله وهمينته وكبرياءه وغناءه وإحسانه وفضله ورحمته وان الخير بيده وان كل شى ملكه ومن عرف نفسه بضعفها وافتقارها وجهلها ونقصها ووقف عند حدها وعند قدرها ولم يتجاوز إلى ماليس له ولم يتعد طوره لكن عندما يصاب العبد بالغرور والإعجاب بنفسه ويتجاوز حدها فإنه لاينتفع بما يسمع لانه يستمع وقلبه غير حاضر ونفسه مشحونه بالكبر فهم يرفضون السماع لكل ما يخالف اهوائهم نتيجة الشعور بكمال المعرفه فالمحل غير قابل للفهم وان استمع لما تقول فقلبه مصاب بالصمم عقاب له لانتفاء شرط الاصغاء فلو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم

فعدم الاستجابة منهم عائدا إلى أن نفوسهم معرضه عن الحق ومنصرفه إلى الباطل وغيبتة عن تعقل ما يقال له انه يستمع على وجه التكذيب ولهذا يخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن مهمتة ليس ارغامهم على سماع قبول وانما اقامة الحجة وقد أقيمت

فألايات لاينتفع بها الا من فتح عيونه وقلبه على المشاهد برغبه الفهم والانتفاع بالعلم بالشعور أن نفسه بحاجه لذلك يحتاج إلى قلب حى و واعى صالح لاستقبال انوار الله لأن النفس عندما تعتاد على الاثام ويتكون الران فإنه يحجبها عن رؤيه الحق وهؤلاء لم يقصد وا النظر لآيات الله بنظر البصيره بل ينظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم نظره احتقار لا وقار فهم لو نظروا له نظره وقار فإن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم هو القران فذلك كان سوف يجعلهم ينتفعون بآيات الله لكن الحسد دفعهم إلى كراهيه الرسول صلى الله عليه وسلم وولد فيهم العناد والإصرار على الكفر. ولهذا عقابهم الله بأن اقعدهم وثبطهم عن القبول بالحق والانتفاع به لأنهم ليس لديهم استعداد لقبوله

فقال تعالى (أن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

فهو سبحانه قد أوضح السبل وانزل الكتب وأرسل الرسل وازاح العلل ومكن لهم أسباب الهداية والطاعة بالاسماع والابصار والعقول وهذا عدله تعالى ووفق من شاء بمزيد عنايتة واراد أن يعينة ويوفقه وهذا من فضله وهو تعالى خذل من ليس بأهل لتوفيقة وفضله وخلى بينه وبين نفسه ولم يرد سبحانه من نفسه أن يوافقة فقطع عنه فضله ولم يقطع عنه عدله وهذا أما أن يكون جزاء منه للعبد على أعراضه عنه وإيثار عدوه فى الطاعه والموافقة عليه وتناسى ذكره وشكره ورفع نفسه فوق قدرها فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه أو لايشاء ذلك ابتدأ لما يعلم منه أنه لايعرف قدر نعمه الهداية ولايشكره عليه ولايثنى عليه بها ولايحبه فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله

الأمر السادس

أن مما يجب الوقوف عليه هو أنه تعالى قال (أن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

بعد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن أمر هداية الناس بيد الله وأنه ليس بمقدورة اى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم ينتفعون باستماعهم لآيات الله أو بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

حيث وان هذا التعقيب له دلالته للاتى :

المفهوم الاول

ترد الآيات ترد على من قال أن الله لم يخلق الشر ومن أنكر القدر

وترد الآية على من يزعم أنه مجبور ومقدر عليه ارتكاب المعاصى ويتعلل بقدر الله وكذلك من يقول إنه لا توجد حكمه بخلق الاشرار والشر ؟

ترد الآيات على من قال أن الله تعالى لم يخلق أعمال العباد ومن قال إنه تعالى لم يخلق الشر ولهذا بينت الآيات السابقه أن الله جعل لاهل الخير انصارا واهلا مثلما جعل لاهل الشر اهلا وانصار لكن هذا لاينفى عن المذنب المسؤوليه لان الله قد هدى الناس هداية عامه بما أودع فى الفطرة من محبه الله وبما أرسل الرسل وبهذا أقام على الناس الحجة فالهداية إلى الايمان احسان وفضل من الله تعالى

حيث انه بعد ذكر أنه لايهتدى الا من وفقة الله تعالى ومن لم يوافقه الله فإنه يضل وانه تعالى خالق الناس وخالق أعمالهم وخالق الجزاء لكن الحسنات من الله تعالى وإن السئيات إنما تكون بذنب العبد فقال تعالى (ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

فهو تعالى لم يقل انه لم يقدر عليهم ذلك ولم يخلق الشر بل ذكر للناس ما ينفعهم فأخبرهم ان تحصيل الذنب كعقوبه إنما يكون بفعل من الإنسان أما الخير فإنه يتم تحصيله بدون موجب له إلا توفيق الله وفضله ولذلك ختم بقوله (والله اعلم بالمفسدين)

لتفهم أنه خالق كل شى لحكمه ولهذا اوجد الفراعنه ليكونوا عبره للناس فيكون من خلال الاعتبار هداية الكثير من الناس وخير عام ولهذا أمرنا أن ندعوا الله أن لايجعلنا عبره لغيرنا فلا يمكن التسوية بين المحسن والمسئ ولا بين الصادق والكاذب ولا بين المجرم والمسلم

المفهوم الثانى

أن الآية تذكر أن هذا العذاب بسبب فعل العبد لانه لو لم يخبر بذلك فانه سوف يحصل من هذه التسوية التى تخرج المذنب عن محاسبة نفسه فلا يتوب ولايستغفر ومن ثم يحتج بالقضاء والقدر كما فعل ابليس عندما قال (فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

ومثل الذين قالوا يوم القيامه (لو أن الله هدانا لكنت من المتقين)

ومثل الذين قالوا (لوشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا من شى)

ولهذا يخبر الله العباد أن الله تعالى عادل فى حكمه فالسئيه لاتكون الا عن ذنب فمن احتج بالقدر على مافعله من ذنوبه بترك أمر الله من التوبه والاستغفار فقد خسر الدنيا والاخره

ولهذا يحذر الله من حجج ابليس وأتباعه التى يجعلون فيها الرب ظالم وهذا منافى لما وصف به نفسه فقال (وما ربك بظلام للعبيد)

كيف يكون ظالما وهم فيما بينهم لو أساء بعضهم لبعض أو قصر فى حقة فانه ياخذوه وينتقم منه ويكون ذلك عدلا بين المخلوقات فكيف لايكون عدلا بحق الخالق

ثم إن المعاملات فى الدنيا بين الناس بشأن حقوق الناس أن حق المخلوق لايجوز إسقاطه بحجه القضاء والقدر فكيف يكون إسقاط حق الخالق بمزاعم القضاء والقدر وهو تعالى لايظلم مثقال ذره أحد ولهذا أرشد المسلم إلى طريق السلامه وهو الاقتداء بالمؤمنين من ادم بأن منفعه النفس يكون بالتوبه والاستغفار عند ارتكاب الذنب أما من يتعلل بحجه القدر فهذا يظلم نفسه

المفهوم الثالث

تحذر الايه من الركون للنفس والسكون إليها لان ذلك من أسباب الهلاك فعليك أن تدرك أن الشر إنما ياتى من النفس فقال تعالى

(أن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

لان الطاعات تعنى أن تقبل على تنفيذ أمر الله بحب ورغبه وان تترك المعاصى برهبه وكراهية وبهذا يكون تزكية النفس و لان اصل الرغبه والرهبه من النفس فإن اختيار النفس لما هو أدنى وقبيح يعود إلى خستها ودناءتها وحقارتها فالنفس الشريفه لاتقبل الظلم ولاترضى به ومن هنا كان لابد من الاهتمام بالنفس والعناية بها وتنميتها وتزكينها فالنفس من لوزامها الحركه ولهذا فإذا لم تعلم ماينفعها فإنها تلحق الضرر بذاتها وكذلك هى بحاجه أن تريد ما ينفعها فتطلبه وتحبه وان تدفع مايضرها وتكراهه

ولهذا يسعى العبد إلى تزكيه نفسه يسعى إلى طلب العون من الله تعالى أن يوفقه ويرشده إلى الطريق المستقيم فيقول (إياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

فالعبد بحاجه الى هدايه الله فى كل شى يحتاج أن يجعله الله مريدا للعمل فلا يكفى مجرد العلم به ولهذا فإن هذا الدعاء من أفضل النعم التى أنعم الله بها على العبد

المجموعه السادسه

من الاية٤٥--٥٦ الايات فيها بيان سنه الله وعدله وعدم الظلم بمناسبه الحديث عن وظائف القران الكريم فى حياة الناس حيث بينت النصوص السابقه انه اضافه الى ماله من الوظائف الشرعية والتكليفات التعبيدية فهو وثيقة شرعية لعرض ماسارت الامم والشعوب فى الخير. والشر فقد اعتنى الاسلام بفقة المراحل وبتاريخ الشعوب شأنه شأن بقية الأديان ولذلك توجهت النصوص السابقة الى المسلمين بالنداء بالاهتمام بهذا العلم والنظر الواعى فى مكنونات كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم من خلال الربط العلمى بين الديانه والتاريخ والحضارات لمشاهدة مسار الحضارات واندثارها وأسباب ذلك وربط ذلك بمواقف الناس من الديانة فى ذلك الزمان وان يكون قياس ذلك باحوال أهل الخير والصلاح ومعاناتهم وكيف كانوا أضيق الناس حالا فى الدنيا وكيف كان حال المكذبين من الجاه والسلطان والقوه وكيف كانت العاقبة ليحصل من خلال هذه القراءة إعادة ترتيب المفاهيم وتجديدها بما يخدم المشروع الاسلامى فلا تتوقف فى منتصف الطريق مبينا أن ذلك يتطلب أن القراءه باسم الرب وان تكون القراءة واعية ولهذا توجهت الآيات السابقه للرسول صلى الله عليه وسلم يخبره الله فيها أن منهجية الدعوه الى الله ترتكز على عاملين أساسيين والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقصر فى القيام بهما وهما

/١

فقة الدعوة الكتاب والسنة بالسند المتصل ودليل ذلك فى فقه الدعوه هو قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن)

/٢

فقة الداعى النبوة اى الاخلاق النبوية الاستقامة ودليل فقة الداعى قولة تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) اى الاقتداء والاهتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا أخبر الله رسوله أن المشكله ليست لدية وانما تكمن فى انفس المخاطبين لان كل من يسمع اخبار الامم السابقة التى أخبر عنها القرآن والسنة النبوية الشريفة يجد الموعظه وفيها دحض الحجج الواهية التى يتشدق بها البعض لان ذلك معجزه بما فيها من أنباء الغيب اضافه الى معجزه نظم القران وأخباره فيها إقناع لعقل الإنسان وترشده على السنن التى تحكم الكون والإنسان والحياة وكذلك فإن دلاله المواقف التى مثلت سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بيان طريق الخير. لكن هؤلاء لم يستمعوا للمواعظ التى دعاهم إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى. (ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون)

وكذلك فهم مثلما حرموا من الانتفاع بالمواعظه التى جاء بها الوحى لم ينتفعوا بأخلاق النبوة لأنهم انصرفوا عن الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لايبصرون)

فأخبر أن الخلل يعود إلى أن قراءتهم للمواعظ لم تكون قراءه شرعية باسم الرب بل كانت تابعه للاهواء فلم تكن قراءه واعية بل كانت بعيده عن الواقع نتيجه غرابه التحليل والخلط الذى يصعب معه التميز الواعى لأنهم ينتقون المفاهيم ويقيمون بتسيسها لمصلحه الانحرافات الكافره وكذلك فإن الانتفاع بالقدوة الصالحه والنموذج إنما يحصل لمن احسن النظر والتأمل فى كمال التانى ولهذا يخبر الحق سبحانه وتعالى أن هؤلاء قد ظلموا أنفسهم فاستحقوا العذاب بذنوبهم فلم يتلاحقوا أنفسهم باخذ العظه والعبرة والاعتبار بما حل بالامم السابقة لو أنهم

تفكروا فى أحوالهم فى الخير والشر فالتزموا ماكان سببا للاتصال بحبل الكرامه والنجاه والسعاده والأمان واجتنبوا ما كان سببا للذل والهوان والضياع والتعاسه والهلاك بالعذاب وهذا هو الجزاء العدل للظالمين ولهذا تبين الآية أسباب استحقاقهم للعذاب

اولا

لأنهم لم ينظروا لمستقبلهم لم ينتبهوا للتحولات التى سوف تنتج عن خط السير الذى يسيرون فيه حتى تحدث المفاجأة الغير متوقعة بالهلاك والاستئصال فقال تعالى (ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين)

وهذا فيه

المفهوم الاول

بيان قبح الدنيا وخستها فهى سريعة الانقضاء والزوال مهما كان فيها من نعم فإنها تنقطع ولهذا تنقل الآيات السامع من واقع الهلاك للمكذبين إلىواقعهم وهم محشورون فى ساحه الحساب

الذى كانوا يكذبون وقوعه (ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم)

تدعوا الناس إلى تذكر الموت وما بعده من مشاهد الحشر والحساب والعقاب عليهم أن يستعرضوا مشاهد هذا اليوم واهواله ليكون ذلك واعظا لنفسه وحارسا لها من التعلق بالدنيا والشغف بها ولهذا فإن كلمة الحشر قادرة على أن تغرس فى نفس السامع الشعور بحقارة الدنيا فتحدث انقلابا فى نظرة العبد للدنيا ومافيها تودى إلى الزهد عنها بما ترسمه الآية من صورة متحركة للمشهد تترك اثار عميقة فيها تجعلها تنظر للدنيا أنها

لا تستحق كل هذا الاهتمام وهذا مايودى إلى التحرر من أسر الدنيا والشغف بها فتصور الآية ماكان فى الدنيا بين الناس من مودة ونعيم وعلاقات كأنها ساعه واحده من نهار دخلوا إليها وخرجوا منها كأنهم لم يقوموا بشى سوى التعارف فى تلك اللحظات العابرة كان تكوين علاقات بينهم لاجل حطام الدنيا الزائل لاجل هذا الحطام كان تأخير اللذة الاجله وعدم الاستعداد للقاء الله فأراد بهذا التصوير المتحرك الذى يجسد صورة الخساره أن يظهر الفارق بين الدنيا والاخره أراد أن تدرك حجم الخساره لتعرف أن الاخرة غاية عظيمه ينبغى عدم تفويت النفس لحظها لان فى ذلك تعاستها أو سعادتها

المفهوم الثانى

عليك أن تستغل الدنيا لاجل طاعه الله انتبه أن تنحرف عن مطلوبك الله والدار الآخرة لاجل إرضاء الأقارب والأصدقاء والأحبة فهذه العلاقات لاتنفع الإنسان يوم القيامة لانه لا انساب فيها فلا يسأل حميم حميما

والخسارة الحقيقية هى خسارة الإنسان لنفسه لانه ضيع عمره فى غير طاعه الله فالسعادة تكون بالاستعداد للقاء الله بالأعمال الصالحه من خلال الانتفاع بالمواعظ والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم حيث يكون الاهتداء للمستقبل الذى سوف تنعم به

المفهوم الثالث

معنى الساعه فى قوله تعالى (ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار)

ابتدات الايه بذكر يوم القيامه (ويوم يحشرهم) وتسمى ايضا ساعه لأنها اخر لحظة فى حياة البشرية وكذلك ورد فى الآية الساعه بمعنى الجزء الذى يعرف به الوقت (الا ساعة من النهار) فانواع القيامة ثلاثة

الكبرى : وهى بعث الناس للحساب والجزاء من قبورهم

الصغرى وهى خروج الروح من المرء ومفارقته الحياه

والقيامة الوسطى وهى التى يكون فيها الهرج والموت بالاباده الجماعية للناس اى عذاب الاستئصال قال القرطبي وقال علماؤنا اعلم أن كل ميت قد قامت قيامتة لكنها قيامة صغرى وكبرى والصغرى هى مايقوم كل انسان فى خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعية وحصولة على عمله أن كانت خير فخير وان كانت شرا فشرا والكبرى التى تعم جميع الناس وتاخذهم أخذه واحده وأما الوسطى فهى الموت الجماعى)

ولهذا نجد أن الآية تناقش جميع هذه المعانى فهى تتحدث عن

١

القيامة الكبرى بنقل مايحدث فى ساحة الحشر مع بيان حالهم فى الدنيا لترسم هلاك الحضارات المادية التى كان يجتمع حولها الجبابرة وأتباعهم والطغاه وكانوا ينظرون أنها سوف تحميهم من عذاب الله ولهذا تبين الآية حلول العذاب بهم وسقوط تلك الحضارات المادية واندثارهالأنها خالفت منهج الله فقد حصل لها الموت الجماعى والاستئصال وقامت قيامتهم وتفاجاوا بأنهم محشورون فى ساحه الحساب استعدادا لسوقهم إلى نار جهنم فهم اغتروا بقوتهم المادية ولم يستفيدوا من المواعظ والعبر حتى تفاجاوا بالحشر فكان الأصل أن يعرفوا الحكم الشرعى لما وراء القراءة للنصوص والأحداث فالبشرية مطلوب منها أن تسعى لما فيه سعادتها ومستقبلها عليها أن تدرك السنن الإلهية التى تحكم الحياة فقد جعل الله نهاية كل حضارة تخرج عن منهج الله هو العذاب

١

تهدف الآية أن تغرس فى النفس حقيقة أن الموت يطارد الإنسان

وان الأجل ياتى بغتة فى اى لحظه وان الدنيا انقضائها سريع فهى لاتساوى ساعه من نهار فأراد بهذا قصر الامل وايقاظهم من الغفلة التى توقع الكثيرون فى أسر الدنيا وعدم الاستعداد لليوم الآخر ولهذا تنقل الآية للسامع مشهد الناس فى ساحه الحشر لتحرير الإنسان من أسر الدنيا والشغف بها تذكره بحقيقة أن الموت يطارده وهذا يعنى أن لاتكون الدنيا محل اهتمامك بل هى مزرعه للاخره حينها يعرف الانسان نفسه أن مخلوق لعباده الله فيتخلص من الطمع والحسد يتحرر من أسر الدنيا ويجعل الموت نصب عينيه ومن كان هذا حاله فإنه يحصن نفسه من التعالى والكبر لن ينخدع بكثرة المال والجاه والسلطان لان مافى الدنيا زائل فأراد بهذا أن يغرس في النفوس قصر الامل وايقاظ الناس من غفلتهم بما يحدثة استحضار مشاهد يوم القيامة ومطاردة الموت الإنسان فيخبر الله عبادة أنهم مقهورون بالموت وان الدنيا زائله لاتستحق أن تكون هدف للحياه فهى مزرعة للاخرة حينها يتحرر الإنسان من أسر الدنيا ويحصن نفسه من الكبر والتعالى فلن ينخدع بمافى الدنيا من زينه التى ابتلى الله بها الإنسان التى سلاحها طول الامل والغفله والنجاه منها بقصر الامل واليقظه بالاستعداد للقاء الله فقد ورد فى

صحيح البخاري عن ابن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم خط خطأ مربعا

وخط خطأ فى الوسط خارجا منه وخط خططا صغار إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه وقال هذا الإنسان وهذا اجلة محيط به أو قد أحاط به وهذا الذى هو خارج أمله وهذا الخطوط الأعراض فإن أخطأ نهشه هذا وان اخطاه هذا نهشه هذا

فالمراد بالاعراض الآفات المعارضه له فإن يسلم من افه لم يسلم من عداه

وهذا دعوه أن يقصر العبد الامل وان يستعد للقاء الله بالأعمال الصالحة

ثانيا

تتوجة الآية إلى النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب (وأما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون)

لما كان المعلوم أن الرسول عندما يدعوا الناس إلى دين الله يضع بين أيديهم اصوال ثابته فيها بيان ما يلزم المكلف من التوحيد وماهو متعلق بالعقيدة والسلوك وهذه أمور ثابته تسمى اصوال الدين وانه عندما يبلغهم ذلك علية أن ينذر المكذبين بالعذاب والهلاك فى الدنيا والاخره أن هم رفضوا الايمان ويبشر المؤمنين بالنعيم والنصر والتمكين(فالوعد والوعيد)

وهذا الأصل الذى حمله كل الرسل يكشف للناس مجريات التحولات والعلامات والاشراط الكائنه بأمر الله إلى قيام الساعه

وكذلك تزديد الناس بمعلومات عن مايترتب على التحولات من نتائج مرتبطه بها فى حال الصحه والفساد وما يترتب على ذلك من إشارات ودلالات شرعية للتميز بين أحوال المؤمنين والكفار وموقعهم من السلامه فى الدنيا والاخره

وعلى المسلم أن يؤمن بوعيد الله فى اهلاك المكذبين وان يثق بوعد الله فى نصرة المؤمنين لكن علية أن يقوم بواجبه فلا يؤثر الترقب السلبى على القيام بأداء الواجب وتكاليف الشرع والجهاد انتظار لوقوع سنه الله فى اهلاك المكذبين ولهذا يتوجه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل داعية أن لايستعجل بانزال العذاب بالمكذبين وان لايستعجل بطلب النصر والتمكين فكل شى عند الله له وقت فكل شى يسير وفق اراده الله وتدبيره فالمرجع فى ذلك إلى الله تعالى فعلى الناس أن يعلموا أنهم عبيد لله تعالى فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره الله انه تعالى قد ينزل العذاب بالكفار قبل وفاته أو أنه يموت قبل أن يشاهد ذلك بعينيه فمهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ليس أن يحاسب الناس بل يبلغ أمر ربه أما أمر الحساب فهو لله تعالى فالجميع سوف يرجع الله وهو تعالى مطلع على أعمالهم ولايخفى عليه شى ولهذا ارسل الله الرسل وانزل الكتب ليبنوا للناس ما يجب عليهم فعله وما يجب عليهم تركه فقد جعل الله لكل امه من الامم رسول مبعوث فيهم يبلغهم مراد الله

الأمر الثانى

تبين الآيات أن لكل شىء سنن فلا يجوز تعطيلها والتوقف عن القيام بالواجب بحجه انتظار. مجى الوعيد باهلاك

المكذبين أعداء الدين أو انتظار الوعد بالنصر والتمكين كما حصل عند الشيعه الذين توقفوا عن القيام بواجب الدعوه انتظار لخروج المهدى فإن هذا أمر فيه انشغال عن الواجب فقال تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون)

تبين الآية الاتى

/١

أنه تعالى اقتضت إرادته ورحمته أن لايعذب الناس حتى يبعث رسولا يبلغ الناس أمر الله ومراده من العباد فهذه هى مهمه الرسول حيث يكون اقامه الحجه عليهم وعلى اساس ذلك جعل الله الجزاء بالعدل فمن اتبع الرسول واطاع الله دخل الجنه ومن عصى الله ورفض اتباع الرسول فمصيره إلى النار

٢

أن مهمه ا وكما قال جعفر الصادق في قوله لمن خاض في الكلام من القدرية(ان الله أراد بنا اشياء واراد منا اشياء فما اراده بنا أخفاه عنا وما اراده منا بينه لنا فما بالنا ننشغل بما اراده بنا عما اراده منا)

ثالثا

المبحث الأول

أن أول ما يفهم لنا من خلال الربط بين النصوص أن الآيات تبين

لنا اصوال الدين التي يجب أن نتعلمها وان نبنى بها البناء الديني الذي نشيدة حيث انه بامعان النظر في الايات نجد تضع المسلمين أمام المسؤولية الملقاة على عاتق هذه الامه أنها مسؤولية حمل الرسالة الخاتم وقيادة البشرية وهذه الأمانة التى حملتها هذه الامه مسؤولية يجب عليها أداءها والمحافظة عليها إلى يوم الشهادة التى يجمع الله فيها الرسل كما قال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم)

ولهذا أخبر الله المخاطبين أنه تعالى جعل لكل امه رسول فقال تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون)

هكذا كنت رسل الله ترسل للناس ولكل امه لاقامه الحجه عليهم وكان آخر هذه الامم هى امه الاسلام وقد شرفها الله برساله الاسلام التي جعلها الله عالمية فالقران كتاب للعالم أجمع والرسول صلى الله عليه وسلم رحمه للعالمين ولهذا فإن طاعه الرسول يكون فيها النجاه والسلامه والفوز والنجاح والفلاح وقد بينت الآية أن مهمه الرسول هو البلاغ والانذار يدعوهم الي معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له ولهذا انزل مع كل رسول منهج سلوك لتحقيق ما يدعوهم إليه فلابد أن يكون التوحيد هو المسؤول عن حياه الناس فى كافه المجالات وهذا المنهج يمثل نظام الحياة الذى يسلكه المسلمين أفرادا وجماعات ودول حيث يكون بناء الفرد والدوله على أساس هذا المنهج واصواله وأركانه الاسلام والإيمان والإحسان لكن معرفة هذه الاصوال وحدها لاتكفى لحصول البناء الديني المطلوب للفرد والجماعه والدوله فلابد من معرفة الامارات والدلالات التي تكشف للعبد مجريات التحولات فى المستقبل الي قيام الساعة والمتغيرات الحاصله فى الحياة ومعرفة قصه نشاه البشرية من ادم إلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها لأنها مفتاح القيام بالمهمة والاضطلاع بحمل الامانه فهذه المعرفة مع الاصوال الثالثة اساس مقومات حمل الامانه والنجاح بالقيام بالمهمه لابد أن يعرفها المسلم كما هو ثابت فى حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فأخبره ..ثم سأله عن الايمان .فرد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم سأله عن الاحسان ..فرد الرسول صلى الله عليه ثم سأله عن الساعة فقال الرسول ما المسؤول عنها باعلم من السائل ثم سأله عن اماراتها فقال أن ترى الحفاه العراه يتطاولون فى البنيان ...الخ ثم بعدما انصرف جبريل قال الرسول للناس. أتدرون من السائل فقالوا الله ورسوله أعلم قال هذا جبريل اتاكم يعلمكم اصوال دينكم)

فالبناء الدينى الشرعى يقوم على هذا الربط بين الاصوال الاربعه ولما كانت الاصوال الثلاثة الاولى ثابته لأنها متعلقه بالتكاليف التى يقوم بها العبد وكان الأصل الرابع متغير لأنها تكشف مجريات التحولات وفيها الدلالات والإشارات التى ترشد إلى النهاية والعواقب لتميز بين المومنين وبين الكافرين ونهاية كل فريق فقد كلف الله الرسول انذار الناس بالعذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة وتبشير المؤمنين بالنصر والتمكين فى الدنيا والفوز بالجنة فى الاخره (الوعد والوعيد)

وهذه المعرفة ضرورية للمسلم كما أوضحنا سابقا وكما سوف تبين لاحقا إلا أن مما يجب معرفته هنا هو الضوابط التي يجب أن يلتزم بها المسلم

/١

الإنتباه من تعطيل السنن والتوقف عن القيام بالواجب بحجه انتظار مجى الوعيد باهلاك المكذبين وانتظار وعد الله بالنصر والتمكين للمؤمنين كما حصل من الشيعة الذين توقفوا عن القيام بواجب الدعوه الى الله بحجة انتظار مجى المهدي المنتظر فإن هذا أمر فيه انشغال عن الواجب ولهذا قال تعالي. لنبيه (وأما أن نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون)

عليك أن تأخذ بالاسباب والقيام بالواجب فلا يؤثر الترقب والانتظار لوعد الله على أداء الواجب والتكاليف الشرعية انتظار لوقوع الوعد فيجب أن تبقى هذه الأمور فى دائرة التوقع بالإيمان باليقين بحصولها فهى أمور كونية قدرية واقعة لامحاله متى ما أراد الله ونحن لم نكلف بايجادها ولم نخاطب باستخراجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وانما ناخذ بالاسباب ونترك النتائج على الله فكل شئ من تدبيره سبحانه وتعالى

/٢

أن اللازم على كل داعية أن يتعلم حدود ومجال عمله وهو الدعوه لدين الله واقامه هذا الدين ببذل الجهد للقيام بالواجب ولهذا فعليه عدم استعجال قضاء الله وقدره مهما طال أمره فى الدعوه ومهما تعرض لاصناف العذاب فأنت ملزم بالقيام بالواجب ومتى أراد الله تحقيق وعده فسوف يحل ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى لنبيه (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون)

فقد اقتضت سنه الله أن لايعذب الناس حتى يبعث إليهم رسولا يبين لهم مراد الله ويحذر الكفار بالعذاب الشديد ويبشر المؤمنين بالنعيم والنصر والتمكين لاقامه الحجة على الناس لاجل أن يحاسب الناس على أعمالهم بالعدل فمن اتبع الرسول دخل الجنه ومن رفض الايمان فإن مصيرة إلى النار فهذه هى مهمه الرسول وليس انزال العذاب

بالمكذبين فهذا الأمر ليس من شأن الرسل وانما هو خاص به تعالى فالرسل عبيد لله تعالى. ولهذا ليس من شأن العبد أن يحاسب الناس على أعمالهم او أن ينزل بهم العذاب وبالتالى فإن اللازم على العبد أن ينفذ ما أمره الله تعالى وما أراد الله منه أن أراد النجاة فلا العبد لتحقيق وعد الله ووعيده فهذا شأن المكذبين الذين لا يؤمنون بآيات الله الا بعد أن يحل بهم العذاب ولهذا يذم الله الكفار الذين عندما حذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من عاقبة التكذيب والكفر واخبرهم أن ينظروا إلى حال الامم السابقه كيف أن الله أهلكهم بالعذاب عندما كذبوا الرسل فقالوا على سبيل الاستهزاء (ويقولون متي هذا الوعد إن كنتم صادقين)

انهم يطلبون استعجال العذاب ان يحل بهم كما حل بالامم السابقة التي كذبت الرسل ولهذا يرد الله عليهم

الأمر الأول

ابتدأت الآيات بتوجية الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم

(قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله)

لتفهم أن رحله الحياة محكومة بسنن وقوانين تنظم مسيرة الحياة وتحكم علاقاتها بما فى ذلك خضوع مسيرة النبوة لها

بل إن مسيرة النبوة وكيفية تعاملها مع الأزمات هي دليل السنن التي تحكم الحياه

فالسنن لاتحابي أحد حتى نحن المسلمين لانه تعالى جعل لكل شىء سببا لكن مما يجب الإنتباه له أن الاهتداء لقانون التعامل مع الأزمات يتطلب أمرين الأخذ بالأسس التي يكون بها اكتشاف السنن التي أودعها الله فى خلقه من خلال الملاحظة وقراءة المقدمات والنتائج مع تفعيل البعد الديني ولهذا اعتبرت مسيرة النبوة وكيفية تعاملها دليل السنن التى تحكم الحياة ليرى العبد من خلال تلك المصادر كيف جمعت بين الايمان والملاحظة باعتبارهما طريقين متلازمين للحقيقة لاينفك أحدهما عن الآخر

ولهذا ابتدأت الآية بقوله تعالي. (قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله)

يؤكد لنا أنه لايمكن الفصل بين الايمان والملاحظة فالإيمان باليقين بأن الله سوف يحقق وعده للمؤمنين بالنصر والتمكين ووعيدة باهلاك المكذبين واستئصالهم أمر يجب الثقة به باليقين الجازم بلا شك مع الاخذ بالاسباب التي أمر الله بها عباده للوصول الي النصر والتمكين من خلال الملاحظة وقراءة السنن وفهم هذه السنن واستعيابها واصطحاب بوصله ودليل الهداية لهذه السنن (معرفه الوحى) مع التوكل على الله

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أن المستقبل من الغيب الذي لايعلمه الا الله تعالى وحده لا شريك له ومن هنا يبرز أهمية ربط الاخذ بالاسباب والسنن بالإيمان بالله والتوكل علية فالمسلم ملزم بالاخذ بالاسباب والسنن أما تحقيق النتائج فهى تخضع لقدر الله تعالى ومشئيتة وهذا لا يعنى إهمال الاخذ بالأسباب والاكتفاء بانتظار الغيب الذى أخبر الله عنه فى القرآن أو ماجاء في السنه النبوية

فهذا تعطيل للسنن وانشغال عن الواجب وكما قال جعفر الصادق

(أن الله أراد بنا اشياء واراد منا اشياء فما اراده بنا أخفاه عنا وما اراده منا بينه لنا فما بالنا ننشغل بما اراده بنا عما اراده منا)

ولهذا ترد الآيات على من طلب استعجال انزال العذاب الذى حل بالامم السابقة بأن انزال العذاب بكم وتحقيق وعيد الله بالنصر والتمكين أمر ليس بيدى وانما هو بيد الله أن هذا الأمر لم اكلف باستخراجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فما اراده الله بنا أمر لايعلمه الا الله تعالى وانا مؤمن باليقين أن الله محقق وعده عندما يريد لكن الذى أمرت به هو الاخذ بالاسباب والسنن مع التوكل على الله تعالى ولهذا يقول تعالى بعدها (ولكل أمة أجل ... الخ

لتفهم أن كل ما قدمتة النبوة في مجال السنن من تجارب أو ما نقلته النصوص من اخبار الامم السابقةوما حل بهم من هلاك وكل المتغيرات التى تحدثت عنها في حياة البشرية سواء المتغيرات التصاعدية من البعثة النبوة إلى آدم عليه السلام أو المتغيرات اثناء البعثة أو المستقبلية التي تحدث عنها القرآن الكريم والسنة النبوية تدل على أهمية فهم السنن من خلال قراءة المقدمات لبناء الاستعداد والإعداد والتفكير بكيفية الحيلوله دون وقوع الأزمات بما في ذلك احاديث الفتن التى أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عن مسيرة الحياة والاحياء فى حقيقتها الا رؤى مستقبلية تطرح علينا السؤال الكبير دائما ماذا أعددنا لها وكيف نتعامل معها وكيف نبصر سبيل الخروج منها من خلال تنمية جوانب الخير والاستعانة بالله تعالى ودعاءه والتوكل علية والقبول باختيار الله تعالى

فلا يكون تعلق الخوف والرجاء على الأسباب بل على الله وحده لا شريك له فالمسلم ملزم بالاخذ بالاسباب أما تحقيق النتائج فهى تخضع لقدر الله تعالى ومشئيتة لان الله تعالى.بيده الأسباب الفاعله والمؤثره فقال تعالى

(قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله)

ابتدأت الآية ب(قل) أمر الهى لنبية أن يعلن على الملاء أنه بشر لايملك دفع الضرر عن نفسه ولاجلب النفع الا إذا شاء الله يقول لهم انى لا املك أن أدفع عن نفسى الضرر فكيف يملك انزال ذلك بالناس حتي لايتعلق الناس بالاسباب والسنن والمسببات يخبرهم أن نهاية الأسباب الي الله تعالى فهو تعالى وحده الذى يستقل بالتأثير فالاسباب الكونية لاتستقل بالتأثير وحدها وانما هي تنضم لبعضها البعض وجميعها تنتهي الي الله تعالى فالحول والقوة التي يرجى لاجلهما المخلوق ويخاف إنما هما لله وبيدة في الحقيقة فكيف يخاف ويرجى من لاحول ولا قوة

فلا يكون تعلق الخوف والرجاء الا بالله تعالى وحده ولهذا نجد الله يامر نبيه صلى الله عليه وسلم بحمايه التوحيد من خلال نفى قدرته على دفع الضرر عن نفسه أو جلب النفع وكما ورد في الحديث فيما رأوه الطبراني بإسناده أنه كان منافق في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنه لايستغاث بي وانما بستغاث بالله)

فالنص يبين انه لايستغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا بمن دونه كره علية الصلاه والسلام أن يستعمل هذا اللفظ فى حقه وان كان مما يقدر عليه في حياته حمايه لجناب التوحيد وسدا لذرائع الشرك وادبا وتواضعا لربه وتحذيرا للامه من وسائل الشرك فى الأقوال والافعال فإذا كان هذا في حياتة فكيف يجوز أن بستغاث به بعد وفاته ويطلب منه أمورا لايقدر عليها إلا الله وحده لا شريك له

الأمر الثالث

أن الرؤية الإسلامية تقوم على فكرة الاخذ بالاسباب مع تعليق الخوف والرجاء بالله وحده لا بالاسباب والسنن ولهذا يقول تعالى

(لكل امة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون)

أن الأمم لها أجل مثل الإنسان مقدر عند الله يكون بعدها موت الأمم سواء بالاستئصال بالعذاب أو بتسلط الاخرين عليها وهذا يخضع لأمر الله وعلمه فهذه هى سنه الله أنه تعالى جعل للحضارات اعمار محدده لاتقدم عن وقتها ساعه ولا تتأخر ساعه وولهذا حرص الإسلام على أن يكون البناء الشرعى لامه الاسلام قائما على الربط بين اصوال الدين الثابته الاسلام والايمان والإحسان مع الأصل المتغير معرفه السنن والنواميس معرفه الامارات والدلالات والإشارات التى ترشد الي إلى المتغيرات الطارئة على الحياة فما قدمته النبوة في مجال السنن التى تتحدث عن المتغيرات فى تاريخ البشرية من البعثه حتى ادم عليه السلام ومانقلته عن المتغيرات المستقبلية إلى قيام الساعه وحتى احاديث الفتن التى أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عن مسيرة الحياة والاحياء فى حقيقتها الا رؤى مستقبلية تطرح علينا السؤال الكبير دائما ماذا أعددنا لها وكيف نتعامل معها وكيف نبصر سبيل الخروج من الأزمات حتى لانقع فيما وقع فيه السابقون ويبرز أهمية هذا الربط عند الأزمات والانكسار حيث يحصل النقض والخداع والانحراف وما شابه ذلك فالمتامل للبناء الدينى عبر التاريخ يجد أن الأمم تبدأ موحده وتصل الحضاره إلى الكمال ثم يكون الانحدار والانكسار والنقصان دون أن يشعر أهلها بذلك حتى تنتهى حياتهم إلى الشرك وسقوط حضارتهم اذا لم ينتبهوا للاشارات التى تسبق هذا السقوط ومن هنا تبرز اهميه معرفه علم السنن والإمارات والدلالات والإشارات التى تعد مؤشرات تنتهى إلى نتائج كارثية على الحضارة وعلى التدين فغياب المنهج السننى يعنى التخبط والضياع والهلاك وفقدان الفاعليه كما هو حالنا اليوم أننا امة اعدادها ثلاثه مليار لكن لاوزن لنا لأننا اصبحنا أمة ميته نتيجه فقدان العقيده دورها وفاعليتها وتأثيرها لانعرف كيف نسترد فاعليتنا ومن هنا تبرز أهمية هذا المنهج لانه يرشد العبد إلى مواطن الخلل والأزمات ويرشد إلى أسبابها وكيفيه التعامل معها

لان الأزمات يسبقها إشارات نتيجه وجود نسق منتظم بين الاصوال الثلاثه الثابته (الاسلام والايمان والإحسان) التى يتم بناء المسلم وحضارته ودولته على اساسها وبين المتغيرات علم الامارات والدلالات والإشارات والسنن لما بينهم من علاقه تكامليه تبادلية فى وحده متكامله حيث أن فهم الناس الخاطى للعقيده بأنها تعنى التصديق بوجود الله فقط دون أن يكون لهذا الايمان أثرا فى واقع الحياه يدل على حقيقة الشعور والإحساس بوجود الله وكذلك فهم الناس ان الاسلام يعنى بقاء الناس فى المسجد وان لايتدخل الاسلام فى شؤون الحياه فأن هذا الاعتقاد والسلوك ينذر بوجود خطر حقيقي يهدد كيان الامه وموتها بفقدان فاعليتها لان سنه الله هو هلاك الامم والحضارات التى تخرج عن منهج الله أن الأمر ينذر بازمه وكارثه سوف تحل إذا لم يتم إصلاح الخلل ولهذا لابد من وجود إشارات تسبق الازمه يخوف الله عباده من انحرافهم لعلهم يرجعون عما هم فيه من سلوك يودى إلى الازمه فإذا كان التقاط هذه الإشارات بالمبادرة إلى إصلاح الخلل حصل النجاه

فالمسلم يجب عليه أن يلتقط الإشارات التى فيها الامارات والدلالات داله على الأزمات لإصلاح الخلل قبل وقوعه وان يحسن قراءه الأحداث فعلى المسلم أن يكون قادرا على التعامل مع الاحداث من خلال فقة التحولات فهذا علم ضابط لمواقف الرجوله أمام الأحداث والتحولات من خلال استصحاب معرفه الوحى والتحليل الصحيح

دون القفز على أسباب الأزمات أو التعامل معها من خلال التدليل عليها من تاريخ البشرية علينا استقرا الأحداث وتقدير النتائج والعواقب من خلال قراءة المقدمات والنتائج لبناء الاستعداد والإعداد والتفكير بكيفية الحيلوله دون وقوع الأزمات مع تفعيل البعد الديني باعتبارهما طريقين متلازمين للحقيقة لاينفك أحدهما عن الآخر لان غياب المنهج السننى عن العقل اوضياع البوصله التى توجه العقل (معرفه الوحى) يوقع المرء فى التية التى يكون نمى صور التدين المغشوش وهذا ما يودى إلى المروق من الدين أو الانسحاب من الدنيا وهذا يقود إلى العجز فى إدارة الازمه والمساهمة بخبال الامم فتقع في مصيدة التموية والخداع الذي يهدف إلي تطويع الدين والقيم للمصالح الشخصية ولصالح المستبدين ومن ثم تصبح تلك الأمم قابلة لتكون وعاء للخرافة تكون قابلة للظلم والخنوع ويصبح التوحيد مجرد شعار لايمارس عمله فى الحياة وهذا ينذر بالسقوط لان خروجها عن منهج الله يعنى الموت لهذه الامه ولهذا فإن الامه بحاجة لهذه المعرفه للقيام بدورها في النهوض والبناء الحضاري فالتعرف للسنن التي تحكم مسيرة الحياة من أخص خصائص تكليف الإنسان للقيام باعباء الاستخلاف وبناء العمران ذلك أن فقهها هو السبيل للوصول إلي مرحلة متقدمة للتعامل مع الحياة والفرار من قدر الله الي قدر الله أو مغالبة قدر بقدر ولهذا يقول تعالى (قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله) فأين المفر من قدر الله أنه بالفرار إلى قدر الله ومعرفه الوحى هي التي أبانت عن السنن

التي تحكم الحياة والتي يجب استعيابها لنكون قادرين على التعامل مع متغيرات الحياة والتي منها أن الطغاة مصيرهم الهلاك وقد دللت معرفة الوحي على هذه السنن واستشهدت بنماذج من التاريخ وطلبت من المؤمنين متابعة السير في الأرض والرحلة في الماضي وجعلت إدراكها وحسن تسخيرها هو جدلية الحياة والقدرة علي بناء الاستخلاف والعمران وفق منهج الله الذي يعني شرع السنن والاقدار والانضباط فقال تعالى (لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم

يخبرهم أن كل امه أو حضارة لها امد مقدر لقوتها في الأرض واستخلافها مرسوم ومحدد فلا تغتروا بهذه الامتداد في لانه إذا حل الأجل فلابد من هلاك تلك الأمة فهذه سنه الله

يدعوهم الي اليقظه من غفلتهم ويطلب منهم متابعة السير في الأرض والرحلة في الماضي ليدركوا أن للحياة سنن تحكمها فلا تغتروا بامتداد الحياة وبالقوة فالامم لها أجل محدد مضروب ومقدر لقوتها فى الارض واستخلافها إذا حل هذا الأجل فإنها لابد أن تهلك فهذه سنه الله في الاستخلاف التي ينبغي ادراكها وحسن تسخيرها وهذا هو جدلية الحياة والقدرة على بناء الاستخلاف وفق منهج الذي يعني شرع الله والسنن والاقدار والانضباط من خلال مايقدم لك من نماذج يكون الاعتبار بعاقبة المخالفين لتخذ الحيطة والحذر ولتعالج الأسباب التي تكون سببا للازمه بشكل استباقي للحيلولة دون حدوث الازمه فهذا هو الغرض من عرض النماذج التي تحكي نهاية المكذبين للرسل اي لاجل أخذ العبره بما حل بهم من عذاب لا أن تستعجلوا العذاب

فقال تعالى. (قل أرأيتم أن اتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون)

لأنهم لم ينظروا إليها بجدية بل نظروا إليه باستهزاء كما أخبرنا الله تعالى سابقا بأنهم قالوا (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)

لهذا نجد الآية تلامس وجدانهم المستهزى المتحدى الى موقف يهددهم فى كل لحظه بهذا القدر الذى هو من أمر الغيب فيقول لهم ما الذى تقدرون على فعله إذا حل العذاب بكم سواء بالليل أثناء النوم والراحة او حل بكم أثناء

الصحو والنهار وانتم فى يقظه فماذا سوف تفعلون فانتم عاجزون من دفعه ؟

وبالتالى فإن استعجالهم للعذاب يدل على غفلتهم وحماقتهم واجرامهم لانه شر محض لهم وليس فيه بشارة لهم بل عذاب لهم وبالتالى فإن موقفهم هذا قبيح لا يصدر إلا عن مجرم مكذب بيوم الحساب فعليك ايه المسلم أن تكون جديا وان تؤمن باليقين بيوم الحساب لتحذر هذا العقاب بالمسارعه إلى طاعه الله فالإيمان إنما يكون فى الدنيا لان اليوم الآخر ووعد الله ووعيده من أمور الغيب فاذا حل العذاب وحصل البعث والنشور فلا ايمان بعد ذلك فقال تعالى(إثم اذا ما وقع امنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون)

ينقلهم الى مشهد العذاب يخاطبهم كأنما العذاب قد وقع فعلا بهم ويقول لهم موبخا أن ايمانكم بالوعيد بعد وقوع العذاب لاينفعكم لانه قد أصبح واقعا وخرج من حال الغيب إلى عالم الشهادة فانتم فى دار الجزاء فاستخدام الان للتوبيخ كما قال تعالى عن إيمان فرعون بعد حلول العذاب (الان وقد عصيت من قبل)

ويقول لهؤلاء الان تدعون الايمان وقد كنتم تستعجلون به من قبل على سبيل السخرية والاستهزاء فاليوم انتم فى دار الجزاء على ماقدمت ايديكم فى الدنيا فقال تعالى (ثم قيل للذين ظلموا ذواقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون)

المبحث الثاني

تستمر الآيات باستعراض محاورة النبى صلى الله عليه وسلم للمشركين فيما يدعوهم إليه من الايمان باليوم الاخر يجادلهم بالتى هي أحسن بأسلوب يرسم للداعية أهمية أسلوب الحوار وتفنيد الحجج الواهية التي يثيرها المخاطبين لإقامة الحجة عليهم فالمشركين كانوا قد طلبوا استعجال العذاب لأنهم استبطاوا مجئية فارشد الله نبيه عليه الصلاة والسلام الي كيفيه الرد على ذلك وهنا تنتقل الايه الكريمه الي استعراض رده فعل هؤلاء فقال تعالى (ويستنبئونك أحق هو)

الأمر الأول

أن أول ما يشد الإنتباه ونحن نسمع هذه الايه التي ابتدأت بذكر

استنباء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الاستنباء يعنى طلب الاخبار العامه (ويستنبئونك أحق هو)

والسؤال هنا هل استنباء القوم للرسول صلى الله عليه وسلم عن تحقيق الوعد بالعذاب كان عن ترجع منهم عن موقفهم مثلا بحيث يمكن القول إن ماذكرتة الآيات السابقة قد أحدثت في نفوسهم زلزله جعلتهم يتوجهون بهذه الأسئلة فهم يريدون أن يستوثقوا فهنالك ريب وشك فى أنفسهم ؟

انه بالوقوف علي الايه نفهم أنه لم يحصل منهم أي تراجع وانما السؤال منهم على سبيل التهكم والاستهزاء أي انهم يطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم الإجابة عن حقيقة العذاب الذى يتوعدهم به هل هو حقيقه ام مجرد ارهاب وتخويف لهم

واستخدام النصوص هذا الأسلوب في الحكاية عن سلوك المشركين لبيان الاتى

المفهوم الاول

أن انخلاع الإحساس والشعور بالمسؤولية عن الإنسان يجعله يتعامل مع الأمور والأشياء والاخبار العظيمة الهامه بنوع من السخرية والاستهزاء ولهذا ابتدأت الآية بهذه الجملة لبيان انهم عديمى المسؤولية لأنهم لا يدركون قيمة أنفسهم والغاية من وجودهم ولهذا فهم يطلبون من الرسول على سبيل التكهم والاستهزاء أن يخبرهم عن العذاب الذى يتوعدهم به اهو واقع بهم على سبيل الحقيقة ام هو غير واقع وانما يحدثهم عنه على سبيل الإرهاب والتخويف فقالوا اصحيح حشر الأجساد بعد الموت والبعث والنشور والحساب والعقاب والجزء على الأعمال

المفهوم الثاني

تبين الآية ان المشركين لايجادلون من أجل معرفة الحقيقة بل يجادلون من أجل إظهار قوة الجدل ولهذا يصعب إقناعهم بالحق والاداله فهم واقعون في ظلمات العناد ولايجدون المخرج من النفق المظلم الذي دخلوا فيه فتارة يستبطون نزول العذاب وتارة يتظاهرون في صورة المستفهم الطالب للنباء فيسأل احق هو ...استفهام انكارى مشوب بالاستهزاء لأنهم يعتبرون العوده للحياه بعد الموت واختلاط الأجزاء بالتراب أمر مستحيل وليس انهم يطلبون الاجابه لاجل التبين والاسترشاد

الأمر الثاني

مما سبق يتضح أن سؤالهم كان على سبيل الاستهزاء والسخرية والإنكار لأنهم كانوا ينظرون للبعث بعد الموت وعودة الاجسام أنه أمر مستحيل ولهذا ياتى الجواب الذي يرشد الله به نبيه أن يرد عليهم

(قل اي وربى أنه لحق وما أنتم بمعجزين)

فيه ارشاد من الله تعالى لنبية عليه الصلاة والسلام الي الجواب الذي يرد به عليهم فقال تعالى (قل) واتبعها بالقسم اي وربى بمعنى نعم وربى الذي يملك كل ومتولى أمور الخلائق كلها بأن العذاب واقع بكم لامحاله إن لم تستجيبوا وهذا فيه تنبيه بان الى ترك العناد والانتباه إلى الاخبار محل النباء فهي اخبار هامه وكان يفترض بسؤالهم أن يكون سؤال استرشاد ولهذا جاء بالموكدات اي وربى أنه لحق)

واقع لامحاله وأنكم لن تفلتوا من العقاب فانتم فى قبضه الله وسلطانه وملكه وسوف يحاسبكم على افعالكم ولن تستطيعوا الإفلات من العقاب فعليكم الإنتباه ولهذا جاء بحرف الإنتباه ما فى قوله (وما أنتم بمعجزين)

جمله مستنافه مسوقة لبيان عدم خلوصهم من عذاب الله باى وجه من الوجوه

الأمر الثالث

تنتقل الآيات من مشهد الحكاية عن جدل الكفار وهم في الدنيا الي مشهد يصور حال الناس في ساحه الحشر وما فيه من حساب وعقاب وثواب وجزاء وجنه ونار فقال تعالى

وبالوقوف على الآية نجد الآتي

المفهوم الاول

تبين الآية أهمية استخدام أسلوب الحوار للداعية أثناء الدعوة وهذا يتطلب إلمام بحال وشبهات المكذبين لان الحوار يعتمد على تقديم إجابة لاسئله يفترض أن المخاطب تجول فى خاطرة مثل هذه من الاسئلة الافتراضية والتي تحتاج إلي رد شافي لازاحتها ولهذا ابتدأت الآية بسؤال افتراضي فقال تعالى (ولو أن لكل نفس ظلمت مافى الأرض لافتدت به)

لان لو هنا امتناعية اي امتنع افتداء كل نفس ظالمة لامتناع ملكها لما تفتدى به نفسها ومضمون الآية لو افترضنا أن لكل نفس كفرت واشركت وارتكبت المحرمات ما فى الارض من ذهب وفضه ومتاع الدنيا كلها وقدمت ذلك لاجل أن تفتدى نفسها من العذاب فإنه لن يقبل منها الفديه بدل العذاب

المفهوم الثانى

تهدف أن يشعر السامع بالمسؤولية عن أفعاله وأنه لابد من الحساب والعقاب والثواب والجزاء ولهذا كان استخدام هذا

الأسلوب الذي يقدم السؤال والاجابه عنه يجذب انتباه السامع للموعظه التى تأتي من خلاله لاجل أن تتخلص النفس من أسر الدنيا والشغف بها ولهذا يخبرهم الله أن حساب الله لعباده قائم على العدل فلا ينقذ الإنسان من العذاب إلا أن ياتى الله بقلب سليم فلا ينفعك المال والجاه والسلطان ومافى الدنيا من أموال فهي لاتدفع عنك العذاب يوم القيامه

المفهوم الثالث

تبين الآية أن النجاه والسلامه هي بطاعته تعالى فالاعمال الصالحه هي الرصيد الحقيقى للعبد الذي يدفع عنه العذاب أما الذين انشغلوا بالاموال والجاه والسلطان في الدنيا عن طاعه الله فإن هذه الأموال التي شغلتهم عن طاعه الله لن تنفعهم يوم القيامة فمن لم يراقب نفسه ويصلح حاله وهو فى الدنيا فإنه هالك ولن ينفعه المال ولهذا نجد الآية تنتقل من مشهد الحكاية عن عدم قبول الفدية عن المعاصى الي مشهد يرسم حال من لم يستعد لهذا اليوم من لم يستعمل ما رزقه الله من نعم في طاعه الله فقال تعالى (واسروا الندامة لما راوا العذاب)

أن اخفاء الندم عندما يشاهد الإنسان عقاب ينتظره أمر طبيعي أن تتالم نفس الانسان وهو يراجع اعماله فيقول كان بمقدوري تلافي هذا المصير لو انى فعلت كذا وكذا لكن الأوان قد فات ولهذا يقول تعالى فى موضع (قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت)

فالندم هو نوع من الالام ينتاب صاحبه يتحسر فيه على نفسه وهو يشاهد العذاب الذي أعده الله للعصاه مشاهده اليقين بعد أن كان ينكر حصوله في الدنيا حينها فالاعمال هي رصيد الإنسان وهذا اليوم يوم جزاء لاينفع فيه ايمان المكذبين عند مشاهدة العذاب فالإيمان إنما يكون في الدنيا فعليكم أن تتدركوا انفسكم وانتم في الدنيا قبل أن تجدوا انفسكم في ساحه الحشر للحساب والعقاب حينها سوف تحاسبون على اعمالكم فهو يوم جزاء يقضى الله فيه بين عباده بالعدل التام فقال تعالى (وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون)

المجموعه السابعه

هذه المجموعه نجد فيها الدين فى موقف الدفاع المشحون بالمعانى الكثيرة القادرة على إظهار حاجة البشرية

لارسال الرسل وانزال الكتب كما يتضح من خلال الاتى

اولا

ابتدأت الآية بعرض الحقائق الدينية على العقل الإنسانى فى هذا الكون الداله على كمال قدرتة سبحانه وتعالى وسعه علمه ورحمته وحكمته فقال تعالى (إلا أن لله مافي السماوات والأرض إلا أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون)

الأمر الأول

أن أول ما يلفت الإنتباه هو أن الدفاع عن حقائق الدين من توحيد الله وحده لا شريك له فى الالوهيه والربوبية والعبودية وكذلك مايدعوهم إليه من الايمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب التي كان الكفار ينكرونها اابلبعث والنشور والحساب والعقاب بقولهم أنه يستحيل اعاده الأجساد بعد الموت وان لافائده من البعث والنشور نجد أن دفاع الدين عن هذه الحقائق

انطلق من خلال عرض الحقائق على عقل الإنسان الذي يدعوه الى تأمل وتدبر الآيات الكونية فهي ترشد الإنسان الي ماينكره إذا خرج من حاله الغفله واستيقظ ولهذا ابتدأ الدفاع بحرف التنبية (الا) يريد من السامع الإنتباه لما سيقول له وهذا يدل على الثقة بالانسان وعقل الإنسان إذا تأمل وتدبر في ما يعرض عليه من حقائق فأخبرهم ان كل شى فى السماوات من كواكب ونجوم وشموس واقمار ومخلوقات وكل شىء فيها ملك لله تعالى وحده لا شريك له وكل شىء فى الارض من بحار وأشجار وجبال وأنهار وكائنات ومخلوقات كلها ملك لله تعالى بما فيها تلك الأصنام التى يعبدوها المشركون ويعتقدون أن لها تملك النفع والضرر ولهذا يعرض عليهم هذه الحقائق بأن كل مافى الكون ملك لله خلقا وايجادا وتدبرا وتصرفا ولاشى لأحد سواه وقد قدم خبر أن وهو (لله) للاهتمام بلفظ الجلالة ولنفى اعتقاد المشركين بأن الأصنام لها شراكه مع الله ولها التصرف فكل شى ملك الله يتصرف فيه كما يشاء فهو تعالى لايسال عما يفعل وهم يسألون فكل شى فى هذا الكون ملك لله ولايملك أحد معه شى لا فى الخلق ولا التصرف ولا الحساب لان المشركون كانوا

ويعتقدون ان الأصنام تشفع لهم فقالوا (مانعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى) وهو تعالى قد أخبر الناس فى الآية السابقه انه لو لهم ما فى الارض من ذهب وفضه واردوا أن يفتدوا من عذاب الله لايملكون ذلك لأن ذلك ممتنع يوم القيامة وهنا يخبرهم ان مافى الأرض من أشياء ومخلوقات ومافى السماوات كلها ملك الله تعالى وهو يتصرف فيها كيف يشاء ويبين لهم أن ما اعتقدوه من أن الأصنام تنفع علىتقدير حصول ذلك بعد الموت يبين لهم الحق ان الجميع عبيد لله تعالى ولايملكون شى معه

فكل شى ملك له ايجاد وتصرفا وتدبير والأسباب بيده والوقائع بيده والنتائج بيده

الأمر الثانى

يكرر الافتتاح للجمله التالية باداه التنبية (الا) يطلب حضور العقل فيدعوه إلى تأمل هذا الكون الفسيح بما فيه الإنسان من الذى اوجدهم أليس الله هو خالقهم وبالتالى فإن الخالق له الأمر فهو تعالى مالك كل شى والمخلوقات كلها ملك لله تعالى ولهذا فهو تعالى محال أن يترك الناس اشتاتا تتنازع السيطرة على اشلائه الالهه والارباب ولهذا أرسل الرسل وانزل الكتب لهداية الناس إلى الطريق المستقيم لينسجم فى حركته مع الكون فجعل الله الدين

موافقا لسنن الكون وفطرة الإنسان فالكون فى حركه احداث فلكية وتغيرات جيولوجية والإنسان فى حركه تطورات بيولوجية وسيلكوجية فرديه واجتماعية فكل شى متحرك لكن الكون مجبر فى حركته لايملك الخروج عن المسار الذى يتحرك فيه أما الإنسان فقد جعل الله له خصائص العقل والحرية فله حرية الاختيار و الله لايتعامل مع هذا المخلوق (الإنسان)بالجبر ولو على الخير فهو تعالى يقدس حريتهم ويقرر مسئوليتهم فلا يفرض الايمان على النفس ولايمحو الكفر من الوجود أنه لاينصر الدين بالخوراق ولايفنى اعداءه بالمعجزات أنه يترك النواميس تعمل عملها فى الفرد والمجموع وانما منح الإنسان بكل قواه وطاقاته ونوزاعه عقيده شاملة كاملة كلية تجعله يراقب الله فى اتصاله بالناس ويلتمس الاخره فى طلب الدنيا فجعل الجزاء على الأعمال هى المترتبه على المسؤولية التى قررها بناء على منحهم حرية الاختيار ولهذا يقول تعالى (إلا أن وعد الله حق)

اى واقع لامحاله ما وعد به من العذاب أو البعث والنشور والحساب والعقاب والثواب والجزاء فالله الذى اوجد الناس سوف يحكم فيهم بحكمه القدرى والدينى وبحكمه الجزائى على أعمالهم فلابد من وقوع ما وعد به سواء العذاب الذى قالوا (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) والذي أخبر الله عنه (يستنبئونك أحق هو)

ولهذا كرر التنبيه لتميزها عن سابقتها لأنها مقصوده بذاتهالان المشركين كانوا يظنون أن ما وعدهم الله به بواسطه رسوله إنما هو من باب الترغيب والترهيب وليس من الحقائق الثابته ولهذا جاء التأكيد أنه تعالى. سوف يحقق وعده وان عدم إيمانهم لن يلغى نزول العذاب بهم فهذه هى سنه الله ولن تجد لسنه تبديلا

لان من يملك مافى السماوات والأرض يملك أن يجعل وعده حقيقه واقعه فلا يعجزه شى

الأمر الثالث

تبين الآية أن غفله البعض عن رؤية الحقائق فى الحياة والداله على كمال قدرة الله وسعه علمه ورحمته وحكمته وعلى البعث والنشور والحساب والعقاب يعود إلى غفلتهم وعدم احاطتهم علما بحقيقة هذه الحياة ونهايتها فقال تعالى (ولكن أكثرهم لايعلمون

هو يحى ويميت واليه ترجعون يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وهذا فيه

المفهوم الاول

تبين الآية أن أغلب الناس فى ضلال وجهل نتيجة التقليد والتأثر بالبيئة التى يعيش فيها الإنسان ولهذا عليك عند اتخاذ القرارات فى المواقف المختلفه أن تنظر إلى الحق اين موقعه فى هذا الموقف غير مقبول منك أن تقول أنا مثل الناس انظر الى ماهم عليه هل هم على صواب ام خطاء فلايهم أن تخالفهم أن كانوا على خطاء انتبه من التقليد او أن تنزل تحت راي الأغلبية لان الله يقول (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله أن يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون)

فاللازم أن تعرف أين الحق من خلال العلم الصحيح الذى يرشدك إلى اليقين الجازم أما اتباع الاغلبيه فإنه يقوم على التقليد وهذا يصيب صاحبه بالعمى ويغفل عن الاستعداد لمستقبله الحقيقي ولايستعد للقاء الله وهذا إنما يصدر من غافل ومن خبيث النفس واحمق ترك ما ينفعه واقبل على مايضره

المفهوم الثانى

أن العلم الحقيقي هو العلم النافع الذى يعين صاحبه على الاستعداد للقاء الله فقال تعالى (ولكن أكثرهم لايعلمون) استدراك لأنهم لم يستجيبوا لما فيه منفعتهم

فالعلم النافع أن تعرف الحقيقة كامله فأنت إذا ارادت عمل بناء مسلح وعرفت كمية النيس والاسمنت التى تقوم بوضعها فى الات الصبه واغفلت معرفة كمية الحديد التى يجب أن توضع فى البناء حتى يتم صب المواد عليها فان هذا الأمر يجعل من علمك منقوص لاقيمه له وكذلك حال اغلب الناس أنهم كما وصفهم الله فى سورة الروم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون)

فالاية لم تنفى عن الكفار العلم لكن علمهم انحصر فى شطر من الحقيقة أنه العلم بالماده بالظاهر من الحياة الدنيا اى المشهود الذى يدركه الحس والتجربة

المفهوم الثالث

أن عدم انتفاع الكثيرون من العلم يعود إلى النظره الماديه للأشياء على اعتبار أنها غايات نهائية وحقائق وهذه النظرية الفاسدة تقوم على فكرة أن الحقيقة منحصرة بالمادة المحسوسه كما زعم هيجل بأن ماهو عقلى حقيقى وماهو حقيقي عقلى وأصحاب هذه الفكرة يجعل تفسير للأشياء قائما على فكرة تنحية الله عن ذلك وهذا الأمر يتعارض مع الواقع الذى يعيشه الإنسان لان ميزان الحياة تقوم على فكره الايمان بان الله مهيمن على كل شى

المفهوم الرابع

أن المنهج الربانى هو المنهج القادر إجابة اسئله النفس واشواقها وإقناع العقل وتحقيق الاطمئنان والقضاء على الاضطراب والقلق لانه يزود الإنسان بالعلم الذى يرى الحقيقة كامله للأشياء فهو يكمل النقص فى نظره وتفسير الإنسان للأشياء حيث أن الانسان مخلوق من روح وجسد ولهذا عندما ينظر للأشياء لابد أن تتجاوز نظرته لها من الماده الى ماوراء ذلك اى خالق الماده

فالانسان مخلوق على الفطرة يجد الإنسان نفسه منجدب للغيب كما يجذب المغناطيس الحديد فالنفس فيها نزعه التدين والواقع وسجل التاريخ ملى بالامثله المبينه اتجاه الإنسان فى البحث عن محبوبه الغائب ومعبوده ولهذا نجد من لديه شهادة عاليه ماجستير وبرفسور فى شتى العلوم يبحث عن معبوده فتراه يعبد بقره فهذا منفى عنه العلم لانه لم يسعى لطلب العلم النافع

لانه قام بملء الفراغ الروحى بما يخالف الفطرة فالانسان إذا فقد الوعى بالله ولم يعرفه ولم يعرف الغاية من وجوده فإنه يكون ميت لان الحياة الروحية إنما تكون بمعرفه الله تعالى

ولهذا انزل الكتب السماويه التى فيها حياة الناس فيها الكمال للنقص الذى يشعر فيه الإنسان فى غياب الدين الربانى ولهذا يقول تعالى فى موضع آخر . (استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

وهنا يقول تعالى (وهو يحي ويميت واليه ترجعون)

المفهوم الخامس

أن الدين أودع الله فيه الحياة للإنسان والحضارات مثلما أودع الله سر الحياة فى البيضه والنواه كما قال تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي) لتتولد لها أعضاءها واجزاءها ووظائفها ثم لاتلبث أن تترك وراءها سر الحياة فى حلقه جديده من سلسله الاحياء وكما يتسع امتداد الخلق والحياة فى الزمان والمكان فلا يأخذ سر الخلق وبذرة الحياة إلا القوة الدافعة والخصائص الكامنه دون الشكل الظاهر والمظهر الخارجي

كذلك الدين انطلاق للحياة على الارض يشع الدين خلاله على النفس والعقل والسلوك والتشريع دون أن ينحصر فى مجموعه من الكلمات والتعاليم والمظاهر الجامده المتناهية التى تضمها الاوراق وتتناقلها الشفاه أن الدين يخلق حضارة فى كل أرجاء الحياة حضارة تتجدد وتتطور كلما تتابعت الأجيال وتطورت البئيات لامجرد رسوم وتعابير هامده تكرر نفسها دون جديد

فهو تعالى انزل القران لإحياء القلوب حياة الوعى والمعرفة حياة الأرواح ولهذا يقول تعالى (يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)

لان الانسان لابد أن يضطرب فى الارض وهو يعمل فالمحسوس وقد هيمن على نفسه شعور ذلك النقص والحاجة إلى العون يريد الحماية والرعاية

المفهوم السادس

الإنسان بحاجة إلى سد الفراغ الروحى الذى يجد فيه اشواقا بصدره إلى الغيب والبحث عن مصدر ثقه يتغلب به على ازمات

النقص والاضطراب وهذه الثقة تهيئ السكينة والطمأنينة النفسية

فالانسان لابد أن يضطرب فى الارض وهو يعمل في المحسوس وقد هيمن على نفسه شعور الالتجاء إلى القوة التى تسد كل نقص والقادر بمده بكل عون فهذا الشعور لايغيب عنه بالحاجة للرعاية والحماية للوقاية من الأزمات النفسية التى تذهب بالطاقة الإنسانية فتجد البعض يجمع المال ظنا أن ذلك فيه السكينه والاطمئنان على المستقبل ولكنه لايجد الطمأنينة الا اذا اتصل بالله الذى تنتهى إليه كل شى ولهذا فإن المؤمن يظفر بهذه القوة فالقران فيه شفاء الصدور لانه يدله على الطريق المستقيم الموصل إلى الله وايضا فيه بيان طريق الهداية فأنت إذا قرأت القرآن بشكل صحيح وفهمت مافيه كان النجاه من مزالق الحياه ومن المتاهات فالمؤمن يرضا بقضاء الله وقدره وايضا يرشده القران إلى النهاية التى ينتهى إليها الإنسان فى حركته على الأرض عندما يرى أنه فى الطريق المستقيم الموصل إلى بر الأمان فالعلم النافع يكون بالإيمان بالله واليوم الآخر يطمن الإنسان على خاتمته وخاتمه الكون الذى يضطرب على ظهره يطمئن على حساب الأرباح والخسائر فى النهاية فهو تصوير منطقى لنهاية معقوله للكون ينتهى عندها التطور ويقدم التقدير الصحيح (إنما توفون أجوركم يوم القيامة)

يكون فيها تعويض الإنسان عن أعماله فى الدنيا يجد فيها عدل الله الذى يستقصى ماهو اصغر من مثقال ذرة فالمسلم لاتقف عنده عجله التطور الا حين تقف عجله الكون لقيام الساعه عند ذلك ينتقل إلى عالم جديد وحياة جديده هو الحياة الحقيقية الأبدية يوم تبدل الارض غير الارض وهذا الشعور والإحساس يجعل المسلم يتفانى فى خدمه البشرية لاجل إرضاء الله تعالى وبهذا تحرس العقيده النفس من الانحراف بالشعور برقابه الله عليها فلا تستطيع التهرب من نص القانون كما هو حال النفوس الكافره ولهذا يعيش المجتمع المسلم فى امان واستقرار

وسعاده فى الدنيا والآخرة فالإسلام يوافق الفطرة والمنطق ويكفل سلامه أداء الإنسان وإنتاجه إلى أقصى حد ود الإنتاج إذ يكون قد استقرت أوضاعه وحصل سد النقص للنفس ويحقق لها السمو بأحكام الإسلام وما جاء به القرآن ولهذا يقول تعالى (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

فالقيم والمبادئ التى جاء بها الإسلام هي افضل من كل الأموال والثروات المادية التى يتنافس الناس على جمعها

المجموعة الثامنة

تتناول الايات تعريف الناس بفضل الله عليهم ورحمته وانعامه وإحسانه حيث ذكرت الآيات السابقة أن القرآن موعظه للعقل لينطلق فيبدع إبداعه الخلاق العظيم وشفاء للنفس من الآفات والأمراض وهو هدى ورحمه للفرد بكل طاقاته وللمجموع البشرى بكل أفراده فاختيار الله امه العرب لهذا الفضل أمر يوجب الفرح والفرح يقتضى شكر الله على انعامه فبفضل ما فية من خاصية روحانية لتنوير القلوب ينزع من النفوس اسقامها كلها فالقران ومافيه من آيات ليس مجرد كتاب نقلى اى يعتمد على النقل فقط بل إنه يصطحب براهين عقلية عالية وفيه نور ساطع وضياء يوصل عقل العبد إلى الاهتداء إلى الطريق المستقيم فما يدعوه إليه الناس أن آمنوا به فيه السعادة لانه يعرفنا باالله واسماءه وصفاته وأفعاله وكماله فعندما نتألم نتوجه إلى هذا الإله المنزه من النقص والعيب نتوجه إلى الإله الذي تتوقف جميع آمالنا على قدراتة أن اللازم أن لايخطر على بالنا فكرة الإله الا نشعر بوجود تلازم بين كامل بين الله ووحدانيتة ومعرفه الله باسماءه وصفاته وكماله لايمكن للعقل البشرى أن يعرفه لانه من أمور الغيب وكذلك معرفه أمور الله لايمكن الاهتداء إليها بالعقل

فارسال الله الرسول وانزال القران الكريم لعلمه تعالى بقصور العقل البشرى عن هداية الإنسان فى حياتة فأرسل الله الرسول لتكميل النقص فى العقل الإنساني ويعرفه مايسعده ومايشقيه من الاعتقادات والأعمال ولهذا نجد النصوص تتناول الاتى

اولا

يتناول السياق استعراض حال الجاهلية وهى تزوال حياتها العملية وفق اهوائهم لا وفق شرع الله فيقول تعالى. (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله إذن لكم ام على الله تفترون وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة أن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون)

لبيان حاجة العقل الإنسانى الى الوحى لأن العقل بغياب المنهج يضل ولهذا يقول لهم ماهو الأساس الذى تم الاعتماد عليه من قبلكم عندما ذهبتم إلىاطلاق احكام التحليل والتحريم لما انزل الله لكم من رزق من السماء الا يعد ذلك ضلالا نتيجة طغيان الشهوات على عقولكم والاذعان للاهواء والميل إليهافقال تعالى(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله إذن لكم ام على الله تفترون) أن الميل للاهواء والتعصب لتقاليد الآباء والأجداد هو الذى يقف وراء إطلاق الأحكام فى التحليل والتحريم منكم ثم أن العقول متفاوته فى إدراكها وفى حكمها على الأشياء فيستحسن فلا يحصل اتفاق على مقاييس موحدة للخير والشر والفضيلة والرذيلة والحق والباطل يخبرهم أن الأرزاق عطاء من الله تعالى ليس له حدود ولايمكن احصاءه فيقول لهم أن هذا العطاء لم ينزل لتتصرفوا به وفق اهواءكم بل عليكم حق أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شى عليكم أن تستغلوا هذا العطاء فى طاعه الله وهنا لابد أن تعرفوا كيف تعبدون الله وماهى طريقه عباده ولهذا بعث الله الرسل ليبنوا للناس الشرائع مفصله لازاله الأعذار لان العقل محدود الإدراك لايستطيع التوصل الى جميع المعارف فهو قاصر

عما يسعده ومايشقية فى حياتة الدنيوية والاخروية فمن فائده البعثة ان فى القرآن ما يعضد العقل فيما يستقل بمعرفته مثل معرفه وجود الله تعالى وعلمه وقوتة وذلك لينقطع عذر المكلف والعقل لايستطيع معرفه ما يرضى الله من الاعتقادات والأعمال حتى يفعله ليكون مثابا فى الآخرة وكذلك لايعرف ما يغضب الله ليجتنبه لئلا يعرض نفسه للعقاب ولهذا يقول تعالى (فما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) ماذا يتصور ويتجرى على إطلاق الأحكام بتحليل الاشياء وتحريمها نهايتة ؟ فعليك أن تفهم أن التحليل والتحريم والتشريع ليس بالعقل ولا بالاهواء وانما بما يحملة الرسل من عند الله فالعقل محتاج إلى من يعرفه ذلك بالتفصيل وهم الرسل الذين ينزل معهم الكتب لان الناس لايعرفون مصالحهم ويفضلون اللذه العاجله فالعقل يستفيد من الحكم الذى ياتى به الوحى بواسطه النبى فيما لايستقل بمعرفتة مثل إثبات اسماءالله وصفاته من القدره والعلم والكلام والسمع والبصر وإثبات المعاد ومنها بيان مايجب على المكلف فعله وما يجب تركه ومنها بيان الأفعال التى تحسن تاره وتقبح تارة أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها فلابد أن تهيمن عقيده التوحيد على حياة الناس ولزوم أن يحكم التوحيد جميع شؤون الحياه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه وكل شىء فلابد أن يحكم التوحيد الحياه وان يضبط حركه الإنسان

وبالتالى فإن إطلاق احكام التحليل والتحريم والتشريع فى الأرزاق وكل شؤون الحياة أمر اختص الله به نفسه فمن أين عرفتم ان البعض منه حلال ماكله والبعض الآخر حرام اذا كان التحريم والتحليل هو سلطه اختص الله به نفسه فمن الذى منحكم الاذن بإطلاق الأحكام وهذا فيه تحذير من إطلاق الأحكام الشرعية دون علم ولا دليل لان ذلك افتراء على الله ولهذا يسأل كل من يتطاول على حق التشريع (فما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة)

ماذا يظن من يتجرئ على اختلاق الأحكام التشريعية يتعدى على سلطه الله تعالى فى التحليل والتحريم ماهو مصيره يوم القيامة

والسؤال فيه تهديد قوى يهز أعماق النفوس فالابهام يدل على شده العقاب فهو يفوق كل التصورات يهدف إلى أن يجعل العبد عندما ينظر إلى الماده والأرزاق أن يرى الخالق فيتذكر حق الله عليه فيري رحمه الله وعنايته بالناس وفضله ولهذا يقول تعالى (أن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون)

يعيشون فى ملك الله وعطاء الله وانعامه وإحسانه ومع ذلك لايشكرون الله على انعامه التى لاتعد ولاتحصى فهم يشركون معه غيره إلا من رحم ربى ومع ذلك لم يرتب الله على عطاءه الايمان به لانه يريد توحيدا نابعا من اراده حره فعطاء الله يعم المؤمن والكافر ولهذا قال إن الاغلبيه لايشكرون الله لبيان أن المؤمنين هم الشاكرون لله على انعامه تهدف إلى أن يشعر العبد أن انزال القران الكريم هو من فضل الله وانعامه على الناس لانه فيه الهداية لما يحبه الله ويرضاه

الأمر الثانى

(علاقه العطاء بالحب وعلاقه الحب بالشكر)

أن معرفه النعم تورث محبه الله ولهذا تبين الآيات أن عطاء الله للإنسان لايعد ولايحصى سواء نعمه الأرزاق فهو تعالى غنى عن العالمين والناس هم المحتاجون إلى الله فهو تعالى ينعم عليهم بالارزاق وبنعمه الهدايه وإرسال الرسل وانزال الكتب فعطاء الله لايتوقف على الإنسان والإنسان لايستطيع أن يعطى الله شيئا لا ن كل شى فى

الكون هو ملك الله فلو أنفق الإنسان كل ماله فى سبيل الله فإنه لايعطى الله شى لان المال الذى أنفقه هو مال الله استامن الإنسان عليه ولو بذل الإنسان نفسه خالصه فى سبيل الله فإنه لايعطى الله شى لان الجسد ملك الله الذى سخره للإنسان

فإذا كان الحب هو العطاء فإن اتصاف العبد بحب الله مجازى بينما اتصاف الله بمحبة العبد هو الحقيقي

ورغم هذا العطاء الذى أنعم الله به على الإنسان نرى الكريم العظيم يطلب من الناس الشكر بدلا من العطاء يجعل الشكر رحمه منه سببا فى زيادة العطاء فقال تعالى(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم)

فالشكر تعبير عن حب الإنسان لله تعالى وهو فن يرتبط بمعرفه الله والعمل لما يرضى الله لانه لايقدر على الحب الا الا من يقدر على الفهم والملاحظه والرؤية والإحساس والعطاء كلما زاد ميراث القلب من المعرفه زادت قدرة القلب الانسانى على الحب والعطاء يحتاج الرقى في الإنسان لان معظم الناس يحبون أنفسهم ولهذا فأول خطوه تكون بخروج الإنسان من ذاتة ينظر إلى وجوده فى الارض هو لعباده الله تعالى يعى الإنسان أن عمره على الأرض قصير ومحدود يعى أنه جاء إليها بغير ارادتة وسوف يغادرها بغير إرادته لابد أن يخرج من غربته برؤيه رعاية الله وعنايته وإحسانه ورحمته وجماله وجلاله لتطمئن نفسه

فالحب هو الحل الوحيد أمام الإنسان للخروج من من سجن الذات إلى اتساع الكون ورحابه الاخرين وهذا يكون باتصال المسلم بالله تعالى اولا واخيرا فالمسلم لايشعر أنه وحيدا ولايكون غريبا وان ترك وحده لماذا لأنه يعرف أن الله معه اينما كان فهذا الاتصال المباشر بالله خالق الكون ومصدر الامان هو مفهوم الحب فى هذه العقيده بأن تشعر أن الله معك فى كل وقت وفى كل حين وفى كل شأن وفى كل حال فيقول تعالى فى موضع آخر (وهو معكم اينما كنتم) وهنا يخاطب الله نبيه فقال تعالى (وماتكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل الاكنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه)

انه معهم بعلمه الشامل الذى يعلم احوال النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فى كل ساعة ولحظة وأنه لايعزب عن علمه وبصره مثقال ذره فى الارض ولا اكبر فكل شى مسجل فى كتاب الله فلا يفلت شى عن علمه ولايخرج عن حكمه شى ولايدركه النسيان شى كل شى مسجل فى كتاب وكل شىء يعلمه الله ذلك أن العلم صفه من صفات الله عز وجل فالقران. يحدثنا عن صفات الله الواجبه إكماله وهى صفات العلم والحياه والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام

فالشكر لله تعالى هو تعبير عن محبة العبد لله تعالى هو تعبير عن اتصال العبد بالله فالاتصال بالله اول شى يتعلمه المسلم كمعرفه نظرية عندما ينطق بالشهاده لا اله الا الله تعنى خروج الإنسان من غربتة ووحدته واتصاله بالله فالشهاده شهود ويقين فإذا شهد الإنسان أن له ربا يبسط عليه خيام المن الالهى والرحمه وإذا أيقن انه ليس وحده فى الكون وإذا وقع هذا وذاك تحرر الإنسان من الغربه والخوف وتحررت طاقاته ومواهبه من قيود السكون عندها يصير انسان حرا

ثانيا

تبين الآية شمول العلم الالهى وشمول الرعاية وشمول الرقابه ثم اتبعه بذكر البشارة لأولياء الله

فقال تعالى (وماتكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه

وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين الا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)

وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

يريد من العبد أن يسارع للتوبه والاستغفار ولهذا نجد أنه

بعد أن تناولت الآيات فى المجموعه السابقه كمال قدرة الله تعالى اتبعها بذكر شمول العلم لان القدرة والعلم يحصل بهما الجزاء واخبار الله عباده انه قادر وأنه عالم فى الآيات إنما يتضمن الوعيد والتهديد للمخالفين وايضا يضع المؤمنين أمام مسؤوليتهم فليس المراد الاخبار بقدرة مجردة ولا علم مجرد لكن بقدرة وعلم يكون تحقق الجزاء لان من كان قادرا على إيقاع الجزاء امكن الجزاء ومن كان عالما كان الجزاء بالعدل فمن لم يكن عالما لم يتحقق العدل ومن لم يكن قادرا لايمكنه الجزاء فالقدرة على الجزاء والعلم بالأعمال واحصاءها يكون الجزاء ويبقى موقوفا على مشئية الله حينها يكون طلب النجاة بالتوبه والاستغفار وعمل الحسنات التى تمحو السئيات

الأمر الثانى

يريد أن يستحضر المسلم وجود الله تعالى واحاطته علما بكل شى لتكون فاعليته ايجابيه فمن استحضر وجود الله تعالى لابد أن يسارع إلى التوبه والاستغفار فى كل وقت وهذا يحتاج أن يراقب العبد الله فى كل عمل يعمله عليه أن يشعر بوجود الله معه فى كل وقت شاهد وحاضر معه فى جميع شوونه سواء كان خاليا مع نفسه أو قاعدا مع أسرته أو جيرانه أو فى مكان عمله ولهذا يحذر أن يراه الله فى مكان يسخط الله يستحى أن يراه الله فى معصيه فليست المشكله اليوم أن نعلم المسلم عقيده يملكها إنما نحن بحاجه الى أن نعيد لعقيده التوحيد فاعليتها وقوتها الإيمانية وتأثيرها على. حياه المسلم فليست المشكله ان نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ماهى أن نجعله يشعر بوجود الله بحيث تملأ نفسه به كمصدر للطاقة يحدث فى النفس تغيرا إيجابيا تجعله ينطلق فى رحاب الكون من هذه العقيده التى تربط بين الفكره والعمل

أنها عقيده التوحيد التى تجعل العبد يطمئن بالاتصال بالله يستعلى بهذا الاتصال فلا يخاف الا الله ولايرجوا الا الله فهو

يستحضر عظمه الله وكبرياءه فيكون حبه لله حب اجلال وتعظيم واذعان وخضوع فاصل الحب انكسار القلب ومنشؤه جرح الفواد فالحب العظيم لايكون الا لعظيم والحب الباقى لايليق الا بالخالد وهذا إنما يكون لمن وصل إلى مرتبه الاحسان

بحيث يعبد الله كأنه يراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فمن وصل لهذه المرحله من الاتصال بالله فانه يجد الراحه والاطمئنان لانه اتصل بمصدر الامان فقال تعالى (إلا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)

ذكر أن سمات هذه الشخصية هو أنها مؤمنه ومتقيه بعد أن ذكرت الآية قبلها اطمئنان المسلم لاحساسه بالصله

ب‌الله والانس بجواره والأمن فى حماه تطمئن برحمه الله فى الهداية والرزق والستر فى الدنيا والآخرة لان المؤمن يستند إلى اقوى الأقوياء فلا يخاف من شى الا الله وهو يستمد عزته من عبوديته لله تعالى والايمان يدفعه إلى الالتزام بما أمر الله تعالى ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله فلا يغفل عن مراقبه الله له فى السر والعلن فلا يسرق ولايغش ولايظلم فهو يعبد الله كأنه يراه فإن لم يستطيع أن يتصور نفسه يرى الله فيوقن أن الله يراه كالفتاة التى طلبت منها والدتها أن تخلط الحليب بالماء فقالت لامها الم تسمعي امير المؤمنين عمر ينهى عن مذاق اللبن اى خلطه بالماء فقالت الام أن أمير المؤمنين لايرانا فقالت الفتاة لكن رب امير المؤمنين يرانا فهذه هى الشخصية المؤمنه العابده التى تشعر بالمسؤولية وهى فى حاله نفسية وعقليه تجعل صاحبها فى يقظة دائمه فى كل تصرف أو قول أو فعل يقوم به تراقب الله فيحذر من مخالفه أمره فحاله الانزعاج هذه تجعله يحرص أن يكون مايقوم به موافقا لما أمر الله به فالتقوى كما قال سيد قطب هي سياج منظومه القيم الإسلامية الممتدة في حياه المسلم بكل أبعادها وجوانبها وهذا مايميز الشخصيه الإسلامية عن غيرها حيث أن الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية يقوم على التقوى ومراقبه الله ومحاسبة الذات اضافه الى حراسه المجتمع

من خلال تطبيق أحكام الشريعة ومحاسبه الخارجين عن الشرع

ولهذا يقول الله أن أولياء الله الذين يتصلون ب‌الله لايخافون ولا يحزنون لان الله يتولى رعايتهم بسبب ايمانهم الصادق والاستقامة على منهج الله فإن هذا الاتصال ب‌الله الروحانى يقابله الله بنور الطمأنينة والسكينة التى ينزلها فى قلوبهم حيث تتنزل الملائكه عليهم ويطمئنونهم فاولياء الله يتلقون البشارة ب‌المكالمه فى الحياة الدنيا تجعله يطمئن وهذا ناتج عن قطع المسافه التى تفصل بين القلب والعمل وبين القلب والرب فبقدر اخلاص العمل يكون قطع تلك المسافه ولهذا يجد لذه للعمل وتتنزل عليه الملائكه عند الموت تبشره بمقعده من الجنه كما قال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنه ارجعى الي ربك راضية مرضية)

وكذلك لهم البشاره يوم القيامة فلا يحزنهم الفزع الاكبر اذ تتلقاهم الملائكه الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنه التى كنتم توعدون فهذا هو الفوز العظيم الذي هو الوعد الصادق الذى وعده الله المؤمنين فهو وعد حق لايتبدل ولايتغير

ثالثا

انه بالوقوف على الآية الكريمة نجد أنها ورد فيها توجية الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم)

الأمر الأول

فيها نهى الرسول عن الحزن من اقوال المشركين فدل هذا أن ثمة اقوال صادرة من المشركين كانت توذى الرسول صلى الله عليه وسلم وتصيبه بالحزن وهذا يدل على معاناه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه وان الصراع قد اشتد وبلغ ذروته مع اختلال موزاين القوى والقدره نظرا لما تمتع به قريش من جاه ونفوذ وسلطان على القبائل مقابل ضعف الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حيث موازين القوه الماديه ولهذا يقول تعالى لنبيه (ولايحزنك قولهم إن العزه لله جميعا هو السميع العليم)

وهذا ما يستدعى الوقوف على ما ترسمه الايه من أوجه هذا الصراع الذى وصل إلي مستوي نهى النبى عن الحزن

اى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم حتى لايتاثر من الشرور التى كانت تظهر الكفار أنهم أقوياء مقابل مشاهده المسلمين ضعفاء من حيث القوى المادية فالنهى عن الحزن ليس المراد به ترك الحزن لان ذلك أمر نفسي لا اختيار للإنسان فيه وانما المراد ترك لوزامه اى ترك تعظيم أمر ها فعليك الاعتماد على الله والتوكل والصبر والثبات لاتسمح للاحزان أن تحتل ساحه نفسك

فالاية تصور لنا الواقع الموجع الذي كان يعيشه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة فى مكه حيث أنه بمجرد ما جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته قد ثارت عليه عاصفه هوجاء من اضطهاد مشركى مكه وعلى رأسهم عمه ابولهب الذى كان يحرض قومه للقضاء على الدعوه وهي وليدة في مهدها ويقول خذوا على يديه قبل أن تجتمع العرب عليه لقد كان المشركين ينظرون للدعوه الإسلامية أنها مصدر يهدد كيانهم كانوا يخافون على ما يتمتعون به من نفوذ وزعامه فقد خشوا أن تنجح دعوته ويلتف الناس حوله تأثرا بهدايتة وعذب منطقه الذى كان يجذب النفوس إليه يخافون من كثرة سواد اتباعه فيتنزع منهم الرئاسة التى كانوا يجدون من ورائها غنما عظيما فقد كانوا يجتهدون على صناعه العراقيل أمام الدعوه ووضع العقبات فى طريق انجاح دعوتة حتى يدب الياس في قلبه فيترك الدعوه الي دينه وبنفس الوقت كان العوام من الناس يرتعون في ميدان الشهوه البهيمية الدنئية لايزجرهم ضمير ولا يردعنهم وجدان ولايكفيهم عن غوايتهم قانون عادل فلما جاء الإسلام يحرم تلك الشهوات تحالفوا مع رؤساءهم والاكابر على اضطهاد الرسول والقضاء على دعوته وتحالفوا على ايذائه ومن تبعه بجميع صنوف الايذاء والاهانه فلم يتركوا وسيله من وسائل الايذاء الا سلكوها ولابابا من أبواب القسوة عليه وعلى من امن به إلا ولجوه وكانوا يستهزون به حتى أنهم القوا عليه القاذورات وهو يصلى وقد كان منهم حصار المسلمين فى شعب أبى طالب وجعلوا الناس يأكلون الأشجار وغيرها من أصناف العذاب ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يرابطون على مداخل مكه لترويج الدعاية الإعلامية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم بين قبائل العرب الوافدين إلى مكه فى موسم الحج حتي لايستمعوا إليه وعندما اسلم النفر من الاوس والخزرج ازداد تكذيبهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر واضطهادهم المسلمين في هذه الفترة تحديدا(أواخر مرحله الدعوه جهرا اى ماقبل الهجرة) التي نزلت فيها الآية حيث اتخذ المشركين واقعه الاسراء والمعراج سلاحا في حربهم الإعلامية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وضد الاسلام وضد دعوه التوحيد بالزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم مجنون مضطرب عقله وأنه سفيه إصابته الأصنام بالجنون لانه جاء بشريعه تخالف ما كان عليه الآباء والأجداد زاعمين أن عباده الاصنام هي دين الله المنزل على ابراهيم وان غضب الأصنام أصابت محمد بالجنون فهو يزعم أنه صعد الي السماء

وكانت العوام وقبائل العرب تتأثر بأقوال المشركين ومزاعمهم تلك فهم ينظرون إلي قريش أنها تحظى بدعم سماوي بعد واقعه الفيل عندما أراد ابرهه هدم الكعبة فقد ادي ذلك إلي منح قريش منزله ومكانه دينية بين قبائل العرب استغلته قريش سلاحا نفسيا لتنفر الناس من النبي صلى الله عليه وسلم لتجعل بينه وبين الناس حاجزا يمنع الناس من مجرد الاستماع إليه فكان الاضطهاد وهذه الدعاية الإعلامية و التكذيب و العناد الذي أصروا عليه يحدث في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم حرجا وتوجد في قلبه حزنا على أولئك القوم الذين اضحوا ضحية الغواية والضلال وكان الأجدر بهم أن يكونوا اول من يلبي دعوته فهم يعرفون صدقه وسمو نفسه ونزاهه مبادئه التي دعاهم إليها ما لايعلمه غيرهم من قبائل العرب النائين عنهم وهذا يدل على معاناه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم وان الصراع قد اشتد وبلغ التضيق من المشركين على الرسول والصحابة مبلغا في ظل اختلال موزاين القوى والقدره نظرا لأن قريش تملك القوه والمال والجاه والسلطان والنفوذ الذى تملكه وما تمتع به من نفوذ وزعامه على قبائل العرب بينما الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه كانوا فى

ضعف فمن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم هم من الضعفاء والفقراء والمساكين في الغالبية العظمى منهم وليس لديهم مال ولا نفوذ ولا قدره ولهذا يقول تعالى لنبيه (ولايحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم)

فأراد بهذا تقوية قلب النبى صلى الله عليه وسلم ليبلغ الدعوه بعزيمه قوية وهمه متقده وقلب مفعم بالحيوية والنشاط والطمأنينة والسكون لاتساوه الاحزان ولاتحتل ساحته الهموم والاكدار التى تكسر شوكة العزيمه وتضعف قوة الإرادة وتطفى جذوة النشاط الملتهب وتقعد الإنسان عن السير إلى المثل الأعلى الذي يتوخاه فى عمله خصوصا في مثل هذه المهمه الكبرى التى يراد بها صقل طبائع النفوس وتهذيب الفطر الانسانى وإصلاح ما افسد من أحوال الامم وتوجية العالم البشرى إلى طريق الهدى والرشاد ليصل إلى سعاده الدنيا والاخره

فكان مجى الخطاب مناسبا مع أجواء الرعايه والحماية الالهيه لأولياء الله التى تحدثت عنها الآية السابقه للاتى

المفهوم الاول

لتربية المؤمنين على الاستعلاء بالحق والاستهانة بالمظاهر الخادعه للعظمة ولهذا يخبرهم بأن المؤمن لايستمد قوته من مال اوجاه أو جنس وا عشيرة إنما يستمد عزته من عبوديته لله تعالى تلك العبودية التى حررته من الطمع فيما عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا ولا مستخدما طامعا لاتذله الأحداث ولا تنحنى جبهته للأزمات لان قلبه عامر بالإيمان والثقة برعاية الله له وحمايتة ولهذا جاء أفراد الله تعالى بالعزه هنا (لله العزة جميعا) دون ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما ورد في قوله تعالى (لله العزه ولرسوله وللمؤمنين) وهذا لأن الايه فى هذه السوره وردت في سياق الحديث عن رعاية الله وحمايته لاولياءه فتفرده بالعزه جميعا يعنى تجريد الناس كلهم منها فيدخل في جمله الناس قريش وقوتها والقبائل المتحالفة معها فلا ينبهر المسلم بمظاهر تلك القوه والعظمة لانه يتوكل على الله ويعتز بدينه وعقيدته ويستمد قوته من الله الذى يملك القدرة والغلبه يتوكل على القوى العزيز الذى لايغلب وهو يسمع الأقوال ويعلم المؤامرات والمكايد ويتولى رعايه أولياءه ودفع الضرر عنهم

المفهوم الثانى

فيه دعوه للثقة برعاية الله والتوكل عليه والاستعانة به والشعور بمعية الله وأنه يتولى حماية أولياءه فلا تنبهر بمظاهر الملك والسلطان والعظمه التى يتفاخر بها أعداء الله لانك فى حماية من يملك القدرة والغلبه القوى العزيز الذى لايغلب وهو يسمع الأقوال ويعلم المؤامرات والمكايد التى يدبرها الاعداء ومخططاتهم وهو تعالى يتولى حماية أولياءه

الأمر الثاني

تهدف الآيات الى تقوية المناعه النفسيه والعقليه والقلبيه من أن تتأثر بواقع أعداء الله وما يتمتعون به من قوه ومال وجاه وسلطان ولهذا جاء النهي عن الحزن وليس المراد به الحزن ذاته لان الحزن أمر نفسي ولا اختيار للإنسان فيه وانما المراد النهى عن لوازم الحزن من كالاكثار من تجديد شأن المصائب والدواهى وتعظيم أمرها لان ذلك يجدد الآلام. ويكسر شوكه العزيمه وتضعف قوة الإرادة وتطفى جذوة النشاط الملتهب ولهذا يعالج القران منابع الضعف التى يمكن أن توثر على العزيمه ولهذا جاءت الآية (ولله العزه جميعا) فى مقام التعليل فكان الرسول صلى الله عليه وسلم قال يارب كيف لا احزن وقد كذبت واذيت انا واصحابى ومن آمن هم الضعفاء

والفقراء والمساكين بينما كفار قريش يتمتعون بالمال والقوه والجاه والسلطان والنفوذ وقبائل العرب تخضع لهم وتنطوى مكايدهم على الناس فيما يزعمون من أننى مجنون مضطرب عقليا ...وان الأصنام قد ألحقت بى الضرر

.....الخ

فجاء الجواب :

أن الغلبه والقدرة والقوه كلها لله وحده فهو تعالى قادر أن يقهرهم ويغلبهم ويعصمك وهو يسمع اقوالهم ويعلم مخططاتهم وهو تعالى يتولى حمايتك ورعايتك فاستعن بالله وتوكل عليه

فالقوة الكامله والغلبه الشامله والقدرة التامه لله فهو ناصرك وناصر دينه ومنتقم منهم فالمؤمن يستمد قوته من الله تعالى

ثم اتبعه بقوله (إلا أن لله من في السماوات ومن في الأرض)

خلقا وايجادا وتدبرا وتصرفا وملكا كل من فى السماوات كلها مخلوقات هي ملك الله ومن في الأرض واستعمل من ولم يستعمل ما لان من للعقلاء فالمقصود بها إثبات أن الأقوياء كالضعفاء كلهم فى ملك الله سواء كانوا بشرا أو ملائكه أو جن فهم مخلوقات الله عاجزون أمام قدرة الله فلماذا يخاف منهم وانما الخوف من الله وحده لا شريك له

فعلى المسلم أن يعتز بدينه وعقيدته فلا ينكسر ولايضعف أمام الأزمات والتحديات لان اعتزاز المسلم بدينه وعقيدته هو أساس قوه المسلم لانه يمنحه الشجاعه في مواجهه اخطائه وفى قول الحق مهما كان مرا وفي مجالدة أعداء دينه وامته لايهاب الموت ولاجبروت الجبارين وطغيان الطغاه لانه متصل بالله عز وجل الاكبر والأقوى الذى بيده ملكوت كل شى ومقاليد كل شى فقال تعالى. (الا أن لله من في السماوات ومن في الأرض)

فما الحاجه الى التضرع بغير الله اذا كان كل شى ملك الله يتصرف فيهم كيف يشاء فإذا كان هؤلاء العقلاء المميزون عبيد لله ومخلوقاته كلهم سواء البشر أو الملائكه أو الجن أو ما شابه ذلك وهو سبحانه ربهم فلا يصح أن يكون أحد منهم ندا لله أو شريكا له فما وراهم من غير العقلاء أحق أن لايكونوا اندادا لله

لان الجميع مسخرون لايملكون من امر أنفسهم شى فقال تعالى

(وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أن يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون)

فالشركاء الموهمون ليسوا في حقيقيتهم اندادا لله فى شى

وانما أطلق عليهم من عبدهم اسم شركاء من عند أنفسهم على سبيل الظن والتخمين بدون علم ولا راجح عليه الظن بل تقليد وافك وبهتان فلو كانوا صادقين فلتظهر هذه الأصنام قوتها فهي في الحقيقه عاجزه لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا

ثانيا

ولما كانت الايه السابقه قد وبخت من يبنى عقيدته وتصوراته على الأوهام والخرافات والأساطير والظن

والتخمين مع وجود اليقين لهذا نجد الآيات تلفت الأنظار إلى تأمل وتدبر ايات الله المبثوثه في هذا الكون هي ايات متصله بحياه الناس يرونها كل صباح ومساء أنها أية تعاقب الليل والنهار فقال تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيها والنهار مبصرا أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

وهذا فيه

الأمر الأول

تهدف الايه إلى تربية الشخصيه الإسلامية علميا ولهذا بعد أن وبخت الآية السابقه من يبنى عقيدته وتصوراته على الأوهام والخرافات والأساطير والظن والتخمين والتقليد ولهذا تدعو الايه المخاطبين الى التفكر والتأمل والتدبر فيما خلق الله وما أنعم عليهم من آيات مبثوثه فى الكون (مصنوعات الله) فى هذا الكون هى ايات يراها الإنسان ويمكنه أن يدرك مافيها من آيات تدل على أنه لاشريك لله فهو المتصرف والمدبر للكون كله لانه لو كان هناك الهه مع الله لما شاهدنا تعاقب الليل والنهار بهذه الدقه والانتظام فالتفكر فى ذلك يحرر عقل الإنسان من أسر الاوهام والخرافه فالإسلام اعتمد على منهجية العلم بالتحقق والتدقيق لاسيما في الاخبار والأشخاص والمعلومات فلا يقبل التسليم بشى من المعارف البشريه من غير فحص وتمحيص

وكذلك فإن التقليد مرفوض فى الاسلام فالإسلام يحترم العلم ويدعوا إلى التحرر من التقليد والخرافه ولهذا جعل بداية معرفه الله تكون بواسطه العقل بالنظر إلى ايات الله فى الكون لكن هذه مقدمه فإذا حصلت المعرفة من خلال النظر في مفعولاتة الداله على الفاعل وكمال صفاتة فإذا حصل هذا كان الاستدلال بمفعولاته على صفاتة وصدق ما أخبرت به رسله عنه ولهذا يكون اتباع الوحى لأن الرسل وحدهم المصدر الموثوق الذى له الحق في الحديث عن الله تعالى وعن أمور الغيب ولهذا ختم بقوله (أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعات منبهة على الاستدلال بالايات المصنوعات لان رؤيه اياته المشهوده تبين أن ايات الله المتلوة حق كما قال تعالى (سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

الأمر الثاني

يدعوهم إلى مشاهده جانبا من انعام الله التى تدل على رعايه الله وعنايته وإحسانه ورحمته بالناس ودوام هذه الرعاية فقد جعل الليل مظلما ليكون مناسبا للراحه والسكون التى يحتاجها للانسان لتجديد النشاط والطاقه بعد الحركه فقال تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) فالنوم نعمه عظيمه للإنسان فالنوم مكون من (النون والواو والميم) اصل يدل على جمود وسكون حركه يقال نام ينام نوم أو مناما ويقال رجل نومة اي خامل لايؤبه له ومنه استنام لي فلان إذا اطمئن إليه وسكن ولهذا يقول تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) وقد جعل الله الليل مناسبا لتحقيق هذا الغرض لان الانسان يحتاج إلى السكون لترتاح اعصاب الإنسان وقواه وملكاته وجسده الي الراحه والسكون بعد الحركه وقد أثبت علماء الأحياء أن استرخاء الجسم في حالة النوم يساعد على تنظيم الدورة الدموية ومدها بالنشاط الجديد ليساعد على طرد ماعلق بالجسم من مواد ضاره فمسألة النوم نعمة كبرى من نعم الله على الإنسان يجب على الإنسان أن يشعر بها عليه أن يشعر بالفاعل الواحد القهار الفرد الصمد الذى جعل الليل متخصص بوظيفه نعمه النوم فقد اقتضت حكمتة سبحانه وتعالى أن جعل زمانه الليل دون النهار وذلك حين يسكن البشر عن الحركة والضجة والضوضاء فنوم الليل فائدتة أعظم من النهار لما يصاحبه من سكون وراحه بال الإنسان

وكذلك جعل النهار متخصص مناسبا للحركه والعمل والسعى للعيش وطلب المعاش (والنهار مبصرا) فما فى مفعولاتة هذه من تخصيصات متنوعه تدل على إرادة الفاعل وكماله سبحانه وتعالى وان فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحد غير متكرر ثم إن مافيها من مصالح تدل على حكمته تعالى وإحسانه للناس لتدل على رحمته وعنايته على خلقه وهى دليل على صحه النبوة وعلى وحدانيته سبحانه وتعالى فهو تعالى يقدم للناس الآيات الشاهده بصدق رسوله وصدق اياته المسموعه ولهذا يختم بقوله جلا جلاله (أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)

وهذا لأن الله قد أخبرنا فى الآيات السابقه فقال (يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) فاخبرنا أنه انزل مع النبى صلى الله عليه وسلم كتابه

هو الهدى والشفاء والنور فقد جعله الصراط المستقيم لاهل العقل والتدبر ولاهل التلاوة والذكر ولاهل الاستماع والحال فالمعتصمون به علما وحالا وتلاوة وسمعا ظاهرا وباطنا هم المنتفعون به أما المنحرفون عنه كما هو حال اغلب الناس فى الزمن الحاضر قد انقسموا الى قوم تركوا التعلم منه والنظر فيه والتدبر له الى كلام غيره من اقوال فلاسفه الغرب وأوروبا وغيرهم

وقوم حفظوه وتلوه من غير فقه مافيه ولا فهم لمعانيه ولامعرفه المقالات التى توافقه أو تحالفه ولا أوجه بيانه لمسائلها ودلالتها فهم لايعرفون من القرآن شى رغم حفظه

وقوم تركوا استماع القلوب له والتنعم به وتحرك القلب عن محركاته وذوق حلاوته فهم يسمعونه مثل ما يسمعون اصوات غيره من شعر او غناء

وهناك من يقراءه بصوته ويسمع قراءته لكنه لايتذوق حقائقه ولا معانيه لا تحرك وجدانه ولهذا فهولاء لاينتفعون بما فى القرآن من آيات الله المسموعه رغم أن الآيات المشهوده تدل على صدق مافيه نتيجه الجهل والغفله ومنهم من يتعلم القران لاجل الوظيفه والعمل فكل ماسبق هو علم حجه على الناس كما روى الحسن البصرى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (العلم علمان علم فى القلب وعلم فى اللسان فعلم القلب هو النافع وعلم اللسان حجه الله على عباده)

وقال الثورى(العلماء ثلاثه فعالم بالله ليس عالما بامر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله وبأمر الله)

رابعا

تختم ايات هذا الدرس بكشف زيغ امه العرب فى المعتقدات وما وصلت إليه فى جاهليتها من الفساد والانحطاط وفساد فى الاخلاق المستهجنه والخرافات المزرية والعادات المرذولة فقال تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له مافي السماوات ومافي الأرض أن عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لاتعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

يخبر الله نبيه أن السبب وراء اقوال المشركين التى كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم بها يعود الى عراقة امه العرب فى الوثنية فهى تعبد من دون الله تعالى الهه شتى وتتعصب لوثنيتها إلى وأقصى حدود التعصب الذميم الذي يشل حركه الفكر عن إدراك الحق ويعمى البصيرة عن اجتلاء نوره (قالوا اتخذ الله ولدا)

فهذه الوثنية قد تملكت عقولهم إذا كيف لعاقل أن يقيس الخالق بالمخلوق فهؤلاء يعجزون عن إدراك الفارق الهائل فالخالق هو الأول والاخر وهو الظاهر والباطن له صفات الكمال ولهذا ينزه الحق سبحانه وتعالى نفسه مما يقول الظالمون فقال تعالى (سبحانه) تنزه من النقص والعيب والشبيه والمثيل تعالى علو كبيرا عما يقولون فابتدا بالدعوه الى الايمان به الفرد الصمد الخالق وحده لا شريك له باسماءه وصفاته وأفعاله وكماله

ثم ياتى بالاداله على كماله وعلوه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فهو الاول والآخر والظاهر والباطن

الدليل الاول

(هو الغني)

أنه تعالى لايحتاج الى احد فهو الغنى عن العالمين فهو تعالى الأول بلا بدايه والآخر بلا نهايه والظاهر والباطن فلا يحتاج للأبناء لان الناس إنما يتولدون لأنهم يريدون بقاء أسماهم بعد موتهم والله تعالى حى دائم لايموت فما حاجته للابن فهذه الحاجه إنما تكون لمن فيه نقص تنزه الله عن ذلك علوا كبيرا

ثم إن الذين يريدون الأبناء إنما يكون لاجل أن يساعدوهم فى بذل الجهد والكسب لاجل الحاجه الى معونتهم خاصه فى الشيخوخه والعجز عن العمل حيث أن وجود الأبناء يوفر للاباء ما يحتاجون إليه وهذا من صفات البشر

أما الله تعالى فهو الخالق الرزاق ليس بحاجه الى النصير ولا المعين ولا إلى أي شى مما يخطر ببالكم ومن ثم فلا حاجه له للولد

فهو تعالى غنيا عن كل شى بأى وجه من الوجوه ولهذا لايمكن أن يتخذ ولد فلا يتخذ ولد الا من كان ناقص فى غناءه

والله خالق الناس كلهم ولا حاجه له فى ولد لانه لايطلب الولد الا ليكون عونا للاباء فى حياتهم وذكرا لهم بعد موتهم

والله غنى عن كل ذلك فلا حاجه له إلى معين يعينه فهو تعالى مالك كل شى وبيده كل شى

الدليل الثانى

(له مافى السماوات ومافي الأرض)

فيه بيان عموم ملكيه الله تعالى لما فى السماوات ومافى الأرض فكلمه موجود فيهما لايخرج عن ملكية الله تعالى لبيان أن الملائكة والانس والجن وكل شىء هو ملك الله تعالى لان المشركون كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله والنصارى يقولون إن عيسى ابن الله ولهذا فإن مجى هذه الكلمه الجامعه العامه بأن كل شى موجود مخلوق ومملوك لله ولا يوجد شى يخرج عن ملكيتة وهذا ينفى دعوى الولد لان الولد يكون من جنس والده فلا يكون مخلوق ومملوكا

الدليل الثالث

(أن عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله مالا تعلمون)

اي هل عندكم حجه وبرهان يدل على أن لله ولد مخلوق تحدهم أن ياتوا بالحجه والبرهان فلما عجزوا عن اقامه الدليل علم بطلان ذلك وهو قول بلا علم

الأمر الثاني

تبين الآية اهميه دراسة طبائع الشعوب فذلك يدلنا على الطفرة فى حياة الامم حتى تتمكن من علاجها فيخبر الحق أن جاهلية هؤلاء القوم راسخه لاتستند إلى دليل ولا حجه فعقيده عباده الاصنام التى يتعصب لها هؤلاء ويزعمون انها دين اسماعيل بن ابراهيم لابرهان لديهم على ذلك ولا علم بل أطلقوا اقوال مرسله بلا دليل وانما تناقلوها عن أسلافهم الذين سرت إليهم الوثنية على يد عمرو ابن لحى بعد أن فشا فيهم الجهل وانقطعت عن بلادهم اثار النبوة لتقادم عهد اسماعيل عليه السلام فوجدت من عقولهم وقلوبهم مرعى خصيبا فملكت موطن الإذعان من عقولهم وتغلغت إلى مقر الوجدان من قلوبهم ومهد لها الجهل سبيلا إلى ذلك الاحتلال الذى أفسد معتقداتهم وتفيد حياتهم وعلى توالى الأعوام رسخت فى أعماق شعورهم رسوخا جعلهم يثورون ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دعاهم إلى الإسلام وبين لهم فساد الوثنية ومنافاتها الفطرة ومجانبتها لمقتضى العقل نتيجه التقليد وبناء العقائد بدون دليل ولهذا قال تعالي. محذرا من ذلك (اتقولون على. الله ما لاتعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون)

أن من أعظم المحرمات القول على الله ما لاتعلم به فكل قول ينبغى أن يكون له دليل ولهذا من قال على الله شى لادليل له فهو مفترى وان وافق الواقع لان ذلك تقليد والتقليد بمعزل عن الاهتداء فمن أراد الفلاح فعليه بالصدق لان الذين يفترون على الله الكذب طريقهم وعر ولا ينحجون بل مصيرهم الهلاك والضياع والتعاسه والخساره الدائمه

ولهذا يبين الله أن الذين يرفضون القبول بمنهج الله لايجدون طريق النجاح والفلاح الحقيقي فهم لاينالون مطلوبهم ولا يحصل لهم مقصودهم فهم إنما يتمتعون فى كفرهم وكذبهم فى الدنيا

ثم يرجعون إلى الله وهناك يكون الحساب والعقاب والثواب والجزاء فالدنيا ومافيها من متاع قليل وتفاهه لأنها قصيره اللذه فأنت تعيش فيها عمرا قصيرا ثم تكون نتيجه عملك فى الدنيا مصدر سعادتك أو تعاستك (متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فهذا التدرج فى الخطاب من الدعوه للإيمان بالله ثم لفت الأنظار إلى مانصبه الله من الداله على كمال قدرتة سبحانه وتعالى وكمال حكمته ثم النعى عليهم عبادتهم لهذه الأصنام العاجزه من دون الله بين لهم أن ما يعبدون لاتنفع ولاتضر ولاتغنى عن الله شئيا ثم أقام لهم الاداله القاطعه على أن هناك يوم اخر يجزى كل امرى بما قدم من خير أو شر تهدف إلى تخليص نفوسهم من الشرك ليتوجهوا إلى الله وحده لا شريك له فالعذاب الذي يتوعدهم به لأنهم اشركوا بالله مالم ينزل به سلطان

القسم الثالث

تتحدث ايات هذا القسم عن الدليل التاريخى وكيفية تفسير الأحداث فى مجال الخير والشر واهميه ربط الديانه والتاريخ عند قراءه الدليل التاريخى يقدم لنا الوحى نماذج تاريخية ترسم حال المؤمنين وحال الكفار والمكذبين وسنه الله فى اهلاك المكذبين وبيان ماهو قانون الاستخلاف المطبق في كل مكان وزمان بان من استكبر وكذب بآيات الله فإن مصيرهم الهلاك فأريد بهذه القصص التى نزلت فى هذه الفترة تحديدا حيث اشتد أذى وتكذيب المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم وازداد اضطهادهم للضعفاء من المسلمين فأراد بهذا تسليه النبى صلى الله

عليه وسلم وتثبيت المؤمنين بتأكيد تحقيق وعد الله للمؤمنين بالنجاه و وتهديد المشركين بتحقيق وعيد الله للكفار بالهلاك من خلال الثلاث القصص (قوم نوح ..وقصه موسى مع فرعون..وقصه قوم يونس)

اولا

(واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم أن كان كبر عليكم مقامي وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فإن توليتم فما سالتكم من أجر أن أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

ابتدأت الايه بهذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (واتل عليهم نبأ نوح) اى اشرح لهم قصه نبى الله نوح فكل سامع يسمع هذا النداء لابد أن يتبادر إلى ذهنه قصه نوح هذا النبى الصالح الذى ظل يدعو قومه الف سنه إلا خمسين عاما انها اطول فتره لنبى يدعو قومه الى الايمان بالله وترك الشرك ويذكرهم بآيات الله وهذا فيه

أن على الداعيه أن يمل عن القيام بالدعوه لان الناس لم يستجيبوا لما يدعوهم إليه فعليك أن تاخذ نوح قدوه حسنه فقد ظل يدعو قومه الف سنه إلا خمسين عاما فلم يضيق ولم يتعب رغم أنه لم يؤمن معه سوى ثلاثه عشر شخص طيله هذه السنوات الطويله

فقد ظل يدعوهم ليلا ونهارا ولم يتوقف فليس الأمر متعلق باستجابه الناس واقتناعهم بما تدعوهم إليه وإن كان هذا مهم لكن عليك أن تدرك أنك تعمل مع الله فإن أمن الناس فذلك فضل من الله وان لم يقتنعوا فأنت ملزم بالاستمرار في الدعوه لدين الله وانظر إلى نوح ماذا قال لقومه (إذ قال لقومه يا قوم أن كان كبر عليكم مقامي وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون)

خاطب قومه قائلا (ياقوم) أنه يتودد إليهم رغم انهم لم يستجيبوا لما يدعوهم إليه طيله تلك الأعوام التى وصلت إلى الف سنه إلا خمسين عاما فهو يذكرهم بصله القربى التى تربطهم به بهذا النداء لم يصاب بالياس منهم مع شعوره أنهم يتضايقون منه فلم يعودوا يطيقوا سماع كلامه ومواعظه ولهذا يقول لهم (أن كان كبر عليكم مقامي وتذكيرى بآيات)

اي ان كانت صدوركم قد ضاقت ذرعا لطول مده دعوتى لكم وتذكيرى لكم بآيات الله فلم تعودوا تتحملوا بقائى فيكم ودعوتى لكم وتذكيرى بآيات الله فانتم وماتريدون أما أنا فلن أتوقف عن المضى فى سبيل الله ولا اعتمد الا على الله تعالى

فأراد بهذا أن تفهم أن المؤمن يستمد عزته من الحق وهو يعتمد على الله يثق بالله ويستعين به وحده لا شريك له ولهذا لايضعف المؤمن ولاينكسر أمام الأزمات والمصائب والمشاكل مهما انصبت عليه لأنه يعتمد على الله وهو يعلم أنه تعالى اشد النصراء حضورا المعتمدين عليه ولهذا فالمسلم يتوكل على الله وحده وهو حسبه دون النصراء والاولياء فهو انس المستوحشين فهذا نوح يقول لقومه (فعلى الله توكلت)

هكذا تربى عقيده الاسلام المسلمين على الثبات والصبر والصمود فلا يضعف المؤمن أمام التحديات والصعوبات والازمات لان قلبه عامر بالإيمان بالله فما الذى يخيفه وهو فى حمى الله فقال تعالى (فاجمعوا امركم وشركاءكم

ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون) يقول لهم أنا ماض فى طريق الحق ولن أتوقف وإذا بلغ الضيق منكم مبلغا فاردتم أن تقفوا فى طريقى فأنى لا اخشاكم ولا أخشى ما تمتعون به من قوة ومال وجاه وسلطان فأنا لن أضعف فاجمعوا امركم وشركاءكم كل ماتملكون من مصادر القوة وأجمعوا كيدكم وخذوا اهبتكم كلكم متضامنين ثم ليكن الأمر واضحا فى نفوسكم وما تعتزمون القيام به بلا تردد والتصميم على تنفيذ كيدكم فأنى لا اخاف ماتدبرون حتى لو نفذتم ذلك فجاه فلن يؤثر بى فقال تعالى (ولاتنظرون) خص ذكر الهجوم عليه بدون سابق انذار بعد ذكر ما سبق لنفى عدم الضعف منه لان الازمه تحدث تشوش فى الذهن نتيجه حصولها بصورة مفاجئة غير متوقعه ولهذا يقول لهم حتى لو كانت اجتمعكم على الغدر بى حصل مفاجاه بشكل غير متوقع فلم تمهلونى فرصه للاستعداد فإن ذلك لن يشكل لى ازمه لان اعتماد ى هو على الله وحده لا شريك له وهو ما يفهم منه فوائد الاحساس بالصله بالله تعالى. والتوكل عليه بأنها تولد فى النفس طاقه وعزيمه وهمه عاليه لان الاحساس بهذه الصله تعنى الانس بجواره تعالى والأمن فى حماه فلا تشعر بقلق الوحده وحيرة الطريق لانك تدرك أن الله معك فتشعر بالأمن من كل ضر ومن كل شر الا ما يشاء الله مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء فالمؤمن ينبغى أن يكون قويا لايخاف الاعداء لانه يستند إلى اقوى الأقوياء فلا يبالى بقوى الدنيا بأسرها فهذا هو سر قوه المؤمن الذى ينبغى أن يتم تربيته عليه من خلال هذه النماذج التى يجب أن تكون قدوة لنا فهذا هو السر وراء قوه أهل الإيمان التى لايفهمها غير المؤمنين فقد شاهدنا على وسائل الإعلام من يقول إن ما تقوم به المقاومه فى فلسطين وغزه العزه تهور و انتحار كيف يتحدون اكبر قوه فى العالم ؟

ونحن نقول أن أصحاب هذه الأصوات قلوبهم خاليه من الايمان الذى يصل القلب بمصدر القوه الكبرى المسيطرة على هذا الكون

فالمؤمن تتصاغر أمامه القوى وتتضاءل أمامه الكثره لانه ينظر أن الذى يقف فى صفه هو الله تعالى فما هى قوه الاعداء فالمسلمين اليوم ليست مشكلتهم العجز بل مشكلتهم غياب النموذج والقدوة الصالحه التى تترجم لهم معانى الايمان وقوته فى الحياة لأنهم يقروان القصص بقلوب غافله فلا يعيشون فيها ما عاشه السابقون فعندما نقرأ قصه نوح علينا أن نعيش فصول القصه نحس بمعاناه سيدنا نوح عليه السلام وهو يدعوا قومه علينا أن تفتدى به وهو يتحدى الطاغوت فى زمانه هذا التحدى الصريح نبحث عن مصدر قوته التى جعلته يقف شامخا لايهاب قوه الكفار أنه الايمان بالله والتوكل على الله فهذه هى القوه التى وقف بها نوح عليه السلام شامخا فهذا نموذج يجسد لنا اهميه اظهار التحدى بالاستعانه بالله وحده والثقه بالله فالقصه لم تتناول تفاصيل السفينه ولا غيرها من الأحداث فى هذه السورة لان الهدف هو إبراز التحدى والاستعانة بالله ونجاه الرسول ومن معه وهم قله وهلاك المكذبين برغم كثرتهم تهدف أن يشاهد المؤمن نجاه المؤمنين وأفعالهم على وجه الحب والإعجاب بهم والتقدير والاحترام لهم فيكون ذلك دافعا للاقتداء بهم ويشاهد الكفار وأحوالهم وافعالهم على وجه البغض والكراهية لهم ولا فعالهم فيكون ذلك باعثا للنفور من الكفر وأهله واجتناب ما كان سببا فى هلاكهم

ومن المهم الإشارة الى حقيقه مهمه هو أن على الداعية أن لايتخذ الدين وسيله لكسب المصالح المادية لان ذلك من أسباب فساد التدين والانحراف عن الهدف فالداعيه عليه أن يكون لديه زهد عما فى ايدى الناس عليه أن يزيل عن نفسه هذه الشبهات ولهذا نجد نوح عليه السلام يخاطب قومه (فإن توليتم فما سالتكم من أجر أن أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين)

يدعوهم إلى أن ينفتحوا على ما يدعوهم إليها بعقولهم وأفكارهم فهو لايطلب منهم أن يتبعوا ما يدعوهم إليه

قسرا ثم يحاول أن يفهمهم أن هروبهم من دعوته (فإن توليتم) ابتعدتم عنى وعن ما أدعوكم إليه إذا كان نتيجة خوفكم من الخسارة المالية التى تتوهمون أنها سوف تترتب عليكم بما قد افرضه عليكم لمصلحتى الشخصية مقابل الدعوه فعليكم أن تطمئنوا اننا لا نطلب اجر من أحد لان الاجر الذى نطلبه هو من الله تعالى

فلن ينقص أجرى برفضكم الايمان بما أدعوكم إليه وانا لن اتزحزج عن عقيدتى عدم ايمانكم لاننى أتلقى الأوامر من الله والله تعالى امرنى أن أكون من المسلمين فهذا يظهر اعتزاز نوح بدينه وعقيدته وهو ما نحتاجه اليوم لنكون قادرين على الوقوف أمام الاعداء ومخططاتهم نقول كلمه الحق بشجاعه لانخاف أحد

فماذا كان موقف قومه لقد كذبوه رفضوا الايمان فماذا كانت النهايه انظر لترى أن الاستعلاء بالحق فيه الفلاح والنجاح والنجاه

لقد انجى الله نوح والقله التى امنت معه واغرق الله المكذبين بالطوفان وقد جعل الله الفئه المؤمنه التى كان لها النجاه هم المستخلفين فى الارض فهذه القصه فيها العظة والعبره لمن تأمل وتدبر لأحوال الفريقين فى الخير والشر فنظر إلى الأسباب التي أدت إلى نجاه المؤمنين والأسباب التي أدت إلى هلاك المكذبين فهذه هى سنه الله فالهلاك للمكذبين والنصر والتمكين للمؤمنين فهو تعالى. لايخدع أولياءه ولايعجز عن نصرتهم بقوته ولايسلمهم لاعداءه وانما هو ابتلاء واختبار وامتحان وتمحيص يعلمهم ويدربهم ويزودهم فى الابتلاء بزاد الطريق

ثانيا

(ثم بعثنا من بعده رسلا إلى اقوامهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا لايؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين)

بعد أن تناولت الآيات السابقه قصه قوم نوح عليه السلام نظرا لأنهم اول من أشرك من بنى ادم وزمانهم بعد ادم بعشره قرون كما ورد عن ابن عباس والله اعلم

المهم أن انحراف قوم نوح عليه السلام الطريق كان سببا لارسال الله نوح إليهم رحمه من الله تعالى بهم يدعوهم إلى التوحيد وعباده وقد كان ايمان فئه قليله مع نوح لاتتجاوز عدد الاصابع بينما الاغلبيه العظمى كفروا وكذبوا نوحا وقد انتهت الايه بتصوير النهايه لكلا الفريقين فقال تعالى. (فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)

تبين الايه الاتى

قاعده النجاه والحياه وقاعدة الهلاك :

أن الذين كان اهلاكهم هم المكذبين المشركين الذين لم يستجيبوا لما دعاهم إليه الرسول ولم يقبلوا الانذار فقد اغرقوا بالطوفان

*

ان الذين كان لهم الحياه هم الذين آمنوا بعقيده التوحيد التى دعاهم إليها نوح عليه السلام فرفضوا الشرك بالله واستسلموا بكليتهم إلى الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد هم الذين سمعوا ما قال لهم الرسول

أن يعبد وا الله وحده ولهذا يقول تعالى بعدها (ثم بعثنا من بعده رسلا إلى اقوامهم فجاءوهم بالبينات)

فهذه الحقيقه التى تتعاقب بها الرسل جميعا على مدار التاريخ فالرسل جاوا لانتشال البشرية من مستنقع الشرك والضلال إلى رحاب الايمان وتفئ ظلال الرحمن والعيش فى كنفه فهدف الرسل هو تصحيح العقيده وإصلاح أوضاع الناس وتقويه صلتهم بالله

*

كما أن قوله تعالى (من بعد ه رسلا إلى اقوامهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليومنؤا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين)

فيه بيان إلى انقسام الناس الذين جاوا من بعد نوح مع أن البشريه كلها مؤمنهم وكافرهم الجميع سلاله اولئك الذين ركبوا مع نوح فوق السفينه فى زمن الطوفان فقال تعالى (وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) ثم اتبع بعدها بقوله تعالي. (ثم بعثنا من بعده رسلا إلى اقوامهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليومنؤا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) فأراد بهذا التنبيه

أن الحادثة تحمل دلاله النعمه والنقمه فالخطاب موجه للمؤمنين بأن عليهم أن يفهموا أنهم يستحقون فضله الله ورحمته فى الدنيا والاخره على غرار إنقاذ الله تعالى الفئة المؤمنة فى زمن الطوفان وهو خطاب موجه للكفار المكذبين فى هذا الزمن وفى كل زمان بأن عليهم أن ينظروا إلى عاقبه المكذبين فهذه سنه الله التى لايخرجون عن دائره العذاب المقرر لكل مكذب فالمكذبين بنوح كان لهم الغرق والهلاك فالمكذبين جماعه واحده لهم طبيعه واحده فى كل زمان يجمعهم القرب النفسى وهو التكذيب والإصرار على الكفر فهم متشابهون لايقبلون الحق ويرفضون الايمان به فما فى نفوس المكذبين من هذا الزمن موجود فى نفوس المكذبين فى زمن نوح ومن جاء من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقال تعالى (فما كانوا ليومنؤا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين)

فالمكذب يفوت على نفسه فرصه عظيمه ينبغى أن يحرص عليها وان يسعى لها حثيثا أنها فرصه التذكر وفرصه العظه والعبره من الماضى والعمل وفق الذكرى فى الحاضر والمستقبل والماضى من أجل اليوم المشهود وهذا إنما يكون بالمشاركه الشعوريه للقصه تشعر كانك فيهم فهل تريد أن يكون موقعك مع المكذبين ام مع المؤمنين عندها سوف تستفيد من هذه القصص أما إذا كان الانسياق وراء الأهواء والنفس الإمارة بالسوء فإن من كان هذا طريقه لاينتفع بقراءه القران ولا يتعظ بالقصص لان الذي يتجاوز الحد ويتعد ما حرم الله فهذا يعاقب بأن يختم على الله قلبه فتكون على قلبه اقفال وعلى إرادته قيود تمنعه من قبول الحق وبالتالى فلا يعود صالحا لاستقبال انوار الله لانه قد عطل مدراكه واغلق ادوات العلم فلا ينتفع

ثالثا

تنتقل الآيات من الإيجاز التى تحدثته عنه والمتعلق بهلاك الأمم السابقة لأنها كذبت الرسل ورفضت القبول بمنهج الله إلى قصه موسى عليه السلام مع الفراعنه وهى تتكون من خمس مواقف

الموقف الاول

موقف التحدى والتكذيب

فقال تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بایاتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

الدرس الاول

اهميه الاستعلاء والاعتزاز بالحق لمواجهه التحديات حيث يتضح هذا جليا من قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بایاتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

تبين الآية أنه تعالى أرسل موسى عليه السلام وأخاه هارون عليه السلام إلى من ؟

أنهما ارسلا إلى فرعون وملائه فإذا كان اسم فرعون بحد ذاته يستخدم للإشارة على كل معانى القوة والجبروت والاستبداد والطغيان فهو رمز كل ذلك ولهذا عندما عندما يسمع السامع هذا الاسم لابد أنه يتكون فى ذهنه صوره لشخص مرعب لارحمه فى قلبه طغيانه وظلمه يفوق كل تصور

فنحن اليوم عندما نتحدث عن نظام الأسد فى سوريا يخطر ببالنا مناظر الرعب والذبح والمسالخ والمكابس فى سجن صيد نايا فلو طلب منك مثلا أن تذهب الى بشار الأسد تدعوه ان يتوقف عن هذا الأسلوب فرضا قبل أن يفر هاربا إلى روسيا وانت تمتلك هذه المعلومات عن بطشه فإنك سوف ترتعش من كل مفصل

فما بالك وان موسى قد تربى فى قصر فرعون وهو يعلم ظلم فرعون وبطشة بل إن موسى كان اصلا مطلوبا لفرعون بتهمه القتل ثم إن المساله ليست بجبروت فرعون فقط مضافا لذلك المنظومه الاستبدادية التى كانت تحكم مصر أنها منظومه عنصريه التى كانت تستخدم العقيده العنصريه الطبقيه التى كان بناء المجتمع المصري على أساسها لتبرير كافه انواع الاستغلال الطبقى العنصرى وقد كانوا يرتكبون المجازر وفقا لهذه النظريه

وعناصر هذه المنظومه هم (الملاء) اى الأكابر ورؤساء القوم هم الوجهاء من يملكون سلطه القرار فقد كلف موسى بالذهاب إلى فرعون الطاغيه وملائه

فكيف كان رد موسى هل تردد أو تعذر بأن القوم يمتلكون القدرة والغلبه والقوه المادية بكل ما تحمل من معنى !

لقد نفذ موسى وهارون الأمر لم يخافوا من العنصرين وزعيمهم فرعون فلم يتلكوا من تنفيذ الأمر وهم يعلمون بأن العنصريه متغلله فى جذور فرعون وملائه أنهم متعصبون لعنصريتهم إلى أبعد الحدود وهم لن يتورعوا أن يثبتوا امتيازاتهم بالقتل فهذا شأن كل دعوى عنصريه كما نرى اليوم فى فلسطين كيف أن الاحتلال الصهيوني العنصري يذبح ويبطش بالعزل

المهم هنا أن موسى وهارون لم يخافا من بطش الفراعنه فلم يقولا كما هو شأن البعض لماذا ازج بنفسى فى أمور لاطاقه لى بها لوجود تفاوت بين القوى من حيث المقارنه الماديه فلم يكن ذلك التفاوت سببا لترك التطبيق الاجتماعى لافكارهم التى فيها الدعوه الى التوحيد التى تعنى العدل والمساواة والحرية أنه بالنظر إلى دخول موسى وهارون على فرعون وملائه وهما يلبسان ثياب من الصوف رثة لايملكان سوى عصا يتكا عليها موسى عليه السلام يخاطبان فرعون وملائه بأنه إذا أردت بقاء ملكك ودوام سلطانك فعليك أن تؤمن بالله

أن هذا الموقف ينبغى أن يقتدى به كل داعيه اليوم عليك الاستعلاء بالحق فإن هذا الاستعلاء يجعلك تقول الحق

ولاتخاف من أحد فلا تنظر إلى قوه الاعداء عندما يتعلق الأمر بالحق والباطل لانخاف لؤم المكذبين طالما أنك مع الحق فكثير من أهل العلم سقطوا فى وحل فكره تفادى اللؤم فقد أدى خوفهم من الزحف بأنفسهم فى مقاومة الاستبداد أنهم تركوا التطبيق العملي لافكارهم وجعلوها مجرد شعارات كما أنهم لم يقوموا باحتجاج فعال ضد الانحراف بنتائج دراستهم وابحاثهم فصارت مجرد نظريات لماذا لأنهم لم يومنوا حقيقه بأن الله معهم لأنهم لاعزائم لهم والسبب أنهم لم يستمدوا العز من الحق بل كان استعلاءهم بالجاه والمال والسلطان والقوه للاسف الشديد ولهذا نلاحظ أن الكثير من الحركات الإسلامية ترواح مكانها لأنها لاتمتلك الشجاعه الكافيه للصدع بالحق تخاف من قوه المنظومه الاستبدادية ولهذا يقول الحق انظروا الى موسى وهارون كيف أنهما دخلا على فرعون وملائه بهذه الطريقة التى جعلت فرعون وملائه يتعجبون ويتساءلون ما مصدر قوه موسى حتى يتحدث مع فرعون بهذه الجرائه أحدثت اهتزازا فى كيانهم لكنهم قابلوا ذلك بالكبر والاحتقار لشان موسى وهارون لأنهم فقراء بنظرهم لقد نظروا للأمور نظره مادية اغترارا منهم بالغنى والاقتدار فقد التفت فرعون إلى من حوله وقال الا تعجبون من حال هذان الرجلان يشرطان لى دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القي عليهما اساورة من ذهب اعظاما للمال جمعه واحتقارا للصوف ولبسه

كما قال تعالى (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القى عليه اسورة من ذهب ...الخ

لقد قابلوا الدعوه التى جاءهم بها موسى وهارون وهى عباده الله وحده لا شريك له بالكبر والاحتقار لشان موسى وهارون لأنهم فقراء بنظرهم لقد نظروا للأمور نظره مادية اغترارا منهم بالغنى والاقتدار فقال كيف يختار الله رسولا فقير لايملك من حطام الدنيا شى فلو كان هناك رسول فأنا أحق بذلك لما امتلك من مؤهلات المال والجاه والسلطان والنفوذ والقوة فقال ماقال جهلا منه بمواقع الفتنة والاختبار فى مواضع الغنى والاقتدار فهو لم يدرك أن الله يختبر عباده المستكبربن فى أنفسهم باوليائه المستضعفين فى أعينهم فقال تعالى(فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

ولهذا وصف الله تعصب فرعون وساده قومه لاثار مواقع النعم ورفضهم الاستكانه لأمر الله والاستسلام لطاعته الذى دعاهم إليه موسى وهارون ناتج عن الكبر والتعالى الناشى عن العصبيه العنصرية فى أعماق أنفسهم فلم يكن لديهم رغبه لقبول الحق أو الاستماع له

الدرس الثاني

تبين الآية أن كل من عرف الحق ولم يقبل به فهو فاجر مكذب متمرد عن الحق لاتنقصه الآيات والبراهين كى يستجيب ويقبل الحق لان الاصل أن معرفه الحق توجب الإقرار به إذا كان سبب عدم العلم ناشى عن الجهل بالحق أما إذا عرفه ولم يقر به فهذا عائد إلى وجود عارض ومانع نفسى (الكبر والحسد) يمنعه من النظر أو الاستماع للحق نتيجه التصور الباطل وسببه عدم غنى النفس بالحق حيث تتعاض عنه بالخيال الباطل فتستعلى بالمال والجاه والسلطان والنفوذ فتكذيب هؤلاء هو تكذيب استكبار

ولهذا يقول تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا أنا هذا لسحر مبين)

فالجريمة فى غايه الشناعه لماذا ؟

لأنهم شاهدوا الآيات والمعجزات التى جاء بها موسى من اين ؟

من عند ربه فالاصل أن معرفه معجزه العصا أنها من عند الله يشكل خشية مانعه من اتباع الهوى فالخوف من الله لو كان التلقى منهم لما جاءهم من عند الله بالخضوع والاذعان والخشوع كان سوف يشكل قوه تنهى النفس عن الهوى فالخشية سوف تدفع عنهم الهوى وعندها سوف تبصر قلوبهم وتعلم ويحصل لهم النجاه والسلامه لكنهم لم يقدروا الله حق قدره فقد بلغ بهم الوقاحه الناتجه عن العناد والكبر والإصرار على. التكذيب رغم أن نفوسهم أيقنت أنه الحق من ربهم لكن جحدوها ظلما وعلوا(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)

اى اردوا العلوا فى الارض ولهذا لجأوا إلى تشويه المعلومه المتاحه أمامهم لأنها لم تتناسب مع رغباتهم فقالوا (أن هذا لسحر مبين)

فسبب الازمه لدى هؤلاء هو عدم غنى النفس بالحق ينظرون للحق أنه يهدد مصالحهم وبدلا من القبول بالحق بعد توفر المعلومه وتفادى الخطر القادم بالإيمان الا أنهم فوتوا على أنفسهم الفرصه لعدم الرغبه بتصديق المعلومه ولهذا لجأوا إلى تشويه صورة الحقيقه

من خلال الاشاعات الباطله التى نسج فيها هؤلاءالاباطيل الخياليه الكاذبه بأن ماجاء به موسى سحر لتشويه صورة الحقيقه لم يكتفوا بأن جعلوه ابطل الباطل السحر الذي هو. التمويه بل اردوا جعله سحرا مبينا ظاهرا وهو الحق المبين

فعليك أن تفهم حقيقه المعركه مع أهل الباطل فأنت سوف تتعرض للدعايه الإعلامية التى تنتقص فيها من شخصيتك والاستهزاء بأفكارك فعليك أن تكون قادرا على احتواء الموقف ومواجهه ذلك بالحوار والمنطق القادر على إقناع أصحاب العقول وافحام المكذبين فقال تعالى (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولايفلح الساحرون)

منكرا عليهم هذا الافتراء كيف تصفون الحق بأنه سحر كيف تفوتون على انفسكم فرصه الفلاح التى جاء بها الحق كيف يكون الاستغناء منكم عن الحق فتوجه إليهم بهذه الاسئله بهدف ازاله التصورات الباطله من خلال هذه الأسئلة التى يتعجب من حالهم لاخراجهم من ظلمات الخيالات التى تتعاض بها النفس عند الاستعلاء بالباطل يقول لهم أن السحر لايهدف إلى إصلاح أحوال الناس وهدايتهم وهو لايحمل فكره ولايدعوا إلى عقيده وليس من أعمال السحر نشر وتنميه جوانب الخير ومحاصرة الشر واسبابها ثم إن الساحر لابد أن ينكشف أمره ويظهر كذبه ويفتضح شأنه

الدرس الثالث

أن أخطر شى على المجتمعات هو سفه النفس فهو اخطر من سفه العقل لانه هو المحرك له والباعث على إيجاد الكفر والاجرام حيث أن سفه النفس مرض ناتج عن ترسخ الشبهه لأنها موافقة لهوى النفس فهذا الداء يستمد مادتة من الشبهة العقلية والشهوة النفسية ولهذا يكون اكثر تأثيرا واخطر نتيجة لان الشبهة عندما ترد على العقل ولاتكون موافقة لهوى النفس فإنها لاتؤثر كثيرا كونها تدفعها وتتجاهلها لكن الشبهة التى تلاقى القبول من النفس تترسخ وتأخذ طريقها إلى القلب وهذا يتضح من خلال جواب فرعون وملائه بعد ذلك الحوار الذى دار بينهم وبين موسى وبعد شاهدوا معجزة العصا واليد فانظر ماذا كان جوابهم قال تعالى

(قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبريا ء فى الارض ومانحن لكما بمؤمنين)

تستمر الآيات بنقل صورة المنظومه الاستبدادية العنصرية بأنها ترفض القبول بأى بدائل حيث من الصعوبه عليهم التسليم بالحق مهما كانت البراهين والحجج والاداله لماذا ؟

لأنهم ينظرون للبدائل أنها تمثل اختبارا معذبا لنفوسهم فلا يقوى عليه إلا من كانت نفوسهم خاليه من أمراض الحسد والكبر وهم قله فدفع الهوى أمر مهم للقبول بالحق ولهذا فإن أصحاب النفوس المريضه يفضلون الدعه والتكريم ولو على حساب الصدق والتكامل ويتفادون القبول بالحق وإقناع أنفسهم بأن الطريق الذى يسيرون فيه هو الطريق الصحيح نفسه

لان صاحب الهوى يبحث عن مبررلما يريد فتاتى الشبهه العارضة فيزداد تعلقا بها حتى تصبح عقيدة راسخة وان كانت مخالفه لعقله وفطرته و لا دليل له عليها الا اتباع الهوى فقال تعالى. (قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا)فلا حجه لهم إلا التقليد الأعمى للاباء والأجداد وهم من أجل هذه الدعوى الواهيه مصرون على شركهم اتباعا لاهواء نفوسهم فهم يرون أن ما جاء به الحق من قيم ومبادئ تمثل خطرا على امتيازاتهم وسلطانهم ونفوذهم تهدد ما يستمدون منه العزه والقوه يخافون من تحطيم معتقداتهم الموروثه التى يقوم عليها نظامهم وسلطانهم والتى يستمدون منها كل الامتيازات ولهذا يرفضون التحول عن المفاسد التى احكمتها الوراثه الزمنيه فى نفوسهم حتى صارت جزءا من نسيجهم العقلى فكان الاحتجاج بدين الآباء لان النفس تميل إلى الفته ونشات عليه مما يخالف الدين الحق خاصه مع وجود تلاقى الشبهات مع هوى النفس فإن العقل حينها لايسترشد بالشرع القويم ولا يستجيب لنداء الفطره فالانسان يكون اسير لهوى النفس الإمارة بالسوء والقلب المشحون بالشبهات والشهوات ولهذا نرى تفضيل هؤلاء اختيار الباطل على حساب الصدق والحق والتكامل نتيجه هذا الداء الخطير (سفه النفس) فقد عرفوا أنه الحق واستيقنتها أنفسهم ومع ذلك أصروا على الكفر لان من مات ضميره لايري الحق الا من زوايه مصالحه الخاصه الشخصيه فهو لابد أن يرفض كل صور التحرر ولابد أن يقنع نفسه أن الطريق الذي يسير فيه هو نفسه الطريق الصحيح اتباعا لهوى نفسه الباعث على الكفر فيكون معيار الحق عنده هو موافقه الامر لمصالحه الذاتية وان كانت تشكل تهديد لحياه ومصالح الاخرين ولهذا فانك تشاهد امثال هؤلاء يلجأون إلى. تشويه صوره كل من يدعوا الى الحق لمنع الناس من الاستماع له يريدون أن يضعوا حاجز بين الداعيه والناس فتجدهم يقولون عن الدعاه أنهم يريدون من هذا جمع المال والشهرة والتصدر والعلو فى الارض والملاحظ أن الطغاه والمستكبرين ممن يكون لهم الملك والسلطان أنهم يحاولون إسقاط امراضهم على الآخرين

فهم يفسرون ما يدعوهم إليه أهل الإصلاح فى الارض ان لهم اغراض خفيه من اراده العلو فى الارض والاستئثار بالحكم أنهم يفكرون بهذه العقليه والنفسيه الخبيثة فينظرون للآخرين أنهم أمثالهم ولهذا نجد أن من ضمن ردهم هو قولهم

(وتكون لكما الكبرياء فى الارض)

فاردوا بهذا تهيج الناس بأن ما يدعوهم إليه موسى يهدد المجتمع كله بتصوير أن لهم أمور سياسيه وراء دعوتهم للإيمان والتحرر من الظلم والاضطهاد الفرعونى وهذا رد يدل على عجزهم عن الرد المناهض لما جاءهم به موسى من ربه ويدل على العناد والإصرار على الباطل رغم وضوح الحق نتيجه الحسد ولهذا قالوا (ومانحن لكما بمؤمنين)

الموقف الثاني

تستمر الآيات بنقل صورة المعركه بين الحق والباطل فالحق متمثل بموسى وهارون والباطل متمثل بفرعون وملائه فقال تعالى

اولا

أن هذا الموقف قد ابتدأ بقوله تعالى (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم)

هذا الموقف الذى يطلب فيه فرعون من خدمه وأعوانه وملائه أن يحضر وا له كل ساحر متفنن بعلوم السحر لمغالبه موسى بعد أن شاهد فرعون وملائه معجزه العصا التى ألقاها موسى عليهم فى قصر فرعون فإذا هى ثعبان مبين واليد التى أخرجها من جيبه فإذا هى بيضاء تسر الناظرين وقد بينت الآية السابقة أن المنظومه الاستبدادية (الوثنية السياسيه الاستبدادية) فى الدوله العميقة قد شعرت أن ماجاء به موسى من معجزه ومبادى وقيم الحرية والعدالة والمساواة تشكل خطراً على استقرار النظام الاستبدادى الموروث من الآباء والأجداد الذى يستمدون منه السلطه فى ارض مصر ونظرا للأجواء التى كانت تسود الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر المظلم الملبد بغيوم السحر والشعوذه التى اعتمدوا عليها كوسائل للاستبداد و ادوات لتطويع الناس على قبول حكم المنظومة العنصريه الاستبدادية والغى العقول ولترسيخ حكم الفراعنه فى حياة الناس بالزعم أنها تستمد قوتها من الالهه وان فرعون من نسل الالهه وقد كانت هذه المنظومه هرمية تبدأ من فرعون ويليه هامان وقارون وطبقه الأثرياء والقاده والجنود ثم رجال الدين والإعلاميين الذين يروجون لافكار الاستبداد وهم السحره ولهذا كان لفن السحر رواجا كبيرا فى أرجاء الولايات التابعه لفرعون فمهمه السحره هى الدفاع عن الدوله العميقه وأفكارها أمام اى افكار يمكن أن تودى إلى يقظه الشعب وتفكيره بحقوقه المشروعة كان يطالب بحريته أو يطالب بالمواطنه المتساويه والغاء الطبقات التى كان تقسيم المجتمع على أساسها كما قال تعالى (أن فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا ...الخ

ولهذا كان من الممكن لفرعون وملائه أن يكتفوا بتنفيذ مطلب موسى بإرسال بنى إسرائيل معه بعدما شاهدوا المعجزة العظيمه داخل قصر فرعون لكن الخوف من سقوط الفكره للمنظومه الاستبدادية العنصرية نظرا لأن البعض ممن حضر الموقف انبهر بما شاهد من تحول العصا إلى ثعبان فخاف الفراعنه من اذاعه ذلك بين العوام ولهذا قالوا لفرعون (ارجاه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم)

كان هذا المقترح منهم لاجل إنهاء التحدى الذى انتهى فى باحة القصر لصالح موسى ولهذا ابتدأت الآيات بقوله تعالى (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم)

فقد أراد فرعون بهذا الاتى :_

أن يستنصر بالسحره على ماجاء به موسى من ربه من معجزات وايات ربانيه أراد معارضه الحق من خلال الاستعانه بالسحره لتبقى ثقة الناس بفكرة أن فرعون من سلاله الالهه وان له سلطه الرب عليهم ولهذا طلب من الملاء والساده والاكابر أن يحضروا له كل ماهر بالسحر متفنن بهذا العلم فأرسل فى مدين مصر لياتوه بأنواع السحره على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم

فقد ظن فرعون أنه سوف يستنصر بالسحره فى هذه المعركه وحدد للمبارزه موعد ا هو يوم الزينه عاشوراء حيث

جمع الناس لذلك المكان طمعا من فرعون بتحقيق النصر والغلبه على موسى

وكما هى عاده الطغاه والمستبدين فى كل زمان أنهم يرغبون ان يتهرج الناس بمن يعارضهم لاجل تكميم الأفواه لكن لو تأملنا لحال الطغاه فى هذا العصر نجد أنهم أقبح واشد طغيانا من فرعون على الاقل جعل فرعون المبارزه بين موسى والسحره فى مكان عام وفى يوم مشهور أنه يوم الزينة أما فراعنه هذا الزمان فإنهم لايسمحون أن تتحدث فى وسائل التواصل الاجتماعي لايقبلون بمواجهه الحجه بالحجه والفكره بالفكره

والسؤال هنا :

لماذا يحصل تكميم الأفواه فى الانظمه الاستبدادية ويحصل تهريج الناس بالمعارضين للنظام حتى ولو كانوا على حق ؟

لان الناس فى الانظمه الاستبدادية يكونون واقعين بين حدين الرياء والوهم فى الحد الأقصى وفى الناحيه الثانيه الوحشيه واليأس فى حدهما الأقصى الآخر تشكل هذه الظروف ضغط على الناس تجعل مقاومة الاستبداد شبه منعدمه فأنت إذا لم توافق النظام بكل ما يقول سوف تواجه عن طريق القوه ولهذا تزدهر فى الانظمه الاستبدادية تجارة الرياء والنفاق والذل والهون وتصبح هذه التجارة سمات يتسم بها الناس ولهذا عندما جمع الناس فى المكان قالوا لهم (فجمع السحره لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحره أن كانوا هم الغالبين) (سورة الشعراء) يعنى هم الغالبين على موسى وهارون استهزاء بهما ولهذا لما جاء السحرة واصطفوا وطلبوا من فرعون الاجر والمال أن هم انتصروا على موسى ووعدهم بذلك فكان حضروهم إلى الموقف وهم واثقون من أنفسهم وقدرتهم ولهذا قالوا لموسى أما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين وقد حذف هذا الكلام هنا حيث اكتفى بدلاله قوله (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون) فلما القوا وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم فقال تعالى فى موضع آخر (فاوجس فى نفسه خيفه موسى قلنا لاتخاف انك انت الاعلى وألقى مافى يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

فقد اراد فرعون أن يعارض الحق. وان يتهرج الناس بموسى من خلال الاستعانه بالسحره ولكن الذى حصل العكس فقد القى السحره ساجدين

ثانيا

(فلما جاء السحره قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون فلما القوا قال ماجئتم به السحر أن الله سيبطله أن الله لايصلح عمل المفسدين ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون)

الأمر الأول

تتحدث الايه هنا أن موسى عليه السلام كان متوكلا على الله مع الاخذ بالاسباب ومن ذلك أنه عندما طلب منه السحره الاختيار بين أن يبدأ هو بطرح عصاه أرضا ليشاهد الناس ما عنده ام يطرحون هم حبالهم وعصيهم فقد اختار أن يكون ما يطرحه هو فى الاخير وجعل لهم البدء فى الإلقاء فقال (القوا ما أنتم ملقون)

فقد أراد السيطره على الأحداث نظرا لأنه يعلم أن الناس واقعين بين الرياء والوهم وبين الوحشية واليأس ولهذا

أراد أن يكون البدايه للسحره حتى يري الناس ما صنعوا ثم ياتى بالحق بعده فيدمغ به الباطل

الأمر الثاني

كان أسلوب موسى مذهل فى احتواء الموقف الذى عرض فيه السحره سحرهم الذى كان عظيما فقد خاف موسى فى بدايه الامر من تنطوى الحيله على الناس ولهذا احتوى موسى الموقف لشد انتباه الناس إلى ضعف الباطل وحقارتةو لو سحروا الأعين ولهذا قال (فلما القوا قال لهم موسى ماجئتم به السحر أن الله سيبطله أن الله لايصلح عمل المفسدين ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون)

وهذا فيه تصغير لشان السحر وتوبيخ لهم على من قرأ (ما جئتم به السحر) أنه استفهام نظرا لاختلاف القراء فى قراءه (ما جئتم به السحر) بين قائل أنها استفهام وبين قائل أنها على وجه الخبر عن موسى فذهب من قال أنه على وجه الخبر وقد كان منهم الاحتجاج بأن موسى لم يكن شاكا بأن ما جاوا به سحر لاحقيقة له فيحتاج إلى استخبار السحره عن ما هو جاوا به اضافه الى انه علم من مجى السحره إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذى كان الله أتاه فلم يكونوا يصدقونه فى الخبر عما جاء أنه من الباطل فيستخبرهم أو يستخبر عنه لكنه عليه السلام أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذى أتاه ومبطل كيدهم ولهذا استعمل الالف واللام (السحر) لانه معهود عند الطرفين طالما أنهم قد توعدوه بالسحر فقال فرعون(ائتونى بكل ساحر عليم)

والحقيقه ان هذا لا يمنع الاستفهام وهو ليس يراد به الاستخبار بل المراد به ازاله اللبس على الناس خاصه بعدما شاهد موسى أن ما جاء به السحره كان عظيما فاخبرنا الله فى سورة طه أنه اوجس خيفه فى نفسه من أن يفتتن الناس فأراد معالجه حاله انخفاض الروية التى كان الناس يعيشونها فى ذلك العصر لكثافه ضبابية الأحداث فالناس قد اختلطت الأمور لدي الكثير منهم ويصعب عليهم التميزبين الأضداد فقد قالوا لموسى أن ما جاء به هو سحر فقال (اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولايفلح الساحرون)

ولهذا فإن الاستفهام هنا هو لازاله هذا التشابه الذى صار الناس يخلطون فيه بين الأحوال الظاهره الذى حدث التمازج بين العلوم الإيجابية والسلبية فى نظر الناس رغم التنافر بينهما بفعل الطغاه والمستبدين الذين حولوا الدين إلى خرافه وأوهام أضافه إلى ضعف فى نفوس أهل الحق وتكاتف وتظافر أهل الباطل ولهذا فإن الاستفهام الانكاري هنا هو لتوبيخ من قالوا عن المعجزه التى جاء بها موسى أنها سحر ومن تصوروا أن السحر يمكن أن يقف أمام الحق والايه والمعجزه والدين فأراد بهذا مساعده الناس على الرؤيه بازاحه الضباب عن أعينهم من خلال الاستفهام الذى يطلب منهم النظر العميق فى فقه التحولات ومافيها من إشارات ودلالات تحتاج إلى فهم وتحليل فالعلوم الايجابيه تختلف عن العلوم السلبيه وبينهما قوه تنافر تجعل كلا منهما فى مكان بعيد عن الآخر لان العلم الايجابى النافع هو دعوه الى الصراط المستقيم هو الدعوه الالهيه التى حملها الانبياء والمرسلين والعلماء من ادم إلى قيام الساعه وقصدهم الأخذ بيد البشريه الى النجاه والسلامه والفوز والنجاح في الدنيا والاخره أما العلم السلبى كالسحر والتنجيم وقراءه الكف فهولاء تابعون للشيطان ويقفون فى صف الباطل ولهذا جاء بصيغه تحمل صوره الخبر وصوره الاستفهام لبيان أن الحق يختلف عن السحر لان السحر مهما كان شأنه فالله يذهب اثاره ويمحقه ولايمكن أن يقف أمام الحق فلابد أن يظهر الله الحق فيدمغ الباطل فالسحر وما يترتب عليه من خطر وضرر وفساد فى الارض وإفساد كلها علوم سلبية ذات ضرر وشر مستطير بينما العلم النافع الايجابى يجعل العبد يسعى إلى طلب إرضاء الله تعالى وتسخير الجهود المبذولة في إيجابيات خدمه البشرية والتطور والنفع

وفى الدفاع عن الحق الالهى بكافه انواع الاسلحه والوسائل وتوظيفها توظيفا واعيا لخدمه الحياة الإنسانية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وصناعيا بما فيه العمل الصالح طاعه لله فهناك فرق بين أولياء ومن يستمد علمه من منهج الله وبين التوليفات الوضعيه التابع للمشروع الشيطانى الذى يقوم مشروعه على أساس الافساد فى الارض فكل واحد له وجهه هو موليها ولهذا فإن النصر والغلبه والتمكين هو لمن اتبع منهج الله فالله وعد بإظهار دينه وتبينه وازهاق الباطل بكلماته التكوينه والقدريه (كن فيكون) وكلماته الشرعيه الأحكام والتكاليف والشرائع ولو ابغض ذلك المجرمون

فقد يتوهم الكافر أنه ذكى وقادر على هزيمه الحق لكن الله غالب على امره ولو كره المجرمون فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن يخرج الناس من حاله الرياء والوهم ومن الياس والوحشية التى تعد حدى الانظمه الاستبدادية كما أوضحنا سابقا ومن هنا كان تعدد المعانى بين الاستفهام والخبر لاجل اخراج الناس من حاله تكميم الأفواه نتيجه وقوعهم بين حدى الانظمه الاستبدادية ولهذا كان ايمان السحره ولم يخافوا بطش فرعون الذى توعدهم بقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم على إيمانهم فلم يبالوا بما يهددهم به

المفهوم الثانى

أن يكون هم الناس فى حياتهم العمل الصالح والمبادرة إلى الله بالعمل الصالح بالمفهوم الشامل سواء العبادات أو العمل فى شؤؤن الديانه أو فى شؤون الحياه الدنيونيه لان الحضاره الفراعنه كانت قائمه على ابداعات متنوعه منها الزراعه والصناعة وفن البناء واستخراج المعادن ونظام الرأى والسدود والنظام الإدارى فأراد أن يتركوا ثقافه الشر وان يكون تسخير هذه العلوم فى خدمه الحق والناس بغرض إرضاء الله

المفهوم الثالث

أن اساس النجاه هو العمل الصالح فهذا موضوع هام فى فقه التحولات وفى الصراع مع أهل الباطل فعندما يظهر الفساد عليك بالعمل الصالح فلا يستعاض عن الأعمال الصالحه شى فالعمل الفاسد وان لقى رواج فى وقت ما فإن مصيره الزوال والمحق فاللازم على العبد مراقبه نفسه على الدوام ومراجعة حساباته فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بادروا بالأعمال الصالحه فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل)

المفهوم الرابع

على المؤمن عندما يخوض اى معركه مع أهل الباطل أن يثق بنصر الله لاولياءه عليه أن يثق بتحقيق الله وعده ولو كره الكافرون كما قال تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

وهذا سر اخبار موسى فى هذا المقام بأن الله سوف يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون .

فهذا الاعلان يعنى أن المسلم واثقا باليقين من تحقيق الله وعده فقد كان ابوبكر الصديق رضي الله عنه إذا اغزى

جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجاح وكان عمر يفعل ذلك أيضا حتى وقف قاده الجيوش على هذا الامر فى كل معركه يخوضنها مع أهل الباطل حتى حصل الفتح العظيم لكل فارس فوعد الله ثابت بالنصر لاولياءه والويل والدمار لأعداء الدين

االموقف الثالث

تنتقل الآيات من موقف التحدى مع فرعون والسحره الى موقف الحاضرين من دعوه موسى عليه السلام بعدما شاهدوا المعجزه العظيمه فى هذا الموقف سواء من الأقباط أو بنى إسرائيل فى إطار الحديث عن مرحله العمل الثورى ضد الاستبداد الذى خاضه موسى فى معركه تحرير بنى إسرائيل من أسر الظلم والطغيان وتحرير الناس من الوهم والرياء والوحشيه واليأس فقال تعالى

(فما أمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وأنه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الظالمين واوحينا الى موسى وأخيه أن تبوء لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)

المقدمه

أن مما يجب أن نقف عنده هو أن معركه موسى مع الباطل كانت صعبه حيث أنه كان يواجه منظومه استبداديه مترابطه قائمه على أساس العنصريه والمعلوم أن اصعب معركة يخوضها الثوار فى الحياة هى الصراع مع العنصريه خاصه اذا كانت هذه الفكره ذات جذور طويله الأمد لانك تجد صعوبه فى تفكيك مكونات وعناصر المنظومه الاستبدادية العنصرية حيث أنك تجد مقاومه عنيفه من كلا الطرفين فنجد الاغلبيه العظمى التى يمارس الاضطهاد العنصرى بحقها من اكبر العوائق التى تمنع التقدم وتقف فى طريق التحرير فضلا عن الاقليه التى ترى نفسها ذات عنصر. سادى يستمد افضليته من الالهه وهذا كله يعود إلى التفريط بامانه العلم وأمانه الحكم لأننا ندرك أن بنى إسرائيل كانوا فى حياه يوسف عليه السلام يملكون سلطه الوزاره ويملكون سلطه العلم وقد تمكن الفراعنه من السيطرة على الحكم وازاحه بنى إسرائيل عن الوزاره ثم عمل على اشاعه جو التنافس على الدنيا والتحريش بين الناس بتقسيم الناس إلى طوائف وطبقات واستغل صمت أهل العلم الذين اغراءهم بالمال ومن هنا بدأ الانحراف بالتفريط بامانه العلم والحكم فهما أكثر ما يفتن به الناس فالانحراف يبدأ منهما فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها) ويقول (أن الشيطان ايس أن يعبد فى جزيرة العرب ولكن أخشى التحريش بينهم)

فتهمه التشرك فى أمرين التنافس فى الدنيا والتحريش بين الناس وهذه هى السياسيه التى استخدمها فرعون للسيطره على الناس كما قال تعالى (وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفه منهم) حيث أنه سيطر على السلطه وصار القرار بيده وكذلك أسقط قوه العلم الذى تركه يوسف حيث سعى إلى اعاده صياغه المجتمع فسلب عن بنى إسرائيل الوزاره التى ورثوها بعد يوسف وبعد إسقاط قرار الحكم لجأ إلى إسقاط سلطه العلم عن بنى إسرائيل واستبدالها بعلماء السحر والخرافات وجعل من بنى إسرائيل من يمارس هذه العلوم السلبيه لاجل إفراغ عقولهم من عقيدتهم وثوابت دينهم وتحويلهم إلى نموذج الخنوع الذى يخدم أعداء الدين ويعمل لصالح الكفر كما هو حال المسلمين اليوم عندما سيطر الغرب على مركز العلم ومركز القرار فى الامه حيث أدى إلى الاضطراب وفقدان

الهوية الإسلامية واستبدالها بالقوميات فعاشت الامه بثوابت غير ثوابت الاسلام ولهذا يقول تعالى بعدها

(فما أمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وأنه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين

وهذا فيه

اولا

الايه فيها انتقال من موقف التحدى الذى انتهى يوم الزينة بهزيمة السحرة وانتصار الحق الذى جاء به موسى والذى صدق فيه موسى عندما أخبرهم بأن الحق لابد أن يظهر ولو كره المجرمون لان الله لايخلف وعده وهى سنه الله أن يظهر الحق ويغلب الباطل التى انتهت بها الآيات (ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون) فهذه سنه الله أن يظهر الحق ويغلب الباطل وقد قال تعالى فى سورة أخرى عن السحره (فغلبوا هنالك)

وهنا لابد أن السامع يتشوق لمعرفه نتيجة ظهور الحق وانتصاره وهزيمة الباطل يتشوق لمعرفه رده فعل الناس الحاضرين فى هذا الموقف ولهذا ياتى الجواب (فما أمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وأنه لمن المسرفين)

وقد اختلف المفسرون بشأن الضمير فى كلمه (قومه) على من يعود بين قائل أنه يعود على موسى لانه اقرب إلى الضمير وبين قائل أنه يعود على فرعون ؟ وكذلك اختلف بشأن ملئهم بين قائل أنها تعود إلى ساده بنى إسرائيل وبين قائل أنهم أعوان فرعون وأركان النظام السياسي الاستبدادى

ولهذا قبل إيضاح كل ذلك لابد لابد أن نعرف ما هى دعوه موسى عليه السلام التى دعا إليها الناس ؟

نحن نعلم أن دعوه موسى عليه السلام لها عرضين الأول /

دعوه فرعون إلى إصلاح الأوضاع السياسية باعتباره راس المنظومه الاستبدادية (الوثنية السياسية الاستبدادية)

والثاني/ تحرير بنى إسرائيل من أسر وعبودية الظالمين وإيقاف تعذيبهم

ومن هنا نجد أن الايه تبين نتيجة التحدى والصعوبه التى وجهت موسى واعاقت تحقيق الغرضين كما يتضح من خلال من خلال الاتى

الأمر الأول

تنقل لنا مرحله مهمه من مراحل العمل الثورى ضد الاستبداد لهدم الوثنيه السياسيه التى كانت تتحكم فى الناس وتستعبد الأغلبيه المغلوبة من الناس ولهذا ابتدأت الايه بالحديث عن العراقيل التي وجهت الثورة فى مرحله التمهيد للثورة والعمل الثورى فقال تعالى (فما أمن لموسى الا ذرية من قومه)

تبين الايه أن أول العراقيل التي واجهت موسى وهارون كانت من بنى إسرائيل أنفسهم حيث أنه لم يستجيب لدعوته إلا الشبان من الذين حضروا الموقف من بنى إسرائيل أما الكبار فلم يؤمنوا نظرا لوجود شبكه مصالح مع الفراعنه ولهذا وقفوا ضد الشباب الذين آمنوا ولايؤثر فى ذلك ماذكر فى قوله تعالى. (قالوا اوذينا من قبل أن

تأتينا ومن بعد ما جئتنا) بأن بنى إسرائيل آمنوا كلهم لان الموقف متعلق بالذين حضروا المناظرة بين موسى والسحره إذ من المعقول أن لايحضر أرباب الأسر منهم خوفا من مؤخذه فرعون لهم بفعل موسى

فأراد بهذا التنبيه الى مشكله متعلقه بتفكك القوى الثوريه فأشار إلى انه حصل الانقسام بشأن العمل الثورى فالذين تطلعوا إلى التحرير هم الشباب وهم مجموعه صغيره لم تتعلق بالمصالح المادية التى تدعوا الكبار إلى المجامله والتردد من اى عمل قد يصطدام بالنظام وكما هى عادات الثورات فى كل زمان فإن الشباب هم وقود ها فهم لاتربطهم مصالح مادية يخافون عليها ولهذا قيل إن استخدام لفظ الذرية أريد به التصغير لشان بنى إسرائيل لضعفهم وعجزهم عن كسر إرادة السلطه الظالمه وانقسامها كحال اي امه فرطت بدينها نتيجه الاستعلاء بالمظاهر المادية الزائفه وتعظيم ما لايستحق التعظيم فهم قد عظموا فرعون وجعلوا منه اله فصاروا خدم من لايستحق الخدمه فتحول مجتمع بنى إسرائيل إلى عبودية مقنعه ومجتمع خدمات فإنها تفقد كرامتها وتفقد إرادتها والتحرير من الاستبداد يحتاج من الاغلبيه المظلومه إلى اتحاد الارادت لمواجهه الاقليه الظالمه التى تعرقل التطور الاجتماعى استنادا إلى جمود النظام المتسلط على المجتمع والذى لايسمح باى تطور فلا يمكن كسر اراده السلطه الظالمه الا اذا حصل اتحاد ارادت العناصر الاجتماعية المغلوبه كى تنصهر فى إرادة واحده تستطيع أن تقهر إرادة السلطه الجامده والقائمه والظالمه وهذا مستحيل فى ظل هذا التفكك الذي كان يعيشه بنو إسرائيل فهم لم يجتمعوا على هدف التحرير

الأمر الثاني

تبين الآية أن المنظومه الاستبدادية (السلطه السياسيه) لم تستجيب لدعوه موسى بإصلاح الأوضاع السياسية ولم يقبلوا بتحرير بنى إسرائيل من العبودية لهم المهم هنا تبين الايه أن السلطه السياسيه كانت تعمل جاهده على تفكيك القوى الثوريه وهى تعرف كيف تعمل ذلك فقد كانت تستغل المصالح وسيله ضغط على بنى إسرائيل لمنعهم من اتباع موسى كما تعمل على استئصال كل نبضه معارضه لها فقال تعالى (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم)

فلم يقل من فرعون وملئه لان فرعون لايعتمد على شخص بل منظومه كامله مترابطه كانت تقوم بالتعذيب والتنكيل بكل من يؤمن بالمبادى والقيم التى يدعوا إليها موسى هذه المنظومه يطلق عليها الاشراف وقد كانوا يقومون بمطارده المؤمنين

ولهذا يقول تعالى (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم)

فالتعذيب والتنكيل والبطش والعنف الدموى ضد كل مخالف لهم

تبين الايه ان سلوك فرعون وأعوأنه هو العنف الدموى فليس العنف مجرد صفه شخصيه فى رأس السلطه فرعون فقط بل هو طبيعه سياسية لاعوانه المشاركين معه فى الحكم والسلطه ولو وجد اى استثناء من هذه القاعده فى اى فرد من أفراد هذه الشله فانه يصبح هو نفسه اول ضحايا هذه المنظومه حتى تصبح الطبيعه نفسها اى حتى تنسجم الطبيعه الدموية للشله مع الصفات الفردية التى تتكون منها ومن هنا نفهم سبب قول زوجه فرعون (قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنه و نجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين) الآية ١١ من سورة التحريم و لهذا ياتى التعليل بعدها (وان فرعون لعال فى الارض وأنه لمن المسرفين)

لبيان أن السلوك الإجرامي ناتج عن فقدان الضمير تاسيا منهم بفرعون الذى جعله الله وأتباعه ائمه الضلال الذين يدعون إلى النار ولهذا يخبر الله أن نفسيه فرعون كانت مشحونه بحب العلو والرئاسة وسلوكه هو الإجرام الذى يفوق التصور فهو الاسراف بالامعان بالقتل والاستبداد وأن ذلك هو سلوك سياسى على مستوى المجموعه المشتركه معه فى السلطه فجميعهم كانوا مسرفين متجاوزين الحد فى الإجرام والظلم والبغى

ثانيا

تبين الايه أن الفئه المؤمنه التى التفت حول هدف التحرير الذى جاء به موسى من بنى إسرائيل هى فئه الشباب فقط أما البقيه فقد كانوا مترددين فهم اضافه الى المصالح كانوا يخافون من بطش أسيادهم الذين يقومون بخدمتهم فأراد بهذا بيان أن من التف حول موسى كانوا مطاردين لانصراء لهم ولايوجد من يحميهم من بطش فرعون وأعوانه الذين هم متسلطون على رقاب الناس وقادرون على التنكيل بهم فهم كرهون الحق الذى جاء به موسى كما هو حال المكذبين فى كل زمان ولهذا يقول تعالى (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم)

وعلى بمعنى مع مع خوفهم من أن يتمكن الاعداء منهم ويستطيعون إعادتهم عن الايمان فهم يتوقعون البطش والتنكيل من الجبابرة وهذا يدل على الاتى

الأمر الأول

الثناء عليهم فهم يخافون على أنفسهم من الفتنة فى دينهم بعكس البقيه الذين لم يلتفوا حول موسى خوفا على المصالح التى ترتبط باصحاب النفوذ والسلطة

الأمر الثانى

على كل داعية للحق ومبادى وقيم الدين أن يدرك أن الطريق ليس سهلا ولا معبد بالورد بل يتوقع المخاطر وان يتعرض للقتل والتشريد ومصادرة الأموال والمنازل أو هدمها فسلعه الله غاليه فالإيمان لابد له من ثمن خاصه والتحرر من الظلم والاضطهاد والاستبداد واستعاده الكرامه المسلوبه تحتاج إلى تضحيه واثمان

باهضه فهذا مايجب علىكل مؤمن حر أن يفهمه ومن ينظر اليوم إلى ما حدث فى غزه من قتل وتشريد وجرح تدمير الأرض والمنازل والمدراس والجامعات وكل شىء حتى إن أهل شمال القطاع لم يجدوا اثرا لمنازلهم عندما عاد وا من النزوح يصاب بالحزن والجنون لمن لم يفهم حقيقه معنى الايمان ام المؤمن فانه لايبالى بكل ذلك لانه يدريك أن الحريه لابد لها من ثمن وأنه على قدر الابتلاء يكون الجزاء وعلى قدر المخاطر يكون الثواب

فالله يقدر الخوف ويضع المخاطر ليكشف صدق إيمان المؤمن

من اجل أن يظهر صبره وثباته على المبدا فالله يقول فى موضع آخر (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)

فسلعه الله غاليه ولهذا لايبالى المؤمن بكل المخاطر فإذا كان البعض يخاطر بحياته من أجل كسب مال قليل فتجده يعرض نفسه لمخاطر الموت أو الحبس أو غيرها كما يفعل المهربون للبضائع من أجل كسب المال فكيف بك وأنت تحمل هدف نبيل وعطاء الله جزيل فى الدنيا والاخره

الأمر الثالث

يدعوا بنى إسرائيل إلى النضال والكفاح لاجل أن تستخلص ارداتها من يد غاصبه ظالمه مستبده كى تنطلق إلى ما تريد من آمال ورخاء وتقدم فهذه هى الثورة التى من أجلها تثور الجماهير

مبينا أن نجاح الثورة تتوقف على أمرين(الشعبيه والتقدميه)

والشعبيه تعنى التفاف الجماهير حول القيادة وهدف الثورة

وقد أوضحت الايه السابقه أن الالتفاف لم يحصل من جميع بنى إسرائيل حول. الهدف فى البداية نظرا للظروف التي أحاطت ببنى إسرائيل وطول فتره الاستعباد وفقدان الكرامه نتيجه تعظيم البشر وخدمتهم للأقباط ولهذا لا تعنى الايه أن بنى إسرائيل لم يؤمنوا بنبوه موسى الا الشباب بمعنى التصديق بنبوته فليس هذا هو المراد وانما يقصد بهذا أن الناس انقسموا

ففريق الشباب المذكورين عبدوا الله واستعانوا به ولم يخافوا بطش فرعون وأعوانه فلم يصبهم الجزع ولا الفزع فذكر هم بالثناء بأنهم آمنوا بما جاء به موسى رغم المخاطر التى أحاطت بهم وجبروت فرعون وقومه

اما بقيه بنى إسرائيل فقد غلب عليه قصد التاله لله ومتابعه أمره والإخلاص واتباع الشريعه فى الخضوع لأوامره وزواجره وآياته لكن منقوص من جانب الاستعانه والتوكل فهم عاجزون أو مفرطون مغلوبين أمام عدوهم الداخلى والخارجى يكثر منهم الفزع والجزع ولهذا يقول تعالى. هنا (وقال موسى ياقوم إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)

يدعوهم إلى التوكل على الله والاستعانة بالله فهذا هو السبيل الموصل ولله الطريق المفضى اليه فقد علمنا فى سورة الأعراف

أنهم قالوا (اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض)

فكان لابد من إخراجهم من حاله الركود إلى الحركه والعمل بإرادة صادقه فى التحرر والتقدم والتطور ولما كان التقدم لايتحقق الا من خلال تعبئة طاقات الجماهير صاحبه المصلحه فى التقدم لتصنعه وتحميه لهذا نجد الحق سبحانه وتعالى يقول (وقال موسى ياقوم إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)

وبالوقوف على الايه نجد الاتى

الأمر الأول

أن النداء عام لبنى اسرائيل فقال موسى (ياقوم) ولهذا فهو يشمل الشبان الذين علمنا أنهم عبدوا الله واستعانوا به وتوكلوا عليه ويشمل الشيوخ الذين آمنوا بالله واسماءه وصفاته وأفعاله وكماله وأمره ونهيه وكلماته وزواجره وآياته بأن افرادوه بالعباده ولكن إيمانهم منقوص من جهه التوكل والاستعانة نظرا لأن الفزع والخوف والجزع متمكن منهم فالنداء يهدف إلى علاج هذا الداء الخطير ولهذا تبين الايه أن عقيده التوحيد تعنى أن يعلم الإنسان علما يقينا بأن لا اله الا الله وان يفرد الله بالعبادة والاستعانة كما قال تعالى (إياك نعبد واياك نستعين) اى لانعبد الا اياك ولا نستعين الا بك .. ولهذا فإن مقتضى الايمان بالله وآياته وزواجره ونواهيه توجب عليكم

التوكل على الله بالاعتماد على الله فى مواجهه التحديات مع بذل الجهد فإذا لم تستطع أن تحل المشاكل وانقطعت بك السبل فلا تدع للخوف طريقا الى نفسك بل اصبر واستعين بالله وحده وقدرته اللامتناهية واستمر فى جهادك المتواصل وحتى فى حالات القدرة والاستطاعه فعليك الاعتماد على الله لتجد التوفيق والنجاح والفلاح والسداد

الأمر الثانى

تعالج النصوص أسباب النقص فى جانب الاستعانه والتوكل لدي الكثير من بنى إسرائيل ولهذا يقول لهم أن توحيد الله عزو جل وتنزيهه عن الشرك والولد لابد أن يحرر الإنسان من العبودية للإنسان أو تقديسه او تميزه بميزة ترفعه فوق مستوى البشر

ولهذا فإن عقيده التوحيد تحمى مبادىء العداله والمساواة فلا عبودية الا لله عز وجل ولهذا فإن المؤمن يستمد عزته من هذه العقيده التى يكون من علامات الايمان الحقيقى أن ترى المؤمن متحرر من كل سلطان البشر ايان كانوا فلماذا تصاب بالجزع أو الفزع إذا كنت مؤمنا بان الله معك مما تخاف والطريق مفتوح بين الإنسان وربه بلا واسطه فما عليك إلا أن تلجأ إلى الله بالدعاء

فقال تعالى (إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)

علق الايمان على شرط التوكل والاستعانة بالله لان التوكل محض الايمان فهو فريضه على العباد فلا يكون ايمان الا بتوكل فلم يحق لهم إيمانا الا بتوكلهم عليه ولهذا فإن من امن بالله وآياته وزواحره ونواهيه وكلماته الشرعيه والتكوينه دون الاستعانه والتوكل على الله فإن إيمانه غير صحيح

فعقيده التوحيد ليست مجرد نظريات لاتخرج إلى واقع الحياة فالإيمان بالله النظرى أو العقلى أو الوجدانى الذى لايترجم إلى أعمال وسلوك لايعد إيمانا حقيقا فتنزيه الله عن المماثله والمشابهه بماسواه واستغنائه تعالى عن كل ماسواه وافتقار كل ما سواه إليه ليس مجرد شعار يرفع بل لابد أن يترجم الى واقع حياه فى كل أحوال الناس وشؤؤنهم لابد أن يكون لعقيده التوحيد اثرا وفاعليه فى توجيه حياه الفرد والجماعة بطريقه واقعيه تجعلهم متميزون فى السلوك والقيم عن سائر الناس يظهر منها علامه تعلن عن انتقال الفرد أو الجماعه من الكفر إلى الإسلام فعقيدة التوحيد والإيمان بالله تعنى تحرير الإنسان من كل سلطان غير سلطان الله تعنى اعاده انسانيه الإنسان الذى كرمه الله وفضله على سائر المخلوقات وهذا لايكون حتى يتحرر الإنسان من كل انواع الخوف من الخضوع لغير الله تعالى أن الإيمان الحقيقي لابد له من أثرا بازاله كل الضغوط الناشئه عن عوامل الخوف من غير الله فيكون تحرير النفس من كل الأصنام

وتحرير العقل من عوامل التعطيل والتقليد وتحرير الإرادة من الإكراه وتحرير المجتمع من كافه انواع الظلم الفئوى والطبقى والسياسى والاقتصادى فازاله المخاوف هو أساس عمليه التحرير واستعادة إنسانية الإنسان ولهذا الشهاده تبدأ (لا اله) بنفى كل الالهه وإخراجها من النفس فهذه هى الحريه التى جاءت بها الأديان لاستعادة انسانيه الإنسان لان الخائف لايستطيع أن يكون حرا مهما أطلق له العنان ولايستطيع أن يتمتع بما أو تى من حرية ظاهره لان نفسه مكبله باغلال الخوف والرهبه ولهذا حرصت الأديان على تحرر الإنسان من جميع المخاوف سوى خوفه من الله تعالى وهو سياج الحريه فالحرية الحقيقة هى أن تختار إخضاع ارداتك لإرادة الله طواعيه ولهذا علق على الشرط شرط آخر فقال تعالى. (إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)

والإسلام هنا يعنى الخضوع والانكسار والاستسلام لأمر الله وقضاءه سوى فى تنفيذ شريعه الله وأمره ونواهيه كما قال تعالى. (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

وكذلك التسليم بقضاء الله وقدره بالرضا باختياره فلا تعترض على قضاءه كما قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شئيا وهو خير ا لكم ..الخ

ولهذا حتى تهدأ نفسك ويطيب خاطرك فاعلم أن الدنيا ملئيه باشياء نحبها ولن نحصل عليها وبالمقابل فيها اشياء تكرهها وسنتعرض لها ولهذا فإن المؤمن لايحزن على مافاته ولا يجزع من التعرض للمكره لان ذلك كله من الله تعالى وهو يعلم ما ينفعنا وما يضرنا ولهذا فاللازم أن توطن نفسك على الصبر والتسليم لأمر الله وقضاءه والرضى باختياره لنا

رابعا

لما ذكرت الآيات السابقه التوجيهات لبنى اسرائيل وهو توجيه لك انت ايه المسلم بضرورة توطين النفس على الصبر والتسليم لأمر الله وقضاءه والرضى باختياره والتحرر من جميع المخاوف سوى الخوف من الله تعالى تأتى النصوص بعدها بذكر استجابه قومه لما أمرهم به موسى فقال تعالى (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)

الآية الكريمة تشير إلى استفادة القوم من الدرس وأنه حصلت منهم الاستجابه بدليل مبادرتهم إلى إعلان التوكل على الله فقال تعالى (فقالوا على الله توكلنا)

اعلان العيش احرارا وفقا لما أمرهم الله به اعلان التزامهم بالتفكير الحر ومقاومه الاستبداد والطاغوت وعدم الخنوع أمام الطاغوت اعلان الاعتزاز بالعبوديه لله تعالى والخروج من عبودية الفراعنه اعلان ترك تقديس فرعون أو المجامله على حساب المبادى وإنسانية الإنسان فلا تفريط بكرامه الإنسان وحريته ولاخوف الا من الله تعالى أنه اعلان النصر على العدو الداخلى والخارجى الذى كان سببا للضعف والهوان والفزع والجزع والخوف فالاعلان فيه التخلص من كل ذلك بالانس بالله التى تعلقت قلوبهم به فهم أشد انسا بالله من كل أليف فالله انس الموجودات عندهم وهو أشد النصراء حضورا بما يكفى المعتمدين عليه وان صبت عليهم المصائب فإنهم يلجأون بالاستجارة بالله بالعلم بأن أزمة الأمور بيدة تعالى ومصادرها من قضاءه ولهذا قالوا بعدها (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)

يتوجهون إلى الله بالدعاء أن لايمكن القوم الظالمين منهم لأنهم يعلمون أن هذا الإيمان سوف يتبعه ابتلاء واختبار وامتحان وتمحيص فالطاغوت لن يقبل بالتوحيد والحرية التى جاء بها منهج الله لانهم سوف ينظرون لذلك بانه خطر يهدد مصالحهم فهم يعتمدون على أسلوب التخويف للإنسان من أجل ابقاءه تحت نفوذهم وسيطرتهم يهدفون إلى استغلال الإنسان ومن هنا نفهم أن تقديس البشر ورفعهم إلى مصاف الإله يودى الى الظلم واستعباد الناس بعضهم البعض يودى إلى انتشار الظلم والطغيان ولهذا يقف المستفيدون من هذه الامتيازات أمام تحرير الإنسان ويلجاون إلى أسلوب البطش والتنكيل (الوحشية) بكل من يحاول مقاومة الاستبداد واحتقارا للمستضعفين فاهل الغنى والاقتدار يستدرجون بذلك ولهذا يدعوا المؤمنون الله أن لايسلط عليهم الظالمين أما ابتلاء واختبار وامتحان لنا أو استدراج للظالمين فيكون الفتنة فى الدين أنهم يخافون على أنفسهم من الفتنة

فهم يعلمون أن التوكل يزيد وينقص كما أن الإيمان يزيد وينقص والناس يتفاوتون فى التوكل واليقين على قدر الايمان الذى يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى وهذا النقص يودى إلى تسليط الكفار والظالمين احيانا بسبب ذنوب الناس وتقصيرهم ومعاصيهم ولهذا يلجأ المؤمنون بالدعاء لله

(ونجنا برحمتك من القوم الكافرين)

فهم يؤمنون بالاله الرحيم الموصوف بالرحمه فالمؤمن يبدأ حياته كل يوم بقوله بسم الله الرحمن الرحيم

فرحمه الله وسعت كل شى تعم كل شى فليست رحمه قاصره على قوم دون قوم كما كان الفراعنه يزعمون بأن رحمه الالهه تختص بفئه الأقباط ولهذا فإن بنى إسرائيل بعد وفاه موسى قد تأثروا بهذا بفكره الفراعنه فزعموا أن رحمه الإله خاصه بهم ولهذا وصفهم الله بأنهم قساه القلوب لان من كان تفكيره بهذا الشكل فانه يصير قلبه فى قساواه

ومن هنا تظهر اهميه الايمان بصفه رحمه الله وأنها رحمه واسعه تعم جميع الخلائق وفائده هذا الإيمان أنه لايكون مؤمنا بهذه الصفه إيمانا كاملا الا اذا كان رحيما بخلق الله ولايستحق رحمه الله الا الراحمون ففى الحديث من لايرحم لايرحم

ولهذا تعمقت فى ثقافه المسلم الرحمه حتى بالحيوان فالمسلم رحيم مع أخيه المسلم ورحيم بكل شى وعلاقاته تقوم على التاخى والتراحم مع أخيه المسلم وتقوم على احترام العلاقه الانسانيه التى تربطه بغيره وعلى رحمه المريض والجائع ولو كان غير مسلم فالله يقول فى موضع آخر (فلا اقتحم العقبه فكوا رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبه)

ومن هنا نفهم ابتدأ الآيات بذكر وصف الاسراف ثم الظلم ثم الكفر لفرعون ومنظومته العنصريه لان البدايه تبدأ بتجاوز الحد فيكون عقوبه الذنوب قساوه القلوب حيث أن أصحاب القلوب القاسيه غالبا ماتكون عنصريه ترى نفسها فوق الاخرين وأنها له كرامه وحقوق وترى أن الأخرين ليس لهم كرامه والحقوق كما كان حال الفراعنه الذين كانوا يروجون انهم مميزون على سائر الناس لان لهم الهه قويه تعطف عليهم وتمدهم برحمتها بعكس الاخرين مثلما أن اليهود عندما قاموا بتحريف التوراة زعموا أن الله رحيم بهم فقط وأنه قاسى على الامم الأخرى كاره لها

فالامه العنصريه تجتمع فيها هذا الصفات الثلاث الاسراف والظلم والكفر. فهم طغاه قساه قلوب ويتوهمون أنهم على الحق وأن الاخرين على الباطل ولهذا ينظرون أن امتيازاتهم يجب الحفاظ عليها ولو كان ذلك على حساب حقوق الفئه المظلومه الضعيفه المغلوبه كما نشاهد اليوم فى فلسطين كيف أن اليهود يتباكون على قتل الف منهم فى طوفان الأقصى فى حين يبطشون باهل غزه ذبحا واسرا وتنكيل وكان غيرهم ليسوا بشرا مثلهم وهم يصفون المقاومه التى قامت بالعمليه لتحرير أسرهم الذين فى السجون الإسرائيلية لعقود طويلة بدون وجه حق بانهم إرهابيون ومعادون للسامية فهكذا هو حال الانظمه الاستبدادية العنصرية أن المستضعفين فيهم مغضوب عليهم فى كل وقت فهم إذا أحسنوا التصرف والطاعه ازداد الأسياد فى قهرهم كما يفعل اليهود بمن طبع معهم ومن يتعاون معهم من السلطه الفلسطينيه و اذا احتجوا وقاموا بمقاومة الاستعباد قالوا عصاه ومتمردين فقتلوهم وعذبوهم ولهذا يطلب المؤمنون من الله أن ينجيهم برحمته من بطش الكفار وهذا الدعاء بعد إعلان التوكل على الله تعالى

خامسا

تنتقل الايه إلى ارشاد موسى الى الاجراءت التى يجب أن يتخذها لبناء الإنسان وتحريره من أجل الثورة فلا بد من إعداده ليكون قادرا على النهوض بالمهمه فقال تعالى (واوحينا الى موسى وأخيه أن تبو آ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)

عليك أن تدرك أنه لايكفى أن ترفع شعار التحرير دون أن يكون هناك ثمه منهج عملى يضمن تحقيقها وحمايتها حتى يتمتع الإنسان على وجه العموم فردا وجماعه بهذه الحريه فالإسلام لم يضع مبدأ الا ووضع له منهج يكفل تحقيقه والحريه من أهم المبادى التى أرسل الرسل لإعادتها للإنسان فهى تعنى الانسانيه ولهذا انزل الله المنهج الذى يحقق هذا المبدأ العظيم ومن هنا يقول تعالى (واوحينا الى موسى وأخيه أن تبوء لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)

احتوت الايه على توجيهات الله لموسى عليه السلام وقد ابتدأت بالأمر الالهى له ولاخيه هارون بأن يتخذ والبنى اسرائيل بيوتا بمصر وان يجعلوها قبله فما الغرض من ذلك ؟

أن هذه التوجيهات تدل أن بنى إسرائيل كانوا امه مشتته ليس لها مساكن لأنها كانت تقوم بخدمه الفراعنه وهى تعيش فى استطبلات أسيادهم الذين يقومون بخدمتهم ولهذا فقد أوضحت الايه السابقه بضرورة ان ينهض بنى إسرائيل بالكفاح والنضال لاجل استعاده كرامتهم المفقوده بترك تعظيم من لايستحق التعظيم وترك خدمه من لايستحق الخدمه وان عليهم أن لايخافوا الجوع والبطش فعليهم الاعتماد على الله تعالى والاستعانة به والتوكل عليه وهنا تأتى الآيات ببيان

الأمر الأول

اهميه توفير الأجواء والمناخ الايجابى الذى يساعدهم على الخلاص من الفراعنه ومن الاستعباد ليخرجوا من القهر والاستعباد لابد أن يكون لهم مركز يجتمعون فيه ولهذا قال تعالي. (واجعلوا بيوتكم قبلة) اى متقابله ومتقاربه حيث أن هذا الاجتماع يجعل ارداتهم تتحد وتنصهر فى اراده واحده قادرة على مقاومه الطغاه وهذا يتطلب أن يسبق الإرادة الفكر الواحد لانه هو الذى يصوغ شكل الإرادة ويحدد طاقاتها ويتابع مسارها فوحده الفكر تسبق وحده الإرادة التى تقود إلى وحده العمل ولايمكن أن نتصور قيام عمل مشترك انطلاقا من اختلاف فى التفكير يشترك البعض فى صنعه تعميقة واستمراره لان الفئه الظالمه تستغل عزوف الأغلبية عن توحيد مواقفها وعدم مبالاتها بما تزرع من مسببات الاختلاف وماتنشرة من فلسفات البلبله وتشوية صورة المخلصين والتشكيك فى نوايا الذين يشفقون على حاضر الناس والذين وهبوا حياتهم ليصنعوا شيئا لمستقبل الامه ولما كان موسى قد وجد بنى إسرائيل تعانى من التجزئة والتخلف والانقسام مع استمرار مرض الاستسلام والخضوع لنفوذ الفراعنه الذين كانوا يحرصون على بقاء بنى إسرائيل تحت سيطرتهم لهذا كان لابد من خلق مناخ ملائم لقيام التنظيم الايمانى يشعر بوحده الخطر ووحده الهدف ولهذا كان الأمر ببناء المساكن الذى يكون فيها الاجتماع بلقاء السكن وعزل مساكنهم عن الفراعنه يودى إلى الشعور برابطه معنويه تربطهم ببعضهم البعض مما يمهد لانصهار الإرادات واتحادها فى اراده واحده فهذه الرابطه تعنى تنميه الوعى لديهم بادارك المصلحه المشتركه والهدف المشترك وهذا يمهد لادارك الخطر المشترك ويمهد لادارك حتمية العمل المشترك لمواجهه الخطر المشترك تجعلهم يدافعون عن أنفسهم ومعتقداتهم

الأمر الثانى

مما سبق نفهم أن ادراك الخطر المشترك الحاضر هو جنين المستقبل القادم وعدم ادراك هذا الخطر هو الخطر الحقيقي

لان ادارك الخطر المشترك يمهد لادارك حتمية العمل المشترك لمواجهه ذلك الخطر وهذا يستحيل فى غياب التنظيم الجماهيري والذي يستحيل خلقه بالسرعه المناسبة فى ظل حاله التشتت وسلوك الجماهير الغير منظم يفجر طاقاتها فى كل الاتجاهات حسب التقديرات العاطفيه ولهذا لابد من وجود تنظيم يقوم بتوجيه السلوك ولهذا كان الاجتماع بلقاء السكن وعزل مساكنهم عن الفراعنه عامل مهم لتسهيل انشا التنظيم الايمانى وإعداده للقيام بالمهمة من خلال هذه الفرصه التى يجتمعون فيها حيث تظهر ابداعات متنوعه يمكن معها توزيع المهام بحسب الإمكانيات والقدرات والمواهب وأيضا فإن المطارده والترصد من الفراعنه. تتطلب الاحتياط والسريه ولهذا فإن هذا التجمع فى المسكن يجعل أسرارهم بعيده عن الاعداء ولايطلع على خططهم ولاالبرامج التى يسعون من خلالها لاسترداد حريتهم

الأمر الثالث

وكذلك فإن التوجيه الثاني هو الاعداد الروحى (واقيموا الصلاة)

التعبيئه الروحيه بالاتصال بالله تعالى فلابد من الاعداد الروحى للإنسان إلى جانب الاعداد التنظيمى ولهذا أمرهم باعتزال الجاهليه وفسادها وشرها حتى تمارس الجماعه عبادتها فى جو نظيف فمن فائده اقامه الصلاه على الوجه الذى أمر الله به أن يتعود المؤمن على الاستهانه بالشدائد وتحملها بقلب مطمئن وعزيمه صلبه يشير إلى ذلك قوله تعالى (يايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاه أن الله مع الصابرين)

ومن ثمراتها أنها تضع بين صاحبها وبين التذبذب فى دائرة الفزع والجزع والبخل سدا منيعا كما قال تعالى (أن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا الا المصلين)

الأمر الرابع

كما أمر الله موسى أن يبشر المؤمنين بالنصر والنجاه من فرعون وملائه فقال تعالى. (وبشر المؤمنين)

وهذه بشارة لكل مؤمن فالتاريخ ليس حدث فحسب بل الحدث وتفسيره وتقييمه واكتشاف القوانين التى تقود إلى التغيرات التاريخية والاجتماعية التى أطلق عليها السنن هى حتمية لاتتغير ولا تتخلف من حيث حتمية تأدية الحدث إلى النتيجة المتوقعة منه وفق هذه السنن فالله يقول (فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

فالاحداث التاريخية التى مرت بأمه الايمان لابد أن تترك اثر عميق فى من يسير على هدى الايمان من الأجيال توثر فيهم وتستلهم منها الدروس والعبر حيث تستفيد الأجيال من تجارب السابقين ومن خبراتهم فامتداد التاريخ للمؤمنين لايتوقف عند حدود بعثه النبى صلى الله عليه وسلم بل تمتد الى موسى وابو وسليمان وإبراهيم وصالح وهود ونوح وادم عليه السلام يجب أن نستفيد من كل ماجاء فى القرآن من قصص السابقين فى الخير والشر

الأمر الخامس

كما أن التوجيه لموسى وأخيه اى هارون له دلاله :

أن هذا التوجيه لموسى باعتباره القائد الذى يجب عليه أن تطهير روح قومه من أشكال الخوف ومن دنس العبوديه لغير الله وان عليه أن يربى فيهم روح التحرر والشجاعه وان ينمى فيهم الإرادة والشهامه والباعث فى ذلك هو طريق البشارة للمؤمنين بالنصر والتمكين والحرية

وأما هارون فقد أراد الله أن يعلمنا أن اللازم على القائد أن لا تناط جميع القرارت بشخصه مهما كانت قدرته الابداعيه فعليه أن يفوض من يراه ذو كفاءه فى بعض المهام حتى يتمكن الإدارى من الاضطلاع بالعمل المكلف به لأن عدم التفويض تودى أن ا لى

ضعف الأداء نظرا لأن انشغال القائد فى تفاصيل الحياه اليومية إنما يكون على حساب التخطيط والتطوير والقيام بدراسات المتغيرات فى ميدان العمل ومواجهه الخطر قبل وقوعه ولهذا فإن التفويض مهم لتدبر حال الامه وهو اصلح فى تنفيذ الأمور من تفرد القائد بها فالتفويض ببعض الصلاحيات لنائب افضل للامه لانه الامه ابعد عن الزلل وامنع من الخلل

الموقف الرابع

هذا الموقف فيه اخبار من الله تعالى عن دعا موسى على فرعون وملائه فقال تعالى (وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلو ا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون)

اولا

ابتدأت الآية الكريمة بأخبار الله عن دعاء موسى ربه على فرعون وملائه أن يدمر الله أموالهم وان لايؤمنون حتى يفاجاءهم العذاب الأليم ويشاهدوا العذاب الذى توعدهم الله به على لسان موسى أمامهم واقعا لان الايمان فى ذلك الوقت لاينفع والسؤال هنا كيف يدعو عليهم موسى هذا الدعاء ونحن نعلم أن الأنبياء إنما يدعون الله بهداية الناس ؟

الجواب :

الأمر الأول

أن هذا الدعاء بعد ذكر الأمر لموسى وقومه باعتزال الجاهليه وفسادها وشرها وانتهت الايه بالامر لموسى أن يبشر المؤمنين بالنصر والنجاه من فرعون وملاه وهو ما يعنى إن الله اعلم موسى أن فرعون وملاه ميئوس من إيمانهم ومن أن يكون فيهم خير فلا يرجى صلاحهم وبالتالى فإن دعا موسى عليه السلام عليهم ناتج عن علم أعلمه الله به أن هؤلاء واقعون فى فتنة الاستدراج بكثره المتاع و اثاث الدنيا وزينتها من الأموال والأولاد وغيرها من النعم فهم يحتقرون غيرهم من الناس جهلا بمواقع الفتنة والاختبار فى مواضع الغنى والاقتدار فاعتبروا الرضا والسخط فى المال والاولاد فنظروا لبنى اسرائيل الفقراء والضعفاء نظرة احتقار أخبره الله أن ماهم فيه هو

استدراج لانه قد حق عليهم العذاب الذى وعدهم الله إياه فهو تعالى امدهم بالمال والقوه استدراج لهم وابتلاء للمستضعفين فى أعينهم فالجزاء يكون على قدر الابتلاء

الأمر الثاني

أن مما يجب عليك أن تدركه أنه تعالى جعل للخير اهلا وانصار وسلاح كما جعل للشر اهلا وانصارا وسلاح ولهذا أخبر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أنه تعالى. أن ما انعم به على فرعون وملائه من الأموال الكثيرة والقوة المادية هو عطاء اعطاءهم الله إياه كسلاح يستخدمه أهل الشر فى المعركه ضد أولياء الله الذين يبتليهم الله بالمكاره والمخاوف فالكفار مفتنون بآثار نعم الله والسبب أنهم ينخدعون بما هم فيهم فيعتبرون ذلك عنوان الرضا والسخط من الله ولهذا يصابون بالسكر والغفله حتى يتفاجاون بالعذاب وهم فى سكراتهم يعمهون وهذا السلاح يستخدمه أهل الشر لاغراء ضعاف النفوس ولهذا فإن سلاح المؤمن هو العزيمه القويه فهو حتى وإن كان فقيرا وضعيف فإنه يظل قويا يبدأ الغنى بالله والرضا بما قسم الله له عند فقدان مصادر القوه وقله أسباب الرزق مثلما أنه يترك فضول الاكل والشرب والغذاء مع وجود الاتساع والحظ منه لأنه لايتكبر ولايتعصب لمواقع اثار النعم فالقناعه تملأ قلوبهم وعيونهم بالسكون إلى اوقات الله عز.وجل مع حلول الفاقه فإن أصاب الدنيا لايفرح وان فاتته لايحزن ولهذا فإن المؤمن لايضعف أمام اغراءت أهل المال والجاه لان المؤمن لايستمد قوته وعزته من المظاهر الخادعه وانما من الحق

ولهذا بعد أن أخبر الله موسى عن السلاح الذى يجب أن يتسلح به هو وأصحابه فقال تعالى (واوحينا الى موسى وأخيه أن تبوء لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين)

لمواجهه أهل الشر وأسلحتهم فهذه المعركه لابد أن يخوضها المؤمن ولهذا بعدما شاهد موسى جانب من المعركه بين المستكبرين الطغاه وبين المستضعفين بعدما شاهد امعان الفراعنه فى الظلم والبغى والافساد فى الارض ومناصبه الله العدواه ومحاربه المؤمنين بالله شاهد كيف أنهم حجدوا ما صنع الله لهم من نعم واستعملوها فى اغراء المستضعفين بالاغراء لاضلال الناس عن سبيل الله أو بالقوه التى منحتهم اياها الأموال والجاه فحصل زعزعه قلوب البعض الذين يضعفون أمام الاغراءت ويحصل منهم طاعه الساده والاكابر الذين تكبروا عن حسبهم الطين الذي خلقوا منه وتعصبوا لاثار مواقع النعم ومناصبه الله العدواه فقد غضب موسى لله ولدينه فكان منه الدعاء على فرعون وملائه بالهلاك وان يدمر الله أموالهم ويشدد على قلوبهم حتى بعدما اصابه الياس من صلاحهم دعاء عليهم أن يجعل قلوبهم قاسيه لاتؤمن حتى ترى العذاب أمامها حيث لاينتفع من الايمان أحد عند حلول العذاب

ثانيا

أن دعاء موسى كان بعد أن اصابه الياس من إيمان الفراعنه الذين مارسوا أبشع أنواع الجرائم فقد كان بنى إسرائيل أضيق اهل الدنيا حالا وتحملوا أعباء ثقيله فقد تجرعوا المرارة وكان هذا حالهم فى قهر الغلبه وسوء العذاب ولايجدون حيله فى امتناع ولاسبيلا إلى دفاع فصبروا فى طاعه وتحملوا المكاره حبا لله وبعد أن اصابه الياس من صلاح هؤلاء ورأى أن نداءت الضمير لاتجدوى مع هؤلاء كما هو حال الانظمه الاستبدادية العنصريه فإنها ادوات بطش لأنها لاضمير لدى أصحابها كما هو حال الصهاينة فلابد من قوه ترداعهم ولهذا نجد أن موسى يدعوا ربه أن يجرد الفراعنه من قوتهم وان يدمرها وان ينزل بهم عذابه الذى وعدهم ويحرمهم من الايمان

والهدايه حتى يروا العذاب الموعود حيث لاينتفع بالإيمان عند حلوله أنه يطلب من الله أن يهلك أعداءه تحقيقا لوعده ووعيده فاستجاب الله لهما فقال تعالى (قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون)

الأمر الأول

أن أول ما يلفت الإنتباه أنه تعالى توجه بالخطاب بالتثنية اى لموسى وهارون فقال تعالى (قد اجيبت دعوتكما) مع أنه تعالى ذكر فى الآية السابقه ما مفاده أن الذى توجه بالدعاء هو موسى عليه لقوله (وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا...الخ

وهذا فيه بيان أن تأمين الماموم على قراءه الامام كما هو فى الفاتحه ينزل منزله قراءتها لان موسى دعاء الله أن يدمر أموال الفراعنه ويشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يحل العذاب بهم وهارون قال بعده امين

الأمر الثانى

أن اللازم عليك أن لاتتعجل قضاء الله أو تحقيق وعده ووعيده فعليك أن تتوجه إلى الله بالدعاء واترك مساله التوقيت لله فهو اعلم متى يحقق ذلك وعليك أن تثق بتحقيق وعد الله ووعيده فقد ذهب العلماء إلى أن الفارق الزمنى بين دعاء موسى وهارون ونزول العذاب أربعين سنة

الأمر الثالث

عليك أن تفهم ان استجابه الله للدعاء مقرون بالاستقامه والثبات على الحق فقد قال تعالى (قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون)

لان الاستقامه من أسباب سرعه اجابه الدعاء وزوال الوحشه التى بينه وبين ربه وقرب الملائكه منه وبعد شياطين الانس والجن منه والاستقامة تعنى أن يخلص العبد لله الدين كله والدعوه والعمل اى لايحيد عن التوحيد ويلتزم طاعه الله إلى أن يلقى الله تعالى دون مرواغه يقول أبو العالية الرياحي اصل الاستقامة فى ثلاثة اتباع كتاب الله والسنه ولزوم الجماعه ..وفيها دعوه الى الصبر والتسليم لأمر الله والقبول باختيار الله فإنه تعالى يختبر عباده ويمحصهم بالبلاء والاختبار بالجوع والمشقه والمكارة حتى إذا رأى جد الصبر منهم على الأذى فى محبتة والاحتمال للمكروة من خوفه جعل لهم بدل الذل عز وبدل مضايق البلاء فرجا وبدل الخوف امنا فالله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهدات ويبتليهم بأنواع المحاره اخراجا للتكبر من قلوبهم وتمحيص لهم فطريق المؤمنين واضح هو اتباع منهج الله والاستقامة دون مرواغه اى استقامه فى جميع الأحوال فى الرخاء والشدة فى الصحه والسقم فمن عرف الله كيف له أن يتهمه وقد أخبر الله عن نفسه أنه (أحاط بكل شيء علما)

والإحاطة بالشى علما هى أن يعلم وجوده وجنسه وكيفيته وقدره وغرضه المقصود به بايجاده وما يكون هو منه وحاجته وما يصلحه وما يفسده وما ينتهى اليه وليس ذلك إلا لله تعالى فمن درى هذا فجناب الله تعالى حق الدرايه لم يتهمه فى تصرفاته فمن فهم عن الله رضى بقضائه ايمانا منه بقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة)

فطريق المؤمنين واضح فلا يسلك طريق الذين لايعرفون ربهم فهم يتخبطون فإن أصابهم الخير عبدوا الله وان

أصابهم السؤء تركوا عبادته فهم قلقون من المستقبل لأنهم بعيدون عن الله تعالى

الموقف الخامس

يتحدث هذا الموقف عن حسم معركه التحدى والتكذيب تنقل لنا الآيات نهاية المستكبرين وكيف أصابهم بأس الله وقوراعه وما أنزل عليهم من عقاب لاجل أن يتعظ الناس من هذه القصص فقال تعالى (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا إدراكه الغرق قال:آمنت أنه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثير من الناس عن آياتنا لغافلون)

اولا

ابتدأت الآية بذكر نجاه بنى إسرائيل بأنه تعالى تولى رعايتهم وانقاذهم من بطش الفراعنه فقال تعالى (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر) إسناد ذلك إلى الله تعالى ليشعر المؤمن أنه فى رعاية الله فعليه أن يثق بالله ويتوكل على الله وان يأنس بالله تعالى فلا يخاف أحد فقد كان بنى إسرائيل أضيق أهل الأرض حالا واجهد العباد بلاء لم يكن بايدهم حيله لدفع أذى الفراعنه وها هم يخرجون من مصر باتجاه البحر هربا بدينهم وبمجرد وصول الخبر لفرعون ومنظومته الاستبدادية قاموا بتجهيز الجيش من جميع الولايات التابعه لفرعون وبلغ عدد الجيش مائه الف جندى يطاردون موسى ومن معه حتى إذا هم قريب البحر إذا هم يشاهدون العدو وراءهم فقالوا لموسى أنا لمدركون فالبحر أمامنا والعدو وراءنا فماذا رد موسى (كلا أن معى ربى سيهدين)

هل ضعف موسى عليه السلام كلا لم يضعف لماذا ؟

لانه واثق بربه يعلم أن الله يتولى رعايه أولياءه وحمايتهم ولابد أن يرشده إلى طريقه يتخلص بها من بطش فرعون وجنوده فأمره الله أن يضرب بعصاه البحر فانفلق البحر اثنتا عشر طريقا بعدد قبائل بنى إسرائيل فدخل موسى وأصحابه البحر وقد شاهد فرعون هذه المعجزه العظيمه أمام عيناه كيف أن العصا جعلت البحر يابسا فقد كانت هذه المعجزه كافيه أن تجعل فرعون يتوقف عن مطارده موسى ومن معه ولكنه استمر فى المطارده ودخل البحر خلف موسى ومن معه فقال تعالى (فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا) والسؤال لما ذا لم يتوقف وقام بدخول البحر ومتابعه موسى عليه السلام ومن معه ؟

الجواب :

عليك أن تدرك أن الاغترار بالقوه أو الجاه والسلطان والنفوذ والمال والاعجاب بالنفس تشكل حمية تعترض مسار الإنسان وتجعله يغتر ويتكبر ويتعصب فلا يحسن التقدير الصحيح للأشياء ففرعون قدحت الحمية فى قلبه نار الغضب ونفخ الشيطان فى انفه من ريح الكبر فلم ينظر إلى حقيقه أنه بفعله هذا إنما يبارز الله فالمعركه ليست مع موسى ومن معه أنها معركه مع الله وهل له قدره أن يقف أمام قوه الله تعالى ولهذا يعلل الله ذلك فقال تعالى (بغيا وعدوا) اي أن ذلك الفعل كان بغيا وعدوا اى تجاوز وامعان فى البغى والافساد فى الارض بالتظاهر فى مناصبه الله العداوه فلم فعلهم دفاعا مشروعا فأراد بهذا بيان أن الحميه اعتراضته فقال لجنوده أن بنى إسرائيل ليس احسن حالا منا فى خوض البحر لقد كانت حميه الفخر وراء متابعه فرعون وجنوده لموسى ومن معه وهذه هى طبيعه المتكبرين والمتعصبين فقائدهم ابليس مؤسس مدرسه الشر الذى وضع اساس العصبيه رفض السجود

لادم نتيجه اعتراض الحميه له فافتخر بأصله فاستحق العذاب فاحبط الله عمله الطويله وجهده الجهيد فقد قيل انه عبد الله الف السنين فهذه المعصيه عظيمه والله لايدخل الجنه كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب

/٢

كما أن الايه فيها اخبار عن إجابة الله لدعوه موسى بأن يشد على قلوبهم فلايومنوا حتى يروا العذاب الأليم الذي وعدهم الله إياه ولهذا كان استدراجهم فقد شاهدوا البحر يابسا فكان منهم متابعه موسى عليه السلام ومن معه حتى إذا عدى موسى عليه السلام ومن معه البحر الى الجهه المقابله اغرق الله فرعون وجنوده

ولهذا يقول تعالى (حتى إذا إدراكه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى امنت به بنو إسرائيل وانا من المسلمين)

عندما شاهد عذاب الله الذى حذره منه موسى واقعا به قال آمنت أنه لا اله الاالذى امنت به بنو إسرائيل وانا من المسلمين)

بعد أن سقطت عن الباغى المتجبر الطاغيه فرعون كل مظاهر القوه التى كان يستعلى بها أنه يريد أن يؤمن بل ويعلن استسلامه وخضوعه (وانا من المسلمين)

فقد هلك فرعون وقوته التى كان يتجبر بها هلك هو وجيشه ودمر الله امواله وقوته ولم يقبل منه الايمان لانه لاينفع عند حلول العذاب فقال تعالى (آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)

هذا الوقت ليس وقت ايمان لانه اضطرار لم يعد هناك اختيار فلا يقبل الايمان عند رويه العذاب

فمن أراد النجاه والسلامه فعليه الاستقامه على منهج الله فى الدنيا مختارا قبل حلول العذاب

ثانيا

تستمر الايه فى نقل مشهد هلاك فرعون فقال تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثير من الناس عن آياتنا لغافلون)

تبين أنه تعالى نجى بدن فرعون بعد أن سلب روحه فلم يجعل الأسماك تاكل بدنه ولم يجعل تيار مياه البحر ترمى به بعيدا بحيث لايعرف مكانه بل جعل بدنه يخرج إلى مكان مرتفع على الأرض سليما ليكون ايه من ايات الله عن نهايه المستكبرين ليكون عبره وعظه لكل الناس تحكى نهايه كل ظالم ومتكبر

ليكون ايه تدعو كل الناس إلى ترك طاعه الأكابر والساده الذين تكبروا وجحدوا انعام الله ومن تعصبوا لاثار مواقع النعم فإنهم اساس العصبيه ودعائم اركان الفتنة فهم اتباع الشيطان

فيه عظه وعبره لكل من يملك القوه يقول اعتبروا بما حل بفرعون فانظروا إلى مصرع فرعون واستعذوا بالله من لواقح الكبر. فريح الكبر يعقبه الندامه

ففى كل نفس مافى نفس فرعون من حب العلو والرئاسة والكبر ففى هذه القصه أية عظيمه لاولئك الذين كانوا يتكبرون ويستضعفون المسلمين فى مكه وفى كل زمن لكن الناس فى غفله بسبب الذنوب التى تورث الفغله والغفله تورث القسوه والقسوه تورث البعد عن الله والبعد عن الله يورث النار

ولهذا لايوجهون عقولهم وقلوبهم إلى ايات الله فلا يتدبرونها رغم أنها أمامهم

رابعا

بمناسبه ذكر نهاية ماحل بفرعون وجنوده من عاقبة جعلها الله آية للعظه والعبرة يدعوهم أن يعتبروا بما أصاب المستكبرين من الامم السابقة ليشاهدوا باس الله ووقائعه ومثلاته وعقوباتة التى يعاقب بها الجبابرة تنتقل الآيات إلى بيان انعام الله ورعايتة لاولياءه فقال تعالى (ولقد بوانا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم أن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

ارتباط الآية بما قبلها

أنه تعالى لما حذر الناس مما نزل بالامم قبلهم الفراعنه التى جعلها الله من المثلات بسبب سوء الأفعال وذميم الأعمال ذكر مقابل ذلك النعيم الذى استقر فيه أهل الخير والصلاح بعد ذكر أهل الشر لان الاستفادة من أية الحدث والدليل التاريخى إنما تكون بالنظر إلى حال تلك الأمم فى الخير والشر لتحذر أن تكون أمثالهم وهذا يحتاج إلى التفكر فى تفاوت حال كلا من أهل الشقاء وأهل السعاده لتعرف الفارق بينهم فالعظه والعبره لاتحقق الا اذا توفرت القراءه الصحيحه لاحداث القصه وهى القراءه باسم الرب اى تنظر إلى حال الناس والحضارة وموقفهم من الدين فهذه هى اساس القراءه والتفسير للأحداث ولهذا لابد من المشاركه الشعوريه التى تعنى أن تعيش احداث القصه كانك واحد منهم فيكون شعورك فيه حب المؤمنين وأفعالهم والتعظيم لهم والاحترام ويكون البغض والكره للكفار وأفعالهم والتحقير لهم والنفور منهم ومن أفعالهم وهذا هو الفرق بين قراءه المؤمن والكافر لدليل الحدث الذى جعله الله ايه لان القراءه المادية للآية يكون فيه تحريف فمثلا نرى البعض لدينا فى اليمن يعظم اثار أهل سباء الذين كان منهم البطر فى الارض نجد أن وسائل الإعلام تحاول غرس التبجيل والتعظيم لمن يعتبرون أسلاف لنا بالدم وان كانوا مفسدين فى الارض ومن هنا فإن هذا نوع من الغفله والتحريف للآية وافراغها عن مضمونها كما قال تعالى (وان كثير من الناس عن آياتنا لغافلون)

لان مشاهده الايه التى تركها الله فى الارض لم تكن وفقا لما أراد الله فهذا تحريف لايقل شانا من تحريف ايات القران الكريم

ولهذا فإن القران الكريم عندما يذكر الحضارات وانهيارها يصور لنا حال المفسدين والجبابره وأعمالهم وأقوالهم وتصرفاتهم والنهاية المذمومه لهم بصوره فيها الذم والتحقير حتى يكون مشاهده ذلك على سبيل البغض والنفور لهم ولاعمالهم وللاسباب التى كانت وراء تلك النهايه فتكون تلك المشاعر باعثا على اجتناب كل أفعالهم وسلوكهم والأسباب التى كانت وراء تلك النهايه

وكذلك يصور لنا حال المؤمنين وأعمالهم وأقوالهم وتصرفاتهم والنهايه السعيده لهم بصوره فيها المدح والثناء والتعظيم حتى يكون مشاهده ذلك على سبيل الحب والتعظيم لهم ولاعمالهم فيكون ذلك باعثا للاقتداء بهم بأن يلتزم المؤمن الاسباب التى أزاحت عن المومن الاعداء ومدت له العافيه وانقادت النعمه له وصلته بحبال الكرامه ويكون اجتناب أفعال الكفار وتصرفاتهم

ولهذا نجد القران الكريم يذكر الصورتان لاجل أن يحقق هذا الغرض من التفكير ويحصل العظه والعبره بالحذر من مما كان سببا فى هلاك الامم السابقه وايضا التحفيز على الاقتداء بالمؤمنين فالمسلم أسلافه هم أهل الإيمان

وليس رابطه النسب

فاالمنهج هو الرابطه التى تربط أهل الإيمان ولهذا نجد الايه تكشف لنا فى البداية عن النعم التى أنعم بها المولى سبحانه وتعالى على المؤمنين يقول انظروا وتدبروا إلى أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا فى حال الابتلاء والتمحيص الم يكونوا اثقل الناس أعباء لقد كانوا بلا مأوى يخدمون الفراعنه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب لقد تجرعوا المرارة فهم أضيق أهل الدنيا حالا يعيشون فى قهر ولايستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم حتى إذا رأى الله منهم الصبر على الأذى فى محبته وتحمل الأذى خوف الله فقد جعل الله لهم من بعد الضيق فرجا فقال تعالى (ولقد بوانا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات)

ابدالهم العز مكان الذل والأمن مكان الخوف فقد أصبح لهم مكان للاقامه يسكنون فيه فى الشام مكان فيه الاستقرار بعد أن كانوا خدم لاماوى لهم فهم كانوا محرمون من أبسط حقوق المواطنه فى مصر فقد ابدالهم الله بمكان اقامه مستقر أنه ارض الشام منزلا صالحا فتأمل عاقبه من امن بالحق ومن نجح فى امتحان التمحيص فقد صار لهم العز والتمكين والقوه والكرامه والأمن والاستقرار ولهذا يقول تعالى. (مبوأ صدق)أضاف المبوا الى الصدق لبيان الثبات والاستقرار لا اضطراب فيه ولاتزعزع وأنه رزقهم الطعام الحلال وليس فى هذا أنهم سكنوا ارض مصر كما ذهب البعض وانما الحديث هو إشارة إلى ماصاروا فيه من الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي وجميع جوانب الحياة فى الشام الارض المباركه التى أمرهم الله أن يقيموا فيها الحضاره العبرية على أساس دين الله فقد صاروا ملوكا وحكاما وائمه اعلاما وبلغت بهم الكرامه من الله مالم تبلغ آمالهم وطموحاتهم

ولكن عندما خرجوا عن منهج الله فما الذى حدث لقد انقسموا واختلفوا وهذا البيان حتى تفهم أن العلاقة التى تربطك هى علاقه الايمان وابواه المنهج ولهذا ذكر لنا الاختلاف والانقسام لبنى اسرائيل

الأمر الثاني

تبين الايه ان أسباب الذل والهوان و سقوط الحضارات واندثارها وانهيارها بأنه يعود إلى وقوع الناس فى مصيده الشيطان الذى يسعى إلى استعباد الناس وجعلهم مطيه له وسيادة ابليس على المضلين ليست مقصورة على الكفار فهو يسعى أن يصل إلى أهدافه فى أهل الإيمان باختلافهم كما وصل إلى استعباد الكفار والمشركين بكفرهم كما استطاع أن يتخذ من فرعون وملائه اتباعا وأعوان له فى قياده الناس إلى نار جهنم فقد استطاع أن يصل إلى بنى إسرائيل بعد أن جعلهم الله ملوكا وحكاما وائمه اعلاما يدعون إلى الهدى فإنه استطاع أن يصل إليهم ويبعده عن الدين عن طريق سياسيه التحريش بينهم والتفريق والعدواه التى جعلت أهل الكتاب ينطلقون من وجهه نظر الشيطان الداعى إلى مبدأ فرق تسد فالشيطان وصل إلى بنى إسرائيل رغم العلم الموجب لاجتماعهم مثلما وصل إلى استعباد الكفار فهو يلجا إلى الاتى

/١

الكفر وهو ما يمارسه مع الشعوب الوثنيه والملحده وأهل الكتاب الذين انحرفوا عن عقيده التوحيد ومخالفتهم دعوه انبيائهم للإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم

/٢

التفرقه والتحريش والاختلاف الذى يمارسه على الشعوب المؤمنه الذى يهدف إلى نشر الصراع العقائدى واضلال الناس وإخراج الناس عن دائره الوعى حيث يودى إلى خلط الحابل بالنابل ولهذا بعد ذكر ما حظى بنى إسرائيل من النعيم والكرامه والنجاه عندما التزموا بمنهج الله يذكر الله حالهم بعدما وقعوا فى مصيده الاختلاف والانقسام (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم أن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

الأمر الثالث

تبين الآية أن اختلاف أهل الكتاب لم يكن عن جهل ولكن بعد أن جاءهم العلم الموجب لاجتماعهم على كلمه التوحيد ولكن المشكله تعود إلى أنهم خلطوا علومهم بنتائج مفرزات طباعهم فتغلب الطبع على الشرع ونتح عن هذا التراكم اختلاف الأجيال المتابعه وتمكن الشيطان بذلك من اختراق عقولهم وقلوبهم بواسوسه وتحرشه

والسبب أنهم تركوا الأصل الذى أمر وا أن يتلوه حق تلاوته كتاب الله وفرقوا دينهم بالبدع والشبهات والتمسك بكل ما يدعم أفكارهم فهم قد جعل لأنفسهم دينا واصوال ابتدعوها ومن ثم يعرضون ذلك على كتاب الله فإن وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفوه طرحوه بالتاويل أو غيره كما هو حال الفلاسفه والفرق الضاله المنحرفه من المسلمين الذين جعلوا من عقيده التمثيل والتشبيه اصل لدينهم كالقدرية والجهميه والدهرية وغيرها من الفرق الذين انحرفوا عن أصل التوحيد فقد جعلوا من تلك الفلسفه الباطله اصل دينهم ولهذا انحرفوا ولو أنهم اعتصموا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الأصل ولكن ضيعوا الاصوال فحرموا الوصول والاصوال اتباع ماجاء به الرسول

فاساس ضلال الفرق التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من ذلك هو الانقسام والاختلاف والخلط بين الفروع والاصوال أنها تعود الى البدع المحدثة التى تخرج الاصوال الثابته كما ضرب الله لها مثلا ب الشجره وأساس البناء كما قال تعالى. (افمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانا خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار ..الخ

وكما قال (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء توتى أكلها كل حين باذان ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الظالمين)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

فالاصوال مأخوذة من اصوال الشجرة وأساس البناء ولهذا يقال فيه الأصل ما ابتنى عليه غيره أو ما تفرع عنه غيره

فالاصوال الثابته هي اصوال الانبياء وهى ما يبنى عليها مافى القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثلا الكلمه الطيبه فى قلوب المؤمنين ومثل الكلمه الخبيثة التى فى قلوب الكافرين والكلمه قضية جازمه وعقيدة جامعه فالكلمه الطيبة هى التى لها أصل ثابت فى قلب المؤمن وفرع عال وهى ثابته فى قلب ثابت كما قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت..فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والايمان فى قلب مستقر وهو نفسه ثابت على الايمان مستقر لايتحول عنه أما الكلمه الخبيثة فهى مثل الشجرة التى استوصلت واجتثت كما يقطع الشى يجتث من فوق الارض لامكان لها تستقر فيه ولا استقرار فى المكان فالمبطل ليس قوله ثابت فى قلبه ولاهو ثابت فيه

ولامستقر كما قال تعالى فى المثل الآخر (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) لانه وان اعتقده مده فإنه عند الحقيقه يخونه والذى يشرك بالله فإنه عند الحقيقه يضل عنه ما كان يدعوا من دون الله وكذلك الأفعال الباطله التى يعتقدها الإنسان عند الحقيقه تخونه ولاتنفعه فهى مثل الشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع فى السماء يوصله إلى الله فهو يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فمن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول لانه ضيع الاصوال ولهذا تجد أن أهل البدع والشبهات لايصلون الى غايه محموده والله بعث الرسل وانزل الكتب بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على السن الرسل

فاصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه فى كتابه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ولاتمثيل ومن ينكر بعض ذلك فإنه ما عرف الله حق معرفته ولا وصفه حق صفته ولاعبده حق عبادته وقد أخبرنا الله فى القرآن عن انحراف اليهود بأن قالوا إن الله فقير وأنهم تركوا منهج الله وحرفوه وغيره من الانحرافات ولم يفصل فى هذه السورة ذلك لأن المقام مقام بيان هلاك المكذبين ونصره المؤمنين

القسم الثانى

تنتقل الآيات إلى التعقيب على ماسبق فقال تعالى

اولا

ابتدأت النصوص بهذا الخطاب (فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين)

المبحث الأول

هذه الايه تحتاج إلى نظرة عميقة نظرا لأن النظرة السطحية للخطاب قد أوقع الكثيرون فى اشكاليه كبيرة حيث أن النظرة السطحية تعنى أن الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم بانه إذا كان شاك فى شأن أنه مرسل من عند الله تعالى أو شاك أن القرآن ومافيه من اخبار الغيب أنها منزله من عند الله فعليه أن يسأل أهل الكتاب من قبله من اليهود والنصارى ؟

أنه للرد على هذا عليك أن تفهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل قد تعلق بهما أمرين

الأول ؛ إثبات نبوته وصدقه وهذا أمر اختص به

فمن غير المنطقي حصول الشك عند النبى صلى الله عليه وسلم

لانه كيف يشك بصدق القران الكريم وأخباره التى تعد معجزه كلف أن يعلم الناس أنها ظهرت من جهته لإثبات صدقه وصدق نبوته فالشك فى هذا يعنى انتفاء شرط المعجز وهو أن يعلم الناس أنها ظهرت من جهته لإثبات صدقه وصدق نبوته

فلا يصح أن يكون هذا الخطاب فيه التخصيص حتى يقال إنه عليه الصلاة والسلام يشك أن القرآن الكريم معجزه من عند الله ظهرت من جهته فالرسول لابد أن يشهد لنفسه بأنها معجزه ظهرت من جهته

الثاني ؛

تصديقه فيما جاء به من أمر الله ونهيه وان ما جاء به هى من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلى كل واحد

ورسل الله غير رسل الملوك والرؤساء حيث أن رسل الملوك والرؤساء يحتمل أن يكون من يرسله لايؤمن بما يحمل من رساله ويحتمل أن يشك فى صحتها

أما رسل الله فهم يؤمنون بمضمون الرساله لان الله اصطفى افضل البشر لهذه المهمه وهم لايعصون الله تعالى وهم اول من يؤمن بالرساله ولهذا يقول تعالى. فى نهايه هذه السوره (قل يايها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

ولهذا فإن الخطاب هنا لايقصد به تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يشك فهذا أمر لايصح لانه رسول الله هو الذى يتصل بجبريل فكيف له أن يشك فى أمر الرساله فاللفظه له والمعنى عام كما قال تعالى (ولئن اشركت ليحبطن عملك)ونحو ذلك لأن الأصل فيما خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم فى

كل ما أمر به ونهى عنه فى حق أمته كمشاركة أمته له فى الأحكام وغيرها حتى يقوم الدليل على التخصيص فما يثبت فى حقه من الأحكام يثبت فى حق الامه إذا لم يخصص يقول شيخ الإسلام فهذا هو مذهب السلف والفقهاء ودلائل ذلك كثيرة كقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) وكقوله لما أباح له الموهوبه (خالصه لك من دون المؤمنين) فإذا كان هذا مع كون الصيغه خاصه فكيف تجعل الصيغه العامه له خاصه مع لفظ العموم (فلا تكونن من الممترين)

والمعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا ولم يسأل فقد ورد فى الحديث أنه قال (لا أشك ولا اسال)

فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويراد به غيره بدليل أن النص قال فيه تعالى (مما أنزلنا اليك) ولم يقل عليك القران فالخطاب يراد به من يشك بما اخبر به الرسول من قصص الانبياء والفراعنه وهى من أمور الغيب التى لم يكن يعلمها اهل مكه وهم كانوا يعتبرون أهل الكتاب بأنهم أهل معرفه ودراية بالاديان فيقول لهم اسالوا أهل الكتاب ماذا فى كتبهم عن النبى الخاتم فقد كانت اليهود تتحدث عن قرب ظهور النبى الخاتم قبل البعثه

وتعليق الحكم بالشرط لايستلزم تحقيق الشرط ووقوعه كقولك إن كنت ابنى فسوف تفعل كذا وكذا فذلك لايعنى انك تشك أنه ليس ابنك ثم إن الشك إنما يكون من الجاهل أما العالم الموقن فإنه لايشك ولايسال يقول شيخ الإسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يسأل وتعليق الحكم بشرط يعدم عند عدمه والرسول لم يشك ولم يسأل

وانما الايه فيها اقامه الحجه على منكرى نبوه النبى صلى الله عليه وسلم

المبحث الثانى

أن مجى الايه بعد ذكر اختلاف بنى إسرائيل عن علم وليس عن جهل تأتى الآيات تدعوا الناس إلى ترك التردد والتقليد وان عليهم أن يأخذوا بالمنهج الذى يجب فيه على المسلم أن يبنى عقيدته على اصوال ثابته بأن يسأل أهل الذكر عليك أن تترك الشك بالسؤال للوصول إلى اليقين لان هلاك الامم هو اتباع الاهواء وترك ما جاءت به الرسل فالعلم النافع لايستقر الا اذا كان المرء عالما موقنا بالحق فيكون العلم والايمان هو الصبغه التى ينصبغ بها كما قال تعالى (صبغه الله ومن احسن من الله صبغه) ويصير مكانه كما قال تعالى (وياقوم اعملوا على مكانتكم ..الخ

والمكان هو الذى يستقر فيه ويثبت فيه وإن لم يكن محيطا كالسقف مثلا فقد ذم الله من يعبد الله على حرف أن اصابه خير اطمئن وان اصابه شر انقلب فهذا يخسر الدنيا والاخره فقال تعالى فى موضع آخر (ومن الناس من يعبد الله على حرف ..الخ

لانه ليس ثابت مستقر فهو مثل الواقف على طرف وحافه الشى فهكذا حال من بنى عقيدته على التقليد بدون علم فإنه يكون فى ريبه وشك فكل من يجد فى نفسه شبهه عليه أن يسأل أهل العلم

والمراد بالذين يقرءون الكتاب ماهو موجود فى التوراة والإنجيل عن النبى الامى فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

والمراد بهذا أن يراجع كل واحد نفسه وأن يقوم بالفحص المعلومه فإذا كان شاك فعليه أن يسأل أهل العلم وحاصل هذا أنه نهى عن الشك فى القرآن والامتراء فيه واشد من ذلك التكذيب به ورتب على مخالفه هذا الخساره فى الدنيا والاخره وعدم الربح ومعلوم أن النهى عن الشى يعنى الأمر بضده ليكون الأمر بتصديق القران التصديق التام فيما جاء به باليقين واطمئنان القلب إليه والإقبال عليه علما وعملا إذا اردت الفلاح والربح والنجاح

ثانيا

تبين الايه أن إصرار الكفار على الكفر وعنادهم ورفضهم الحق الذى جاء به الرسول من ربه ليس ينقصهم الآيات والمعجزات

بل إن هذا يعود إلى سنه الله تعالى فى المكذبين من قبلهم أنهم ليس لديهم استعداد لقبول الحق وهم يستمرون فى العناد حتى يحل بهم العذاب لأنهم يعطلون مدراكهم وحواسهم فقال تعالى

(أن الذين حقت عليهم كلمه ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)

تبين الايه

أهمية الاستعداد لقبول الحق:-

أن الهداية والتوفيق والرحمة من عطاء الله تعالى كما أن الضلال والخذلان من أسباب المنع وهو تعالى. أرسل الرسل وانزل الكتب والمعجزات التى يويد بها الرسل وزواد الناس بادوات العلم والفهم من العقل والسمع والبصر والفطره وهذه كلها فيه الهداية العامه التى يقيم بها الحجه على العباد

ولهذا فمن قبل بالهداية العامه وأمن بالرسل والكتب والتزم ما أمر الله به فإنه تعالى برحمته يهديهم ويوافقهم الى هدايته الخاصه

أما إذا لم يقبلوا الهداية العامه فإنه يعاقبهم بأن يمنع عنهم الهدايه الخاصه

ولهذا يقول لنا أن الآيات والمعجزات إنما تنفع من لديه استعداد لقبول الحق أما من كانت على قلوب اقفال تمنع الفهم وعلى ارداتهم أغلال وعلى عقولهم قيود فانهم محرمون من الهداية لانه كيف يمكن لشخص فى حجرة مغلقه النوافذ والأبواب أن يرى انوار الشمس وهو فى ذلك الحال فلابد من فتح النوافذ والأبواب لدخول اشعه الشمس كذلك هو حال الكفار الذين أغلقوا حواسهم وملكاتهم عن انوار الله فهم حتى لو جاءتهم بكل ايه لن يؤمنوا حتى يشاهدوا العذاب مشاهده العين عندها لاينفعهم الايمان لانه ايمان اضطرار ى وايضا لايعد ذلك ايمان لان الايمان هو الإذعان والتصديق بالغيب

ثانيا

تبين الايه أن الإيمان يعنى الخضوع والاذعان اختيارا ناتج عن التصديق بأمر الغيب والا لايكون إيمانا حقيقا إذا كان الأمر اضطراري عند مشاهده العذاب ولهذا لايقبل الله ايمان قوم عند حلول العذاب إلا قوم يونس هى الامه الوحيده التى نفعها إيمانها عند رؤيه العذاب فقال تعالى. (فلولا كانت قرية امنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياه الدنيا ومتعناهم إلى حين)

حيث يفهم أن إنقاذ قوم يونس كان من عذاب محقق قد دنا منهم واقترب حلوله بهم وقد بادروا إلى التوبه والاستغفار والندم فرفع الله عنهم العذاب لما علم صدق إيمانهم وهذا أما أن يكون فيه استثناء من الامم التى أهلكها الله وفق سنته أن يهلك كل من يكذب الرسل والمعنى أن هذا الأمر استثناء له حكمه حيث أنه تعالى علم أن إيمانهم سوف يستمر وقد استمر فعلا أما الاخرين فإنهم لوردوا لعادوا لمانهو ا عنه ولهذا قال إنه كشف عنهم العذاب الذى فيه الفضيحه لهم فى الدنيا ومتعهم إلى أن حل بهم الأجل

وأما أن المراد بهذا يهدف إلى التحفيز على قبول الحق من قبل المكذبين بأن ينتهز وا الفرصه التى ما زالت سانحه قبل ان يحل بهم العذاب فسنه الله ثابته أنه يهلك بالعذاب المكذبين الا من عاد إلى الله تائبا ولو فى اللحظات الأخيرة كما هو حال قوم يونس الذين آمنوا فى اللحظه الاخيره قبل وقوع العذاب فقد كشف الله عنهم البلاء بالتوبه والعوده الى الله تعالى فالعمل اختيارى فلا جبر على الناس ولكن الجبريه هى فى ترتيب الاثار المترتبه على اختيار الإنسان والله اعلم

ولهذا تأتى الآيات بعدها مبينه لحقيقه فى غايه الاهميه أن الحق سبحانه وتعالى يحترم اراده الإنسان واختياره لانه يرتب على ذلك العقاب فهو تعالى لايامر بارغام الناس على الايمان بل يترك لهم الاختيار فقال تعالى (ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا) لتعرف أن الإنسان مختارا فيما يعمل فهو تعالى خلق النفس لديها استعداد لقبول الخير والشر وامدهم بالعقل الذى يدله على طريق الخير وطريق الشر وترك له اختيار ما يريد وعلىاساس ذلك يكون الجزاء والثواب فقد رتب على ذلك المسؤوليه على الإنسان الذى خلقه بهذه الخصائص وله سبحانه وتعالى حكمه فى ذلك ولهذا يقول لنبيه لو شاء الله أن يخلق

الناس مثل الملائكه لايرتكبون المعاصى ولايكفرون لفعل ولكن ارداته شاءت أن يخلق الناس مختلفين مؤمنين

وكفار ولهذا فان اللازم عليك أن تدرك أنه تعالى. جعل الإيمان والتدين ثمرة لقناعه الإنسان ودليلا على اختياره واحترام ارادتة وتحقيق كرامته ومخاطبه عقله لياتى الايمان اختياريا وليس اكراها ولا اجبارا وعنتا ومصادرة لاراده الإنسان فقال تعالى (افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) سؤال على سبيل الاستفهام الانكاري ولهذا جعل الله مهمه الدعوه هى المجادله بالتى هى احسن فالرسول ما عليه إلا البلاغ المبين وليس إجبار الناس على الايمان فالاكراه والسيطره والتسلط أمر يناقض النبوه ويصادم الفطره كما قال تعالى (ومانت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد)

رابعا

(ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وماكان لنفس أن تؤمن الا باذان الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين)

الأمر الأول

تبين الآيات أن مهمه الرسول وكل داعيه هو الدعوه الى الله تعالى. واقامه الحجه على الناس بدعوتهم إلى الحق والايمان وليس ارغامهم على الايمان وهذه هى الهدايه العامه التى أنعم الله بها على الناس كلهم لاجل استنقاذهم من الظلمات وإخراج مافى النفس من اخلاط ردئيه لكن مساله القبول بالحق متوقف على اختيار الإنسان فهو حر فيما يختار فمن قبل بالهداية العامه وفقه الله للهدايه الخاصه اى أنه لايصل إلى الايمان الا قبل بمنهج الله وصدق به و سار فى حياته وفق منهج الله تعالى المرسوم بمعنى أن يقبل الحق فهذا القبول للحق بمثابه الاذن القدرى والشرعى للهدايه الخاصه فالله هو الفعال لما يريد فمن قبل بالهداية العامه وفقه الله للهدايه الخاصه فقال تعالى (وماكان لنفس أن تؤمن الا باذان الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون) ومن هنا نفهم أن التوفيق لهدايه الله الخاصه مرهونه بقبول الحق الذى يعنى أنها صالحه للاتصال بربها لان القبول بالحق يعنى التطهير من اوساخ النفس لتكون اهلا للاتصال بالروح الذى هو مصدر تكريم الإنسان ولهذا ذكر أن عدم قبول الحق يترتب عليه عقوبه احاطه النفس بالخبال ودسها فى التراب والظلمات لأن الرسل أرسلوا لإنقاذ البشريه من الظلمات وإخراج مافى النفس من اخلاط ردئيه ولهذا يذم الله الذين لايقبلون بدعوه الحق بأنهم لايعقلون فاستحقوا عذاب البعد الروحى لأنهم عطلوا مدراكهم وحواسهم وعقولهم اى أن الاخلاط الردئيه تسيطر عليهم فتصبح النفس خسيسه وحقيره غير قابله للحق وغير صالحه لدخول الجنه

الأمر الثاني

ماهو سبب عدم قبول المكذبين بالحق الذى جاءبه الانبياء من ربهم ؟

هى خسه النفس وخبثها وحقارتها واستعلاءها بالمظاهر الخادعه وغناءها بها وكذلك الجهل والغفله حيث أنه بالوقوف على الايات نجد أنها وردت تعقيبا على هلاك قوم نوح بالطوفان وغرق فرعون وجنوده فى البحر الذين رفضوا القبول بالحق كنماذج لهلاك وسقوط الحضارات المادية التى ترفض قبول الحق فما هى الأسباب المانعة لهم من القبول بالحق

/١

حب العز والكبر كما قال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)

فهذا الداء يصعب إخراجه من النفس التى تطلب الدنيا فيصعب اخراجه من النفس الخبيثه ولو جاءتها بكل ايه حيث ومنه مخرج حب الرئاسة والجاه عند الناس ومنه الكبر والفخر ومنه الغضب والحسد ومنه الحقد والحمية والعصبية والنفس عاشقة له وهو قرة عينها وهو احب من ام واحد لواحدها

ولهذا جعل الله التواضع والتذلل هو صفه الانبياء والمرسلين والمؤمنين والصالحين فهو تعالى لم يرخص بالكبر لاحد ولاحتى الانبياء ولهذا فمن عالج نفي العز من نفسه ووفقة الله لذلك فنال نفيه سهل عليه السير فى طريق محبه الله عز وجل ومحبه الايمان وسبيل الاستقامه ومدارج الصالحين وهان عليه معالجه الصدق فى عمله واطمانت نفسه إلى التواضع والتذلل وطاب له طريق العدل لانه لايقدر أن يحب الناس ما يحب لنفسه وفيه العز ولايقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولايقدر على التواضع الذى هو شرف التقوى وحليتها وفيه العز ولايقدر على ترك الحسد وفيه العز ولايقدر على ترك الحمية والتعصب وفيه العز ولايسلم من ازدراء الناس واحتقارهم وفيه العز ولايقدر على قبول الحق وفيه العز

فداء العز خطير وفساده أعظم وضرره اكثر وأغلب الناس غافلون عنه يشترك فيه الأغنياء والفقراء والاقوياء والضعفاء والاماء والعبيد والعلماء والروساء والزعماء والملوك والعوام وكل واحد منهم يظهر منه على قدر ما يمكنه إظهاره ومن لم يقدر على إظهاره عامل الناس به سرا فى نفسه ففى كل نفس ما فى نفس فرعون وملائه من حب العز يقول المحاسبى فى كتابه بدأ من أناب ماغفل الناس عنه وأقل معرفتهم به واشد متابعتهم له فالهوى حكمه والكبر اخوه وعضده والجور سيرته والغضب سلطانه والرياء عون من أعوانه له يكسب واليه يودى والعجب أضعف عونا له والحسد امير جنوده والغل صاحب مشورته

فمن كان همه الوحيد هو العناية بالعز لنفسه الذى يريد أن يحوزه

فإن هذا لايمكن أن يقبل الحق بل ينفر من الحق ويحارب أهله ويحقدهم عليهم غضبا لأنفسهم عن طريق الاعزاز لها وذلك كله من داء العز وحركته الذى لم يجز لأهل الجنة ولا الملائكه ولا للنبيين ولهذا فإن من يريد أن ينتفع بالايات فعليه العمل فى إطفاء العز من قلبه فى أول أمره وان يجعله تحت قدميه فانه سوف يجد فى نفى العز من قلبه ولزوم التواضع = نور التواضع والتذلل ما تجعله ينتفع بالايات والنذر

/٢

الغفله نتيجه التعلق بالدنيا والشغف بها والحرص وهيجان الرغبه فيها فإذا تمكنت هذه الأشياء من الإنسان فإنها تقهر صاحبها على موافقه هواها فإنها تستعبده فتذهله وتذله وتدهشه وتطيش عقله فتلوثه وتفضحه كما قال تعالى على لسان موسى (ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلو عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلايومنوا حتى يروا العذاب الأليم)

فاتباع الهوى سما صرفا ينخدع بها من افتتن فى الدنيا وزينتها حيث أنها تستماله فيميل بعقله وعلمه وفهمه وحكمته وبصره فاجراه مجرى هوى نفسه فعجلت له الفضيحه فى عاجل الدنيا عند حكمائها وعقلائها واسقطته من عين الله واعين العباد من أهل البصائر واخرت له الندامه الطويله عند مفارقه الدنيا ولهذا فإن العاقل ينظر إلى

عواقب الأمور ولهذا يقطع الطمع فى أسباب الدنيا ويغلب بعقله هواها فيرجع بطمع النفس إلى منازل الاخره ويشتغل لما فيه سعادته الابداية بطلب أسباب الآخرة وهى مبينه على الطمع إذا تجرد من طلب أسباب الدنيا ويقبل على نفسه بالاياس من المخلوقين ويجتهد فى طلب الاخره ولهذا يتعاهد قلبه بتذكر ماحل بالامم السابقه ويلزمه الفكر بالمعادي فلا يفارق ذلك قلبه فيكون فى يقظه فلا يسمح للشيطان أن يخترق قلبه وعقله فيعتصم بكتاب الله وسنة رسوله وهذا نور يضى القلب ولا شى اثقل على الشيطان من النور ونور القلب إنما يكون مع يقظه القلب وحياته فإذا غفل مات واظلم وطفئ نوره فيلبس على العبد ما يدخل عليه العدو أو يكون عليه فيختلس الشيطان من العبد ذلك فإذا استدام القلب بالغفله فإن الآثام تتسوره وتحيط به فيعيش داخل دائرتها وعندما يصر عليها ويرضى بها يعلو قلبه الران فيظلم ويتربع ابليس على تلك القلوب فيكون لسانه ناطقا للشيطان وجوراحه ادوات له

الأمر الثالث

تبين الايه أن عدم الإيمان وتكذيب الرسل و وعدم قبول منهج الله من الناس هو نتيجه الاستعلاء بالمظاهر الخادعه التى تجعلهم يعيشون فى ظلمات الغفله والعز الموهوم والكبر والتعلق بالدنيا والشغف بها والحرص عليها حتى يتفاجاء بالعذاب فلا تنفع معه الآيات والنذر لانه قد كتب عليه الضلال والهلاك طالما لم يتخلص من هذه الآفات لأنها تقف مانعا له من قبول الحق فهو يعيش فى غفله لايدرى من اين يدخل عليه الشر والفساد وهو لايدرى من اين دخل وانى أتاه وكيف هو وما السبيل إلى التخلص منه فيبقى عند ذلك تائها حيران لانه عطل مدراكه فعاقبه الله بذلك عاقبه أن جعله يعيش فى غفلته لايعرف داءه حتى يتفاجاء بالهلاك لان من عرف داءه لابد أن يعرف دواءه فمن كان هذا حاله لايعرف داء وعيب نفسه فلابد أنه لاعقل له لان سقوط وعى الإنسان بربه يجعله ميت وان كان حيا أن عدم معرفه الإنسان بداءه وضعفه وافتقاره لربه أمرا قبيح فقال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لايعقلون)

والسؤال

ماذا يعنى الرجس:

الرجس يعنى أبشع أنواع الدنس والقذورات و لماذا ذكر أنه يجعل على الذين لايعقلون ؟

لان الانسان الذى تكلف معرفه النجوم والكواكب فى السماء واسماءها ومجاريها ومطالعها ومغاربها وتكلف معرفه منازل الشمس والقمر ومجاريها ومطالعها ومغاربها وتكلف اخراج الذهب من باطن الأرض وتكلف أخذ الدواب والانعام والسباع من البربرى وتكلف معالجه الشاطين وتكلف معرفه مرض المريض وأسباب علله بالنظر إلى البرز فى المختبر دون أن ينظر إلى المريض وعرف دواءه وتكلف تعلم سير الملوك الماضيه من القرون الأولى فكتبها ودرسها عالج مافى قعر البحر فعرفه لما شغل عنايته به لمعنى دنياه واهمل آخرته

ولهذا كيف لمن كان له عقل أن تغلبه نفسه ويعجز عن معرفه داءه ومعالجتها لماذا لم ينظر الى ما فى السماوات والأرض من آيات مر بها فيرى أن مافيها من نظام دقيق وانضباط تعنى أن كل شى يتحرك وفق منهج مرسوم محدد يتحرك نحو غايه وهدف فكيف يشذ الإنسان عن هذه القوانين ليعلم أن المنهج الربانى الذى جاء به الرسول من ربه فيه اخراج الاخلاط الردئيه من النفس حتى تنضبط فى حركتها وتنسجم ما حركه الكون فالمنهج أنزله الله لهدايه الناس والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرادها مثلما أن الكون والحياه محكوم بقوانين فإن

الإنسان محكوم بسنن ونواميس واقدار ونظام فقال تعالى (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون)

أن غلبه نفس الإنسان وهواه له وعدم معرفته لفساد نفسه و عدم قبوله للمنهج الذى فيه تزكيه النفس وتطهيرها من الشر يجعله يغفل عن معرفه نفسه فهو لوعنى بمعرفه نفسه مثلما اعتنى بمعرفه ما ذكرنا من أمر دنياه المضمونه له لأن الله تكفل بالارزاق لكل مخلوق لعرف فساد نفسه وصلاحها مثلما عرف من ذلك وقدر على معالجه مرضه ولكنه رضى أن يسلك طريق الحياه باتباع هواه أو بالجهاله فى دينه فكيف يكون انسان عاقل من يرضى أن يسلك طريق الدين بالجهاله ولم يرض أن يسلك طريق الدنيا الابعلم وبصيره ولهذا يدعوا الحق العباد إلى النظر فى الكون يدعوهم إلى اكتشاف الاسرار لترى جمال الله وجلاله وعظمته وكماله وهمينته وكبرياءه وغناءه وإحسانه وفضله ورحمته وإبداعه لتحس وتشعر بوجوده وبخضوع الكون له تعالى فالكل يعبد الله ويطيعه فالكون شاهد على. كل ذلك فمن احس وشعر بذلك وتفكر وتدبر فانه يرزق نور وهدى حيث يعقل بالقلب لما قد يشاهد من دلائل الايمان مثل دلائل الربوبيه والنبوه وهذا يسمع بالاذان فيعلم أن القرآن حق والإسلام عندما دعا المسلمين إلى اكتشاف اسرار الكون كان الناس فى زمان لم تكن العلوم قد وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم من الاكتشافات العلمية التى أكدت أن القرآن حق فالقران وافق الايمان والايات المستقبليه وافقت القران والايمان وكذلك فإن ما حل بالامم السابقة من العذاب فيها انذار لكل من يسلك طريقهم ومع ذلك يري الناس هذه الآيات ولكنهم لاينتفعون منها لأنهم يقروان تلك الآيات قراءه ماديه. أما المؤمن فانه يقراءها قراءه شرعيه بالنظر إلى موقفها من الديانه

لاينتفع المتكبر والباغى بالايات لانه مغتر بما هو فيه لانه لايتوقع أن يحل به ما حل بالامم السابقة حتى يحل به ماحل بهم لانه لايحسن قراءه التاريخ والمثلات التى يرى آثارها ولهذا يوبخ الله كفار قريش فقال تعالى. (فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) فالناس ينتظرون العاقبه التى تنتظرهم لكن هما مختلفان فى هذا الانتظار فالكفار فى غفله عنها أما المؤمن فانه يحذر أن يحل به ما حل بالامم السابقه فهو ينازع نفسه ومافيها من طبع حب العز والشرف لهذا يزجرها ويودبها ينظر هل فعله يرضى الله ام يسخطه ويودبها ولهذا فإن من كان مريدا صادقا يحب النظر فى عواقب الأمور عليه أن يغلق باب الطمع فى الدنيا وان يطلب الاخره ويتجرد فى طلبه ويعزم عزما صحيحا أن يهب نفسه لله فى بقيه عمره فهو مالك الإنسان سبحانه وتعالى وانت محتاج إليه وهو غنى عن أهل السموات والأرض فألايات تفيد من يتلذذ بذكر الله وطاعته من يشعر بوجود الله فى كل وقت من يتلذذ بمناجاه ربه

الأمر الرابع

تبين الآيات أن مشاهده ايات الله فى الكون والايات التاريخيه عن هلاك المكذبين تعنى أن تخرج العز من قلبك وتقطعه بالياس من الناس وتعود إلى الله تطلب طاعته ورضاه وتخضع له وتعتز باصابه شرف العبودية أن تكون عبدا ذليلا لله فتكون اعز ذليل تذللت لله تعالى فاعزك بطاعته وخضعت له فشرفك بعبادته

فالعاقبه تكون لمن عرف ربه باسماءه وصفاته وأفعاله وكماله فآمن به والتزم ما أمر به وذكر آخرته وعرف ضعف نفسه وافتقارها إلى ربه وعرف عيوبها وضعفها فى طلب اخرتها فادابها بآداب الله حتى استقامت على محبه الله فكانت هذه المعرفه والايمان بيقين هى اساس الحركه والفكر فى طلب رضا الله وتقدير عظمته حق قدره والخوف من سخطه فى وعيده فتحذر ما نهى عنه وتمتثل ما أمر به عندها يستنير القلب وتستقيم على الحق

فيكون لها السلامه والنجاه فهو تعالى يقول (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين)

اى حقا أوجبه الله تعالى على. نفسه جل جلاله رحمه بعباده كما قال (كتب ربكم على نفسه الرحمه)

القسم الرابع

هذا القسم فيه الختام فهو يختتم هذه الجولات التى تناولت الدعوه للإيمان بالله ومعرفته ومحبته وعبادتة وحده لا شريك له..وكذلك الدعوه للإيمان باليوم الاخر والحساب والعقاب والقضاء والقدر والجنه والنار ....وكذلك الدعوه للإيمان بالرسول والتصديق بالرساله فهذه مضامين محاورات الانبياء مع رسلهم فبعد أن بينت النصوص الاداله القاطعه الموكده صدق ما يدعوهم إليه تختم السورة بآيات هذا المقطع الذى كلف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلنها اعلانا عاما لكل الناس فقال تعالى.

(قل يايها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

الا مر الأول

فهذا الأمر الالهى لنبيه (قل) ليفهم السامع أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف أن يخاطبهم بهذا الإعلان الذى فيه اقامه الحجه عليهم وهو خطاب انذار لهم لانه تضمن خطاب للناس كافه (قل يايها الناس) يامر الله نبيه أن يتوجه بهذا الإعلان لاهل مكه بهذا الإعلان الذى يخبرهم به أن كنتم فى شك من صدق هذا الدين فان ذلك لن يحولنى عن يقينى ولن يجعلنا ذلك اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن سوف اعبد الله وحده لا شريك له وانفذ أمر الله وانا مؤمن باليقين بأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له وهذا فيه

المفهوم الاول

أن اللازم على الداعيه الثبات على الحق وأن لايدع المرارة التى يشعر بها من اساءه الناس إليه والتشكيك بالافكار التى يدعوهم إليها تنعكس على حياته فعليك أن تبقى كما انت ثابت على ايمانك وبمبادئك وافكارك لان الاعداء سوف يلجأون إلى التشكيك بالافكار والاساءه لشخص الداعيه لمنع جلوس إليه ولأجل أضعاف الداعيه بالياس فهذا سلاح لابد أن يواجهه الداعيه فى مرحله الدعوه الجهرية التى تهدف إلى إقناع الناس بشخص الداعية والأفكار التي يدعوا الناس للإيمان بها ولهذا لما استغل المشركين واقعه الاسراء والمعراج سلاحا نفسيا للاساءه للرسول والتشكيك بما يدعوهم إليه خاصه بعد حصول رده بعض المسلمين ممن وقعوا فى هذه الفتنه يامر الله نبيه (قل يايها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

يقول لهم أن كان غرضكم من هذا التشكيك بصدق هذا الدين أن يدفعنا ذلك إلى التحول عن هدفى او أن تجعلونى اتحول عن يقينى ودعوتى فانتم واهمون فانا لن اتحول

وسوف استمر فى هذا الطريق ولن اعبد اصنامكم بل سوف اعبد الله وحده لا شريك له

المفهوم الثانى

تهدف الآيات الى تفهم انت ايه المسلم أن حمل امانه الدعوه

و تتطلب أن تكون شجاعا قويا وصاحب عزيمه لان الخائفون لايصنعون الحريه و الضعفاء لايخلقون الكرامه والمترددون لن تقوى أيديهم المرتعشه على البناء ولهذا

ولهذا جاء الأمر للنبى بإعلان التمسك بعقيده التوحيد والبراءه من الأصنام فى زمن كان المسلمين فى ضعف بينما المشركين كانوا أقوياء فأراد بهذا الإعلان أن تفهم انت ايه المسلم أن القوه ليست هى الحق بل الحق هو دائما مصدر القوه الذى تستمد منه قوتك التى تصنع بها الحريه وتخلق بها الكرامه بالعزيمه والإرادة التى سوف تصنع بها التاريخ وتزيل العقبات من طريقك فانت وحدك تصنع مستقبلك والإختيار هو اختيارك والمسؤولية هى مسؤوليتك ولهذا اختتم بقوله (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

الأمر الثاني

التأكيد على أفراد العبوديه لله تعالى وحده لا شريك له

الذى يملك الحياه والموت والتوقف على ما أمر به ولا يتعداه فى جميع شؤون الحياه فقال

(ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

وبالوقوف على الايه نجد الاتى

الاخبار أنه يعبد الله الذى هو أكبر من كل شى وهو القهار الذى يقهرهم بالموت فيقبض أرواحهم وهو يملك أعمارهم

فقال (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم)

بعد أن اعلان الرسول البراءه من عباده الاصنام تأتى الآيات بالاستدرك (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم) بذكر التأكيد على. أفراد الله بالعباده والاستعانة وحده لا شريك له الذى يملك الحياة والموت فما فائدة هذا الاستدراك

المفهوم الاول

يدعوا الناس إلى الاستغناء بالله وحده فلو استغنيت بالله وحده بالشعور باطلاعه عليك وبجزيل ثوابه لاهل طاعته ومحبته لهم وتوفيقه لهم وتسديده إياهم ومراقبته فإن حصل هذا فإنه يغنيك عمن لايملك لك ولا لنفسه نفعا ولاضرا وهذا إنما يكون بمعرفه الإنسان لقدر نفسه وإصلاح مافيها من عيوب ولهذا ابتدأت الايه باعلان الرسول البراءه من عباده الاصنام للاشاره إلى اهميه التطهير قبل العمل فالتطهير يعنى الانتقال من الشر إلى الأساس الذى يبنى عليه الخير فلابد أن يكون الأساس قويا ومتينا لان البناء قد ينهار ويسقط لكن الأساس يبقى فلا يمكن أن يسقط الأساس ويبقى البناء ولهذا جاء الاستدراك (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) بعد أن أعلن الرسول البراءه من الأصنام

المفهوم الثانى

تبين النصوص اهميه معرفه العبد للشر لاجل أن يميز بين الخير والشر فيكون عزل الشر عن الخير ويكون اعتزال

الشر فيكون ما بقى بعد ذلك هو خير كله لان الانسان يمكنه أن يعلم بالخير لكن لايحسن أن يميز مافيه من الشر من الآفات التى تفسده وتبطله لان الخير مشوب ممازج بالشر والشر كله شر ولهذا يلجأ الشيطان إلى اضلال الناس عن طريق الخير حيث يمزجه بالشر فالمشركون فى مكه لم يكونوا ينكرون أن الله هو خالق الكون لكنهم يشركون فى عباده الله بأن جعلوا الأصنام وسيط يشفع لهم عند الله فاوهمتهم أنفسهم أنهم على خير وهدى وطريق محبه وسبيل استقامه وهم ضالون عن الله عادلون عن طريق محبته وسبيل الاستقامه ولهذا جاء الاستدراك (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) بعد أعلان النبى للمشركين ان عدم الاستجابة منهم لما يدعوهم إليه والتشكيك بالدين والوحى الذى أنزله الله أنه لن يؤثر فيه ولن يحوله عن اليقين ولن يعبد الأصنام التى يعبدوها المشركون فهى لاتملك النفع والضرر وهى مخلوقه ليس فيها مايقتضى عبادتها

المفهوم الثالث

أن اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم أنه يعبد الله الذى يتوفاهم ..تهدف إلى أن يعرف الإنسان ضعفه وأنه لن يستطيع الإفلات من قبضه الله وأنهم سوف يعودون إلى الله فهو يقهرهم بقبض أرواحهم ويملك اجالهم وأعمارهم

فهم سوف يحسبون على أعمالهم وبالتالى فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له

الأمر الثالث

أن هذا الاستدراك لاجل بيان غايه وجود الإنسان على الأرض هى عباده الله كما أراد وكما أمر فقال تعالى. (إن كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

وقد أشار لمعنى العباده فى بالدين لان العباده تشمل العقيده الصحيحه والمعاملات السليمه والعلاقه الروحيه مع الخالق والدعاء كما تشمل نظام الحياه وتشمل حتى السعى فى الارض و استخراج كنوزها فكل عمل كريم يقوم به المسلم هو فى الحقيقه عباده لله تعالى وهى الدين الذى تقوم عليها الحياه ولهذا قال (إن كنتم فى شك من دينى) ثم اتبعها فلا اعبد ...(ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم المخاطبين أنه مأمور بالإيمان والتصديق بما جاء به والعمل بامر الله فكل نظام حياته قائما على هذا الأساس فهو مأمور مثل الناس بهذه التكاليف ولأن عباده الله تتطلب أن يصلح الإنسان نفسه ابتدأ بأن يلزم النفس أمر ربها وأداء ما افترضه الله عليها فمن ضيع حقوق الله كان لحقوق نفسه وحقوق الناس اضيع

ثانيا

تاتى الايه بهذا التوجيه المباشر للرسول صلى الله عليه وسلم (وان اقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين)

وهذا التحول فى السياق من الحكايه على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسلوب الخطاب المباشر يهدف إلى جذب انتباه السامعين الذين يصورهم المشهد كأنهم حاضرين والرسول يتلقى هذه التوجيهات حتى يكون

لذلك تاثير قوي وعميق على نفسهم حيث أن الحكايه عن الرسول فى الايه السابقه قد انتهت بقوله تعالي. (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

ولما كان أعظم ما فى الدنيا هو شعور المرء منا برضاء الله عز وجل عنه والدخول فى طاعته وهو ما يجب أن لانغفل عنه فهذا أمر جليل ولهذا يقول تعالى بلسان النبى صلى الله عليه وسلم (وأمرت أن أكون من المؤمنين)

يقول لهم أن سعادتى هى فى إرضاء الله فى أن أكون عبدا لله أنه يعتز بالشعور برضاء الله تعالى والدخول فى طاعته

وهذا الأمر عظيم كثير ما يغفل الناس عنه بالذنوب وتراكم العيوب والزهد عن الباقيات الصالحات اننا بحاجة إلى معرفه كيف نبدا طريق العوده الى الله تعالى ولهذا نجد الايه بعدها تأتى بأسلوب فيه التحول فى السياق من الحكايه الى الأمر المباشر للرسول صلى الله عليه وسلم(وان اقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين)

وهذا التحول فى السياق يهدف إلى جذب انتباه السامعين الذين يصورهم المشهد كأنهم حاضرين والرسول يتلقى هذه التوجيهات حتى يكون لهذه التوجيهات تأثير قوى وعميق على. أنفسهم فالانسان بحاجه أن يقف مع نفسه ليعرف ما هى السبل الموصله إلى الهداية وكيف نتخلص من عيوبنا

فالعبد بحاجه أن يعرف أخطاءه لانه لايري فى نفسه دائما الا الخير وأيضا فإن الانسان يتسال كيف اصيرا إنسانا جديدا كيف انال جنه ربى ؟

ولهذا ياتى الجواب (أن اقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله

هى معطوفه على ما قبلها والمراد بهذا

الأمر الأول

أن البدايه تكون بالاقبال على ربك وعمل لمرضاته ولهذا جاء التوجيه (و أن اقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين)

ذكر اقامه الوجه بالميل عن الباطل وان تتجه بوجهك الى ربك بالتزام منهج الله

الامر الثانى

أن اول معركه تخوضها ايه العبد فى الحياه حتى تقيم وجهك للدين هى مع نفسك فاذا انتصرت على نفسك سوف تنتصر على غيره فصحيح أن الانتصار على الغير يعنى انك قوى لكن الانتصار على النفس اقوى ولهذا فعليك أن تنتصر على عيوب نفسك بأن تكسر اهواءها وتقمع رغباتها وتقويمها بحيث تجعل سلوك النفس الظاهر والباطن منحرفا عن الباطل والشرك ومتجها إلى الله تعالى بالاخلاص وتستقيم على. منهج الله وهذا يتطلب معرفه الإنسان بنفسه وعيوبها وكيف يكون إهمال رعايتها تعرف ضعفها فى طلب

اخراتها حتى يادابها بآداب الله وتستقيم على محبه الله ولهذا يعقب بقوله تعالى (ولاتكونن من المشركين)

لان المشركين يعبدون اهواءهم فهم لا يزجرون أنفسهم لأنهم لايعتقدون بالحساب والعقاب وهم يحبون الفخر

ويطلبون الشهره والتفاخر ولايقصدون بالأعمال الخيريه وجه الله تعالى لان المشركين أقاموا عقيدتهم على التقليد دون العلم

ثالثا

تهدف الايات فى هذا الخاتمه إلى تصحيح الانحرافات الجاهليه فى التصور والاعتقاد والتفكير والسلوك والأوضاع الفاسده بفعل الجاهليه والتقليد وتعطيل العقول وتلوث الفطرة نتيجه تعاقب الأجيال وانقطاع الرسالات عن المشركين ولهذا نجد بعد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

بالاستقامه على دين الله الحنيف والاعتصام به والتحذير من الانحراف الذى حصل فى سلوك أهل الجاهليه الذين تركوا العلم والحنفيه السمحاء التى كانوا عليها وأخذ ببدعه الجاهل عمر و بن لحى الذى نقل العقيده الوثنيه إلى مكه فكانت تلك البدايه لانحراف اهل مكه عن الحنفيه التى جاء بها اسماعيل عليه السلام تبين الآيات أن من أراد تحقيق الغايه من وجوده اى عباده الله لابد أن يطهر الاوعيه النفسيه والعقليه والقلبيه والجوراح والملكات الظاهره والباطنه من الشرك بكل صورة فالتوحيد لايقبل اى شائبه تشوبه فى القول أو العمل ولهذا جاء عطف الايات (ولاتدعوا من) بالنهى عن الدعاء والاستغاثه والعباده لغير الله سواء كان هذا المعبود هو الهوى أو أصنام أو بشر أو ملائكه أو أصنام أو كوكب أو نجوم أو ماشباه واصفا إياها انها مخلوقات عاجزه لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا ناهيكم عن نفع أو ضر غيرها وان جميعها مخلوقات خلقها الله تعالى. فهو المتفرد بالنفع والضرر والمنع والعطاء والتصرف والأرزاق بعد أن بينت الايه السابقه أن البدايه تكون باخلاص الناس فى أعمالهم بأن يقصد بها إرضاء الله تعالى فكان العطف للايات على ماقبلها مؤثرا ومحققا للأهداف للاتى

الدرس الاول

أن الانسان بحاجه الى مناجاه ربه يطلب منه أن يساعده ويوفقه إلى طريق الصواب بحاجه الى معونه الله أن يرشده إلى طريق الله المستقيم بحاجه أن يطلب من ربه أن يجلب له ما ينفعه وان يدفع عنه ما يضره وهذا النقص والعجز موجود فى الفطره ولهذا عند غياب المنهج فإن الإنسان يضل ويلجأ بجهله وظلمه إلى طلب العون من مخلوقات عاجزه لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا وكذلك فإنه عدم معرفه النفس لربها يجعلها تتخذ لها معبودا من دون الله عندما تضل الطريق أثناء بحثها عن معبودها الحق الذى خلقها الله لتعبده ولهذا فإن أول وسيله تحقيق الغايه من الوجود الإنساني فى الارض (عباده الله) تكون بالعرفان الصحيح بالله تعالى. والايمان بالاله الحق لان الانحراف فى اول خطوه يخطوها الإنسان تعنى أن باقى خطواته منحرفه ولهذا نجد أن القرآن يحذر فى خطابه النبى صلى الله عليه وسلم من سلوك المشركين واعتقادهم الفاسد الذين أخطأوا الطريق فى بحثهم عن الإله بالتوسل بالاصنام أنها تقربهم إلى الله زلفى وعبد وها واستغاثوا بها

فجاء النهى بهذه الطريقة موجها للنبى وهو خطاب موجه لعموم امته ليدركوا اهميه العرفان الصحيح بالله وليحذروا من الانحراف فى الطريق الموصل إلى الله فيقول تعالى للنبى محذرا (فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين)

اى من جمله المشركين لان الله هو الذي بيده ملكوت كل شى والجميع مخلوقاته ولايمكن أن يكونوا مثل الله فالله ليس كمثله شي فهى ذلك ان الاله الحق الذى يبحثون عنه هو الحى الدائم القدير على الموت والحياه والقدير على اجابه الدعاء الذى تجده وقت الشده والرخاء وفى كل وقت عندما تدعوه انتبه أن تضل طريق

الوصول إليه بضياع الاصوال فهو تعالى قد وصف نفسه (له دعوه الحق والذين يدعون من دونه لايستيجبون لهم بشى الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال)

فهذا هو الإله الحق الذى يدعوه الإنسان أما الذين يعبدهم الناس فهم مخلوقات أشباههم لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا ناهيكم عن نفع غيرهم فهم عاجزون لايملكون جوابا لهم فهم والهتهم مثل باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه فهل يدخل الماء هكذا إلى فمه من الموكد أنه مستحيل هكذا هو حال الذين يجهلون الإله الحق وادعيتهم كلها باطله ولهذا يقول تعالى.

(ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك) وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

تضمنت الايه الكريمه ثلاثه امور

١/ النهى عن دعاء غير الله ايان

٢/وصف كل شى يعبده الكفار بأنهم عاجزون لايملكون شيئا فهم مخلوقات خلقها الله تعالى. وبالتالى فهو تعالى المستحق للعبادة وحده لا شريك له

٣تحذير النبى من سلوك المشركين واعتقادهم فقال تعالى (فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين)

ولهذا سوف نقف على مقاصد ومفاهيم هذه الأمور وأهميتها فى اعاده تشكيل المجتمعات و اعاده صياغه وبناء العقول والحياه على هذه المفاهيم فى جميع شؤون الحياة من خلال هذه المفاهيم التى تدل عليها النصوص

المفهوم الاول

التنبيه الى أن الدعاء لايكون الا الله تعالى فقال تعالى. (ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين)

وهذا يهدف إلى اعاده بناء الإنسان وتحريره من كافه الاوهام والخرافات فجاء باللفظ العام بالنهى عن الدعاء لغير الله لتفهم أن الدعاء بشقيه دعاء المساله ..ودعاء العباده لايكون الا لله تعالى فالقران يذكر الدعاء تارة لغرض المساله وتاره لغرض العباده وتاره يراد به مجموعهما لان دعاء المساله يعنى طلب ما ينفع الداعى من جلب نفع أو كشف ضر ولهذا يقول تعالى هنا

لان دعاء المساله يستلزم دعاء العباده ودعاء العباده مستلزم لدعاء المساله فدعاء المساله يتضمن دعاء العباده لان السائل اخلص سؤاله لله وذلك من افضل العبادات وكذلك الذاكر لله والتالى لكتابه ونحوه طالب من الله المعنى فيكون داعيا عابدا فالدعاء عباده لله تعالى. لانه يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل ولهذا جاء النهى عن الاستعانه والتوسل بغير الله معطوفا على ماقبله فجعل الضابط استقامه العبد على كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به لانك اذا صرفت شى من تلك العباده لغير الله سواء فى دعاء أو طلب جلب منفعه أو دفع ضرر كان بشر أو قانون يحكم بغير الله أو صنم أو ملائكه أو جن او ما شابه سواء كان فى دعاء المساله بطلب جلب منفعه أو دفع ضرر أو بأى فعل يصادم مابعث به محمد صلى الله عليه وسلم فإن هذا يعنى الخروج من دائرة الايمان إلى

دائره الشرك لقوله تعالى (قل الله اعبد مخلصا دينى)

المفهوم الثانى

الايه فيها التحذير للامه من المغالاة فى حب البشر أو غيرها من المخلوقات سواء كانوا ملائكه أو جن أو أنبياء أو صالحين او ماشابه ذلك يحذر من التوسل بها حيث أن ذلك مدخل الشرك فالذين كانوا يعبدون الأصنام والذين كان منهم الغلو فى تعظيم عيسى وعبادته والذين كان منهم المغالاه فى تعظيم على بن أبى طالب ولهذا تبين الايه أن دعاء المساله المساله شرك وخروج عن دائره الايمان إلى الشرك وتصف جميع المخلوقات التى تعبد من دون الله بأنها عاجزه لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولهذا بعث الله رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عباده ولادعاء مساله فجاء الخطاب موجها للنبى صلى الله عليه وسلم لاجل أن تحذر الامه هذا السلوك فلايجوز التوسل بغير الله تعالى فى طلب النفع ودفع الضرر فكل المخلوقات عاجزه عن ذلك وهذا أمر يخرج من الايمان إلى الكفر فاذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام مأمور بإخلاص عمله لوجه الله وان لايتوجه بالدعاء أو العباده لأى مخلوق ايان كان وان يستقيم علىمنهج الله حنيفا فى كل شؤون حياته وأنه إذا خالف ذلك بالتوسل بالاصنام أو الملائكه أو البشر أو ما شابه ذلك فإنه سيكون مصيره الانحراف والسقوط من دائره أولياء الله إلى هاوية الظالمين فقال تعالى. (فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) اى من جمله المشركين الذين امره أن لايكون منهم فى الايه السابقه (ولاتكونن من المشركين) فالظلم هو الشرك لقوله تعالى (أن الشرك لظلم عظيم)

فإذا كان هذا التهديد للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف بمن هم سواه من البشر

فالايه تهدف إلى التحذير من التوسل بغير الله ولهذا جاء التهديد للرسول ليدرك السامع خطوره الموقف فإذا كان ذلك لم يسمح لخير خلق الله محمد بن عبد الله خاتم الانبياء والمرسلين ويهدده الله بمصير المشركين أن فعل ذلك يقول له لايجوز أن تجعل ببنك وبين الله وسائط تتوكل عليهم وتدعوهم فإن فعلت ذلك فإنك كافر ومشرك فكيف بمن سواه من بنى البشر حيث نرى الكثيرون يقبعون عند القبور يطلبون الحوائج من الموتى ويتوسلون بهم ويذبحون عند الاضراحه فهذه الاستغاثة منهم بغير الله كفر بواح

الأمر الثانى

لما بينت الايه السابقه أن الدعاء بشقيه دعاء المساله ودعاء العباده إنما يكون لله تعالى. وحده لا شريك وحذرت من التوسل بغير الله وأن ذلك شرك وخروج من الإسلام إلى الكفر. يقول بعدها تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو

وهذا فيه بيان الاتى

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن الدعاء عام يندرج ضمن معانية الاستغاثة التى تعنى طلب الغوث اى ازاله الشده كالاستنصار وطلب النصر والاستعانة اى طلب العون فليس كل دعاء استغاثه لان الاستغاثة تكون من الكروبات ولكن كل استغاثه دعاء وبالتالى إذا كان لك مساله فعليك أن تطلبها من الله تعالى لانه يملك النفع والضرر وحده لا شريك له لانه تعالى المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع دون من سواه فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده والمعبود وحده لا شريك له

المفهوم الثانى

أذا كان الاستغاثة ا.و طلب الرزق والنصر دعاء والمعلوم أن الدعاء عباده فإن عليك أن تفهم أن العباده لاتكون الا لمالك الضر. والنفع ولاتحتاج إلى وساطه بينك وبينه لان التوسل بغير الله يعنى انك تستعين بمن لايملك ذلك ولايملك شيئا لانك تجعل لمخلوق من مخلوقات الله نصيبا من التصرف والتدبير وتجعلهم معاذا لك وملاذا فى الرغبه والرهبه فتجعل ممن لايملك شئيا شريك لله فى استجلاب النفع ودفع المكاره بسوالهم والالتجاء إليهم بالرغبه والرهبه والتضرع وغير ذلك من العبادات التى لايستحقها الا الله تعالى وتجعلون منهم شركاء لله فى ربوبيته والهيته وهذا شرك كفار العرب الذين قالوا(ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى)

المفهوم الثالث

فى الايه دعوه الى حجب القلوب عما سوى الله لما ترجو من احسان الله والاستغناء بذكره عن ذكره غيره وهذا إنما يتحقق بإخراج العالم من قلبك وتشق طريقك عبر مسالك العز بالغنى ب‌الله تعالى بعلمك ان الكون كله لو اجتمعوا كلهم أولهم وآخرهم على أن يضرك بشى لن يضرك بشى الا قد كتبه الله عليك وان اجتمعوا أن ينفعوك بشى لن ينفعوك بشى الا قد كتبه الله لك

الست تعلم أن الله تعالى هو الرزاق وهو قد قسم بين عباده معايشتهم وارزاقهم وقد فضل بعضهم على بعض فى الرزق وقد فرغ مما قضى وقدر من ذلك فكيف تعنى بعد علمك بطلب ما قد فراغ من مقداره فكيف تطلب كشف الضر من عند غير الله أو تطلب النفع من عند غير الله وانت تقرأ (وان يردك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله)

فليكن الغالب على قلبك طلب كشف الضر وطلب النفع منه وحده إذا علمت أن ذلك كله بيده وحده لا شريك له وكيف تخاف من فوات شى من الخير يريده الله لك وان لم يريده بك فمن يعطيك ذلك أو ينيلك إياه

ف‌الله تعالى هو النافع وحده والمعطى والمانع والضار وحده لا شريك له فلا ترغب عن الله بجهلك فتخضع لمن دونه عند تخويف الشيطان فيستولى عليك عند ذلك كما قال تعالى(الشيطان بعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا)

فما الذى يضرك من مواعيد الشيطان مع ضمان الرحمن

فعليك الاكتفاء ب‌الله تعالى. والاشتغال بذكره بحيث يسكن قلبك إلى الله فلا تخف غيره لانه تعالى قرب العبد منه بحسب الصدق فى التوكل عليه وهو يزيد.وينقص مثل الايمان وقطع هذه المسافة تكون بالقلب حتى تعبد الله راضيا بما صيرك اليه لانك لاتعرف غيره فهذه منزله عظيمه لايصل إليها إلا من تطهير من الآثام ونظف قلبه من كل غير الله أنهم ينظرون إلى منازل السلامه والنجاه التى جعلها الله للمتوكلين عليه وخصهم بها كما حجب عنهم كل ندامه ولهذا حجبت قلوبهم عما سوى الله لما يرجون من رحمته وإحسانه و استغنوا بذكره عن ذكر غيره (نقلا بتصريف من كتاب المحاسبى بدء من أناب تحقيق مجدى فتحى السيد)

الصادر عن دار السلام للطباعه والنشر والتوزيع الطبعه الاولى ١٩٩١م مصر العربيه

المفهوم الثالث

عليك أن تدرك أنك لن تكون متوكلا حتى تصفوا من كل ملك لنفسك مع ملك الدنيا وحتى لاتثق الا بالله وحده لا شريك له وحتى ترى مؤنتك على الله وحده فلا يذهبن بك الطمع إلى غير الله

الاترى أن الذى طمعت بما فى يديه مملوك لله وهو مخلوق من مخلوقات الله

ثم ما الذى يحجزك عن دعاء الله فهل يوجد حاجز فى السماء بينك وبينه يمنع وصول دعاءك كيف تتصور ذلك وقد أعلمك الله أنه قريب منك يسمع الدعاء فما عليك إلا أن تدعوه فقال (واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوه الداع إذا دعان فليستجيبوا

واعلم أنك لن تستطيع الفرار من رزقك أن أراد الله بسبب أو بلا سبب فهو ينزل لك فى وقته أما سمعت قول الله (وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء أنه لحق مثلما انكم تنطقون)

المفهوم الرابع

أن اللازم على العبد أن يأخذ بالاسباب لدفع المكاره وجلب النفع لكن هذا الأمر مقرون بالتوكل على الله توكل الواثق بالله وهذا يعنى أن تنفى التهمه من قلبك عن الله وان كانت فى ظل سبب فلا يميلن قلبك إلى السبب وليكن قلبك مع الله لأن الأسباب تنتهى إلى الله تعالى فلا تعلق آمالك على الأسباب وان كنت ملزما بالاخذ بها وهذا لأن المخلوقات التى تكون أسباب تأخذ بها فى ما تريد إنما هى مسخره بقدر الله تعالى فمثلا هل يستطيع الخازن على بيت المال أن ينفق بدون إذن سيده من المؤكد أنه إنما ينفق باذن سيده

وكذلك فإن المخلوقات كلها ملك لله فهو يسخرها لتكون سببا للنفع أو دفع المكروه وبالتالى فعليك أن تعقد قلبك لسيدك لانه أن اعطاك لم يقدر أهل الارض كلهم أن يمنعوك وان منعك لم يقدر اهل الارض أن يعطوك لان سلطانه عظيم وبتوكلك عليه الكفايه فهو يكفيك فعليك أن تسكن قلبك إلى المضمون عليك أن تقطع تعلق قلبك بالاسباب فلا ترى شئيا الا الله وقدره لانه جار على المتوكل وعلى من فى الكون فهو تعالى يقول فى موضع آخر (وكاين من دابه لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم)

فأراد بهذا أن يسكن قلبك يقينا إلى الله وان ترضى بما قسم الله لك فهو. بيده كل شى

المفهوم الخامس

عليك أن تفهم أن الدعاء مخ العباده وبه يرفع العذاب عن الامم وتمحو الذنوب فالدعاء باب التوبه المفتوح فى طلب الجنه والتجاوز عن الذنوب فالدعاء من الاستغفار التى توجب رحمه الله تعالى كما قال تعالى (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون)

ويقول تعالى فى موضع آخر (قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمه الله أن الله يغفر الذنوب جميعا أنه الغفور الرحيم وانيبوا إلى ربكم واسلموا له)

ولهذا يقول تعالى لعباده أن خلق الله فيكم غريزه حب الرزق

هى لتكون قوه تدافعكم لطلب رضا الله بالأعمال الصالحه فعليكم أن تعودوا إلى الله تائبين مهما كانت ذنوبكم فهذا هو الفضل العظيم الذى ينبغى التسابق إليه أما الأرزاق فهى فضل ينعم الله به على من يشاء من عباده يعم

الكافر والمؤمن أما الرزق العظيم هو الهدايه إلى الجنه ورضا الله تعالى وقد جعل الله الطريق مفتوح فما عليكم الا التوبه والاستغفار والصدق فى التوبه وهو تعالى يغفر الذنوب مهما عظمت ورحمته سبقت غضبه فالنعم والنقم بيد الله كلها بيد الله فعليك أن تلجأ إلى. الله تطلب أن يجلب لك النعم ويدفع عنك النقم فى الدنيا والاخره مخلصا بالدعاء والعمل لله تعالى

الدرس الثانى

عليك أن تفهم أن الناس إنما يخلصون فى أعمالهم على قدر معرفتهم به وانما يثقون فى وعد الله ووعيده بقدر معرفتهم به ويرجون ويخافون على قدر معرفتهم به ويصدقون فى كلامهم على قدر معرفتهم به ويصبرون على طاعته ورضاه وعن معصيته على قدر معرفتهم به وعلى المصائب التى تنزل على قدر معرفتهم به ويحبون ما احب ويبغصون ما ابغض على قدر معرفتهم به ومن فاتته المعرفه بالله دخله من النقص على قدر ما فاته من تلك المعرفه بالله ومن وجد المعرفه نال الهدايه بحسب ما رزق منها ولهذا يقول تعالى (واقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين ولاتدعو ا من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ...الخ

عطفا على قوله تعالى (واقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين)

لان الاصوال الثابته هى اصوال الانبياء أما غيرها فهى منحرفه ومعوجه ومن حرم الاصوال فهو محروم من الوصول لان معرفه الاله الحق وعبادته لاوسيله لها إلا بما اخبر به الانبياء الذين يتصلون بالوحى فأنت عندما تريد عباده الله لابد أن تعرف اسماءه وصفاته وكماله وكبرياءه لتناجى الله وتعرف ما يحب ويرضى فتعمل ذلك وتعرف ما يسخط الرب فتترك فعله ولهذا أرسل الله الرسل وانزل الكتب ليعرفه الناس وليعبدوه على ما جاء بالسن الرسل فى كتبه ولهذا يقول تعالى (يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل)

أن أول ما يفهم من هذا الخطاب الموجه للناس كافه هو أن تفهم أن قضيه ارتقاء الإنسان وصلاحه ونجاته القضيه الأولى فى الكتاب العزيز ولهذا يخبرهم أن القرآن الكريم هو الحق الثابت باليقين الجازم من الله لتربيتكم به فهو الهادى والمرشد إلى طريق الهداية الموصل إلى معرفه الله واسماءه وصفاته وكماله الذى فيه ارشادكم إلى طريق السعاده الابدايه فمن قبل بهذه الهدايه فإنه ينفع نفسه بهذا الحق بأن يوفقه الله الى هدايته الخاصه وان من يرفض القبول بهدايته فهو إنما يرجع بضرر ذلك على نفسه فالله تعالى. غنى عن العالمين لايزيد فى ملكه طاعه المطيع شئيا ولاينقص منه عصيان العصاه شئيا فهو يؤسس لنا فى اياته هذه المفاهيم والصور الذهنيه التى تساعدنا على السير فى طريق مرضات الله وتساعدنا علىفهم واقعنا وعلى إصلاح هذا الواقع ولهذا يبرز لنا نموذج المنتدى السابق المبادر والمثابر صاحب اليد العليا والشعور بالمسؤولية (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه)كما يبرز لنا صورة الإنسان العاجز المتخبط المخفق (ومن ضل فإنما يضل عليها) من اجل تفتيح وعى الناس على النموذج الأرقى والاسمى الذى ينبغى أن يحاكوه

بعد أن أبرزت الايات السابقه الفارق بين الخالق والمالك والقادر القهار الإله الحق المستحق للعبادة والدعاء والاستغاثه وبين المخلوقات العاجزه عن نفع نفسها أو نفع وضرر غيرها لازاله الجهل والغفله عند الناس ودعوتهم إلى معرفه الاله الحق واقامه الوجه إليه تعالى فقال تعالى (واقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين

ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له وان يردك ...الخ

فالفارق واضح لاغموض فيه فالاله الحق هو القادر على النفع والضرر وبيده المنع والعطاء والتصرف والأرزاق والتدبير والرحمه فهو الذى ينبغى أن يحرص العبد على الفوز برضاءه ولهذا انزل القران وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم لهدايه الناس والناس ينقسمون بين مؤمن بالوحى ومكذب به ولهذا ياتى بعدها ببيان سمات المهتدين المؤمنين وسمات الضالين الكافرين حتى يتألق النموذج الاسلامى للإنسان الصالح بوضوح الأهداف فى الحياه فمن فضل الله وطلب الفوز برضوان والوصول لدار الخلود والسعاده الابدايه فإنه يقبل بهدايه القران الكريم فيحصل له الاهتداء بالتوفيق والسداد والسلامه فكل نفس ذائقه الموت كما قال تعالى. (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)

فما هى أمنية كل عاقل راشد أليس أن يحظى بعفو الله ورضوانه ولكن الناس منشغلون فى مشاكل الدنيا ومتاع الحياه وارزقها وينسون هذا الهدف السامولهذا يقول لهم الحق (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)

فالنصوص تبين لك أن الواجب عليك أن يكون هدف الفوز برضوان الله حاضرا فى وعينا وماثلا في أذهاننا خاصه فى زحمه التقدم الحضاري المادى التى جعلت الناس منشغلون بالمعاش وغياب الوعى عن هدف الفوز برضوان الله ولهذا فإن عليك أن تستحضر الدعاء الذى تصرف وعينا لطلب الآخرة لان من اهتدى بهديه القران الكريم فإنما ينفع بذلك نفسه ومن ضل فإنما يضر بنفسه فالله لن يزيد طاعه المطيع فى ملكه شى ولن ينقص عصيان العاصى فى ملكه شى

ولهذا تبين النصوص أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم هو البلاغ لا إرغام الناس على الايمان والتصديق .. عقب ذلك لأن الإسلام حريص على سلامه المؤمن من التشاؤم والإحباط الذى قد يصيبه وهو يشاهد حال الناس وهم غارقون فى الشهوات ومتاع الدنيا فلابد لأى منا وهويشاهد

اليوم حال امه المسلمين أن يصاب بالانزعاج والأسف لاعراضها عن الهدى فلا بد أن يصاب بالاسى والحزن ولابد أن يتسال كيف المخرج من ذلك ومن اين ابدا كيف لامه أن تفوز بمعونه وتأييده وهى غارقه فى الشهوات ومتاع الدنيا وبعيده عن ربها ومايزيد الاسى أن قاده الامه تقف ضد الحق بكل قوه والشعوب مسلوبه الارداه والقوه بفعل التآمر من الاعداء الذين يتلاعبون بها ولهذا فإن من يريد الخروج من هذا عليه أن يقف مع قوله تعالى (يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

وتختم السوره بقوله تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

فهذه الآيات تضع لك معالم الطريق الذى يجب عليك أن تسلكها وملامح الأمور التى تصير عليها يقول لك الحق صحيح انك مكلف بنشر الخير للناس ومهم أن تشعر بالمسؤولية عن رفع الآلام عن الناس لكن هذا لايعنى أن تصاب بالاحباط واليأس الذى يقتل الحيويه والنشاط فالاهتمام بأمر الناس مهم ومشاركتهم همومهم أمر هام أيضا والعمل على صلاحهم أمر حميد ومحبوب عند الله فقد وصف الله النبى صلى الله عليه وسلم فى أواخر سورة التوبه أنه حريص بالمؤمنين يحزن إذا أصابهم الشر فهذا أمر مطلوب لكن لاينبغى أن يتحول ذلك إلى حاله من

الحزن والاكتئاب المفضى إلى الانكماش واليأس والسلبيه ولهذا يوجه الله نبيه أن مهمته هو البلاغ وليس إجبار الناس على الايمان مبينا أنه لايحزن من انقسام الناس وأعراضهم عن الحق فهذا أمر ليس مستغرب من الكفار وحتى من المسلمين أنفسهم لان الدنيا وجدت للابتلاء فمنهم من يؤمن ومنهم من يكفر ومهمه الرسول هى البلاغ والجميع سوف يعود إلى الله وسوف يجازيهم على أعمالهم كما قال (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) وهنا قال (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل)

لست مسؤولا عن تبعات اعمالكم وانما أنا مسؤول عن اعمالى

كما قال تعالى فى هذه السورة (فإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم برئيون مما اعمل وانا برئ من ما تعملون)

ولكن عليك أن تفهم أن الأمر بتهدئه الروع لايعنى أن ننظر الى حال الناس على أنها شى مالوف أو أن نقف موقف المتفرج أو التحليل وقراءه الأحداث دون القيام بعمل ملموس على الأرض أن المهم أن نتعرف على قدرتنا ومجالات حركتنا وعطاءتنا حتى نتعلم كيف نركز جهودنا فى خدمه قضايانا يقول صاحب كتاب (المفاهيم القرانيه فى البناء والتنميه الذي تم اقتباس هذا الموضوع من كتابه بتصريف) أن هذا إنما يكون من خلال ثلاث دوائر (دائره السيطرة..ودائره التأثير ..ودائره الاهتمام)

دائرة السيطرة تعنى الشؤون والأوضاع والعلاقات الشخصيه التى يشعر المرء بالقدره على التحكم بها فالواحد منا يستطيع أن يوزع أوقاته حسب مايري من واجبات ومسؤوليات كما يقدر أن يكون علاقات جديده ويقطع علاقات قائمه مع بعض الناس وجميع التكاليف الشرعيه إنما تكون واقعه تحت السيطرة ثم يكون الانتقال الى دائره التأثير الاسره والجيران والأصدقاء والاتباع ومن هنا تبرز اهميه هذا الترتيب للدائر الثلاث لاجل التغلب على الإحباط

الذى قد يصيب المرء ولهذا ياتى الأمر للنبى صلى الله عليه وسلم (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

أمره باتباع منهج الله والصبر والثبات على الحق فى مواجهه الباطل فهذا فيه بيان أفضل مناعه نقدمها لدفع ومقاومه الإحباط هى بالشعور أننا نتقدم ونرتقى ونتاغم مع معتقداتنا ومبادئنا بحيث تكون مواقفنا منتجه فلا نصاب بالاحباط هو أن تكون حركتناوسلوكتنا موافقه للالتزام الذى يشكل مصدر من مصادر الاستبشار والتانق الروحى ولهذا ياتى الأمر للنبى صلى الله عليه وسلم (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

لان تحقيق هذه المناعه التى يكون التغلب بها على الإحباط تعنى الشعور أننا نتقدم ونرتقى بتناغم مع المعتقدات وهذا يتطلب أن تفتح حقولا جديده للعمل والممارسة ..وان يكون مباشره الممكن الصالح للتطبيق وعدم تضيعه فى طلب تبدأ من نفسك تسيطر عليها بحيث تكون أفعالك منسجمه مع المعتقدات التى تؤمن بها تبدأ من التحرر من الأوهام التى تكبل الأذهان والثقه بقدرات النفس والتسابق علىفعل الخيرات وهذا يتطلب الثبات على المبدأ لانه يصعب على العبد أن يفتح حقولا جديده للعمل والممارسة يسابق فيها للخير دون أن يمتلك قوه فى الاعتقادأنه على الحق الصريح فيما يؤمن به من معتقدات وقيم ومثل فمن كان قوي الايمان بمبادئه فإنه يجد لديه درجه عاليه من التزام

فى سلوكه وذلك الالتزام يتجلى فى مقاومه اى مساومه ومقاومه أى ضغوط كما يتجلى فى التنازل عن المصالح فى سبيل البقاء على الطريق الصحيح فالناس حريصون على تحقيق مصالحهم عاده فى إطار مبادئهم ولهذا فإنهم يختبرون فى صدقهم وإيمانهم بالمبدا حيث يجد نفسه فى موقف مضطر فيه على التضحيه بالمبدا أو المصلحه فهو إما أن يختار المصلحه ويتنازال عن المبدأ او أن يتمسك بالمبدا ويتنازل عن المصلحه وهنا تكمن نقطه الاختبار للإيمان بالمبدا والواقع ملئ بالامثله فالبعض يضعف ويخاف من أن يخلع من وظيفته ويتنازل عن المبدأ ولهذا يأمر الله نبيه بالصبر (واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

فتوفر الاراده الصلبه شرط من شروط السبق وسمه اساسيه لاي سباق فكم من الإخفاق الذريع كان بسبب أن أصحابها لم يكونوا أصحاب عزيمه واصرار وتصميم لتحقيق الهدف المنشود فلابد من مجاهده النفس وحملها على الاستمرار فى العمل وكبحها عن القبائح والشرور فهو الطريق السريع لتربيه النفس كما قال تعالى (وجعلنا منهم ائمه يهدون بامرنا لما صبروا ...الخ

ولهذا فإن التغيرات الصغيره فى حياتنا وسلوكنا التى لانلقى لها بالا هى التى تغير الكثير من ملامح حياتنا وسلوكنا الخاصه والعامه المهم أن نكسر رهبه الخطوه الاولى ويستمر التغيير والتحسين ونقاوم داء المماطلة والتسويف ونطلب من الله المعونه والسداد وأن نثق باليقين بتحقيق الله وعده ولهذا يجب التانى عند رسم الأهداف القابله للتطبيق وعدم الاستعجال فيجب مباشرة الممكن الصالح للتطبيق وعدم تضيعه فى طلب العسير المستحيل ولهذا يأمر الله نبيه باتباع منهج الله والثبات على الحق والصبر والصمود فى مواجهة الباطل وان لايستعجل تحقيق وعد الله فإن له موعد عند الله فإذا جاء حكمه فلا راد لقضاءه وهو تعالى خير الحاكمين فلا تستعجل اجابه الدعاء فالله يختار لك مافيه الخير فاتباع القران الكريم فيه النجاه والاستقامة الذى فيه الاصوال التى يكون فيها الوصول إلى الاجابه والنجاه والسعاده والنجاح والفلاح والسداد والسلامه فى الدنيا والآخرة فأراد بهذا أن تفهم كيف تتعلم فن ممارسه الممكن الصالح للتطبيق فهذا لايعنى أنه ضد الطموحات الكبيره والامال العريضه الا فى حاله واحده هو أننا ضدها حين تزهدنا بالممكن الصغير وتدفع بنا إلى التعلق بالمستحيل الكبير لان النتيجه تعنى فوات الصغير والكبير معا والموكد أن الذى لن يفوت هو الشعور بالاحباط والانحسار ولهذا فعليك أن تعلم أن الصالح الممكن للتطبيق الان ليس بالضرورة أن يكون هو الصالح الممكن التحقيق فى كل الاوقات ومن هنا تكمن اهميه تعلم فن ممارسه الممكن الصالح للتطبيق وهذا ما يحتاج إلى التانى ودراسه الأهداف المرحليه وعدم الاستعجال فوعد الله لابد أن يتحقق لكن فى الموعد المحدد عند الله فهو يحكم بين عباده وهو خير الحاكمين ولهذا فإن من ينظر إلى سير الأنبياء والعظماء فى التاريخ يجد أنهم انطلقوا مما يشبه الصفر لكن كانوا يملكون القدرة على رؤيه الإمكانيات الصغيره التى فى حوزتهم والقدرة على تنميه الإيجابية القليله التى كانت تحيط بهم بالثقة بالله والتوكل عليه وباستلهام التراث الإسلامى ومبادى الاسلام ثم الصبر والمثابرة فى العمل وتنظيم الذات التى تحقق للامه ماكنا نراه فى بدايه الطريق فى عداد البعيد والعسير لننطلق وسوف ندهش أنفسنا حين ننطلق وسوف نرى تحقيق وعد الله لنا

انتهيت من المفاهيم المتعلقه بهذه السورة يومنا هذا الجمعه٨ شهر شعبان ١٤٤٦هجرية الموافق ٧فبريير٢٠٢٥ميلاديه اسال الله ان يتقبل منا هذه المحاوله وان يجعلها فى ميزان حسناتنا وان ينفع بها المسلمين وان يتجاوز عن اخطاءنا اللهم امين

المحامي/ احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى

المراجع

التفسير الكبير	لابن كثير
تفسير السعدي	
تفسير الظلال	للسيد قطب

تفسير الشعراوي

تفسير سعيد حوى	
تفسير الشوكانى	

التفسير الوسيط

تفسير الشيرازي	
تفسير القرطبي	
تفسير الطبرى	

تفسير عايض القرانى	
تفسير المنار	

تفسير الصابونى	
تفسير الشيخ النابلسي	

تفسير ابو السعود	
التفسير الموضوعي	

الكشاف الزمخشري	

الرزاى	

تفسير الالوسى	
تفسير الجلالين	

تفسير المراغي	
التفسير الوسيط	

الدرر المنثور	
ابو العباس مجالس ثعلب	

مجاز القران لصاحبه ابو عبيده حمزه بن عباس	المتوفى ٢١٠هجريه
معانى القران للاخفش بن سعيد بن مسعده	المتوفى٦٦١هجريه

معانى القران لقطران محمد	المتوفى٢٢٠هجريه
محاسن معانى القران للزجاج	

معانى القران ليحي بن زياد الفراء	
المحرر الوجيز لصاحبه عبد الحق بن مالك بن عطيه الاندلسى	المتوفى ٥٤٦هحرية

تفسير محمد جواد مغنيه	
تفسير الشيرازي	

تفسير ابو بكر الجزائري	
تفسير التحرير والتنوير	

التفسير الميسير	
التفسير البسيط	

تفسير معانى البيان	
التفسير القرانى بالقران	

كتاب التوحيد	
كتاب مفاهيم ينبغى أن تصحح لمحمد قطب دار الشروق بيروت	

دراسات قرانيه محمد قطب	
التطور والثبات فى حياه البشر لمحمد قطب	

رساله التوحيد لمحمد عبده	
عمر عبيد حسنه كتاب الازمه مجله الامه	

عمر عبيد حسنه مراجعات فى الفكر والدعوه والحركه	
مجله الامه الخطاب الإسلامى	

الاسس والمنطلقات لأبى بكر مشهور	
فهمى هويدا القران والسلطان	

عمر سليمان الاشقر معالم الشخصيه الإسلامية

عماد الدين خليل حول اعاده تشكيل العقل المسلم كتاب الامه	
المستقبل لهذا الدين للسيد قطب	

ابن تيمية مجموعه فتاوى ابن تيميه جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم

مقدمه ابن خلدون	
اللّٰه فى العقيده الاسلاميه احمد	

الفوائد لابن القيم	
مدارج السالكين لابن القيم	

رساله المسترشدين المحاسبى	
بدأ من أناب للمحاسبى	

تدبر القران	
مجالس الذكر لعبد الحميد بن باديس	

تفسير البيضاوي

تفسير مجمع البيان	
علمتني سورة يونس لاحمد الجوهرى	

ملتقى التفاسير	
تفسير طيبه	

تفسير ابن عثيمين	
اوضح التفاسير	

زهره التفاسير	
الدرر فى مقاصد القران	

كتاب التبيان لابن القيم

تفسير الطنجاوى	
البرهان في تفسير السور	

الدرر السنيه الموسوعه الحديثه

اسرار التكرار للكرمانى	
لطائف الإشارات	

مفاهيم قرانيه فى البناء والتنمية

تفسير السمعانى	
تفسير البغوى	

تفسير الكتاب العزيز الواحدة

موسوعه التفاسير	
إشراقات	

تفسير مقاتل بن سليمان

تفسير المختصر فى التفسير	
تفسير الشنقطى	

منهج تزكيه النفس

السمعيات فى النبوءات والغيبات	
البارى فى شرح صحيح البخاري	

صحيح البخاري	
صحيح مسلم	

محاورات الانبياء لاقوامهم	
الاعجاز القرانى للسيد قطب	

الاعجاز القرانى